SHEIKH HASSAN AL-SAFFAR

POLITICS

المذهب والوطن

مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ حسن الصفار

أجراها الأستاذ عبدالعزيز قاسم

حسن موسى الصفار



المذهب والوطن

مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ حسن الصفار

أجراها الأستاذ عبدالعزيز قاسم

المذهب والوطن/ سياسة
حسن موسى الصفار / مؤلّف من السعودية
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف:
رشاد برس / بيروت ـ لبنان
الصف الضوئي:
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
التنفيذ الطباعي:
رشاد برس/بيروت لبنان

ISBN: 9953-36-874-0



حسن موسى الصفار

المذهب والوطن

مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ حسن الصفار
أجراها الأستاذ عبدالعزيز قاسم



ⓒ المؤسسة العربية للدراسات

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الصفار، حسن موسى .

٢١٥ ص، ١٧X٢٤ سم

ردمك: ٠-٢-٩٦٤٦-٩٩٦٠

١-السنة والشيعة ٢-الاسلام والمجتمع أ. العنوان

ديوي ٢٤٧ ١٤٢٦/٧٦٠٨

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧٦٠٨

ردمك: ٠-٢-٩٦٤٦-٩٩٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل:١٢٥]

مقدمة

تحديد هدف الحوار بين أطرافه شرط هام لإنجاحه، ولترشيد مساراته. حيث ينطوي الحوار على إمكانية الخدمة لأهداف متعددة. فإذا لم يتجه المتحاورون نحو هدف محدد، أو اختلفت الاستهدافات بين أطراف الحوار، فلن يكون الحوار ناجحاً مثمراً، ولن تنتظم إيقاعاته بشكل موضوعي سليم.

فهناك من يحاور الآخرين لإقناعهم بأحقية رأيه ومذهبه، وبطلان آرائهم وتوجهاتهم.

وهناك من يحاور لإفحام الطرف الآخر وتحقيق الغلبة عليه.

وهناك من يحاور الآخرين طلباً للمعرفة وبحثاً عن الحق.

وهناك من يحاور للتعارف وترسيم حدود الاتفاق والاختلاف مع الآخر، للتأسيس لعلاقة إيجابية بين الطرفين.

إن لكل حالة من حالات الحوار دوافعها ومبرراتها عند المتحاورين، كما أن نهج الحوار ومساراته قد تختلف بين هذه الحالات. لذلك من الأهمية بمكان أن تتحدد غاية الحوار ليتحدد نهجه ومساره. وليكون موجهاً باتجاه الهدف المنشود، حتى يحقق أعلى نسبة ممكنة من النجاح والإنجاز.

وحين عرض عليّ الأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز قاسم حفظه الله إجراء حوار يتسم بالصراحة والمكاشفة، حول وضع المواطنين الشيعة في المملكة، لينشره في جريدة المدينة، ضمن ملحقها الأسبوعي المتميز (الرسالة)، بادرت إلى قبول عرضه الكريم، لأني وجدت فيه فرصة طيبة لخدمة هدف عظيم، ذلك الهدف هو التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية بشكل عام، وحماية وحدتنا الوطنية في المملكة العربية السعودية بشكل خاص.

إن الوحدة ضرورة ملحة لكل أمة ومجتمع، في كل وقت وآن، لكنها عند المنعطفات الخطيرة وأمام التحديات الصعبة، تصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً.

ونحن نعيش الآن هذه اللحظة الحرجة، فلابد لنا من الاهتمام بجمع الشمل، ولمّ الصفوف، وتجاوز الخلافات والصراعات، لتتركز جهودنا واهتماماتنا.

واتفقت مع الأستاذ عبد العزيز أن يكون هدف الحوار توفير فرصة التعارف المباشر بين أبناء الوطن من السنة والشيعة، لتجاوز مرحلة الظنون والنقولات، وآثار الحقبة السابقة التي أنتجتها عوامل سياسية مرت بها المنطقة الخليجية خلال العقدين الماضيين.

لقد رُسمت صور وانطباعات عند كل طرف عن الآخر، فيها الكثير من التشويش والتشويه، وتكرست تلك الصور والانطباعات في ظل أجواء القطيعة والتباعد، وتأكدت ألوانها القاتمة بفعل التعبئة والتحريض المتبادل على الكراهية.

وهنا يأتي دور المبادرات الواعية المخلصة، التي تكسر الحواجز، وتقتحم الأسوار، وتنزع فتيل التشنج والحساسيات، عبر فتح الملفات بحكمة، ووضع قضايا الخلاف على طاولة النقاش الهادئ، وتناول المسائل بموضوعية تستند إلى الإقرار بحقوق الإنسان وحقوق المواطنة، ثم الاعتراف بحق اختلاف الاجتهاد والرأي، في إطار مرجعية الكتاب والسنة لمذاهب الأمة الإسلامية.

لكن هذه المبادرات لن يقوم بها إلا من كان مهموماً بمصلحة الوطن وأمنه واستقراره، ومسكوناً بهاجس الوحدة وتحصين الجبهة الداخلية، وشجاعاً يتجاوز

إرهاب الأجواء المحيطة، التي تعتبر القطيعة مع الآخر ديناً، والخصومة مع المخالفين تكليفاً شرعياً.

وقد توسمت في أخي الكريم عبد العزيز قاسم هذه المواصفات الطيبة، من خلال متابعتي لكتاباته وحواراته السابقة، مع بعض الشخصيات الدينية والوطنية، لذلك لم أتردد في الاستجابة لطلبه الكريم، وشرفني بزيارته في القطيف، بتاريخ ٢٤ رجب ١٤٢٥هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٤م، وأمضيت معه ساعات طويلة من الحوار، لمست فيها سعة أفقه، وحسن أدبه، وتركيزه على المصالح العليا للإسلام والوطن.

كان يطرح أسئلته الحساسة الصريحة على أساس أنها تساؤلات مطروحة في الساحة التي يعيشها، ويرى أن الإجابة عليها من الطرف المعني بشفافية ووضوح يساعد كثيراً على جلاء الصورة، وتنقية الأجواء، ويخدم توجهات الوحدة الوطنية والتقارب الإسلامي.

ولأني مقتنع بأن التعارف يجب أن يكون هو هدف الحوار، وليس التبشير برأي المذهب، أو تسجيل نقاط غلبة وانتصار، فقد التزمت في إجاباتي بما يخدم هذا الهدف، مكتفياً بإيضاح الموقف، مع الإشارة إلى مبرراته أحياناً دون الانسياق إلى دائرة الجدل المذهبي، والتوغل في تفاصيل سجالات الخلاف العقدي والفقهي.

وأعتقد أن جهوداً كبيرة قد استهلكت من علماء الأمة وطاقات أبنائها في متاهات الجدل المذهبي، الذي لا طائل خلفه، والذي شغل الأمة عن مسارات التنمية والبناء في جوانب الحياة المختلفة.

لقد استقر واقع المذاهب الإسلامية في ساحة الأمة منذ قرون، وعلينا الإقرار والاعتراف بواقع التعدد المذهبي، وتجاوز سياسات الإقصاء والتهميش والتمييز بين أبناء الأمة والوطن، وعدم المراهنة على سراب تغيير القناعات المذهبية لأي طرف من الأطراف، والمطلوب هو الاحترام المتبادل، والتعاون في بناء الوطن، وخدمة المصالح المشتركة للأمة.

وإذا كان العدل هو سياسة حكم الإسلام بين الناس على اختلاف أديانهم

وأعراقهم، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾. وإذا كان الحيف على أي حق معنوي أو مادي لأحد من الناس مرفوضاً في منطق الإسلام، ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ وإذا كان التخاطب مع أتباع الديانات الأخرى مشروطاً بالتزام أحسن الآداب، ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فإن التعامل الداخلي بين أبناء الأمة يجب أن يكون في أفضل صيغ التعايش والتعاون مهما اختلفت المذاهب والتوجهات.

وانطلقت من هذه القناعات في المكاشفات مع الأخ العزيز عبد العزيز، وقد نشر كل الإجابات بأمانة وإتقان، في حلقات خمس على صفحات ملحق (الرسالة)، مفرداً صفحتين كاملتين لكل حلقة، من تاريخ ١٧/ ٨/ ١٤٢٥هـ إلى تاريخ ١٨/ ٩/ ١٤٢٥هـ. وسعدت جداً بالأصداء الطيبة التي أثارتها حلقات المكاشفات، وكان لمداخلات بعض الباحثين والكتاب دور في إثراء ما طرحته المكاشفات من أراء ومقترحات، لكن بعض المداخلات كانت باتجاه الاستغراق في الجدل المذهبي، والتركيز على ضرورة تغيير القناعات والتوجهات العقدية والفقهية لدى الشيعة، وتناول بعض ما ورد في كتب الشيعة وتراثهم، ولأني لست مقتنعاً بجدوى هذا النهج من الحوار، لم أجد نفسي معنياً بمناقشة ما ورد في هذه المداخلات أو الردّ عليها.

وأخيراً فإني أجدد الشكر للأستاذ عبد العزيز قاسم، وللإخوة الأعزاء في رئاسة تحرير جريدة (المدينة)، وملحقها (الرسالة)، على إتاحة هذه الفرصة الثمينة للحوار الهادف، والذي شاركنا فيه كل القراء داخل المملكة وخارجها، كما أشكر كل من تفاعل مع هذا الحوار وأسهم في إثرائه مشجعاً وناقداً، من خلال المداخلات، والكتابة في الصحافة، أو على شبكة الإنترنت، وعبر جلسات النقاش والبحث، والتي بلغني انعقاد كثير منها في مختلف أرجاء الوطن متزامنة مع نشر حلقات المكاشفات.

وكذلك من خلال الاتصالات التليفونية، ورسائل البريد الإلكتروني التي تلقيتها من داخل وخارج المملكة.. إلى الجميع أتقدم بخالص الشكر والامتنان، وأرجو أن يكون نشر هذه المكاشفات تكريساً لنهج الحوار والموضوعية في معالجة قضايا

الاختلاف، وإسهاماً إيجابياً في تطوير العلاقات بين شرائح الوطن وفئات الأمة، باتجاه التواصل والتقارب والوحدة، لخدمة الأهداف العليا، والمصالح المشتركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار
القطيف
٢٠/ ٥/ ١٤٢٦هـ
٢٧/ ٦/ ٢٠٠٥م

مكاشفات .. الحلقة الأولى

- حديث سمو ولي العهد شكّل لنا إيذاناً بمرحلة جديدة وزادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم.

- (التقيّة) إحدى ضحايا الصراع الطائفي وهو مفهوم ديني تتنكّر له البعض وهذه أدلتي.

- في مراحل نشأتي الأولى لم يكن لدي انفتاح على أي عالم من أهل السنة وثقافتي في حدود البيئة الشيعية فقط على رغم دعواتنا للعلماء من أهل السنة لم يزرنا سوى الشيخ صالح الدرويش وكان حضوره حدثاً لمجتمع القطيف.

- بعض المناهج في التعليم تتحدث عن بعض الممارسات الشيعية حديثاً قاسياً ولكن التوجيه في بيئتنا يوضح لنا الأمور بشكل يتناسب مع مذهبنا.

- يجب أن يركز التعليم على المشتركات العامة وألا يكون هناك تركيز على التحريض ضد الآخر.

بين يدي مكاشفات*

بعد غياب طويل عن (الرسالة) ها قد عادت (مكاشفات) من جديد لمحبيها ومتابعيها، وهذه المرة بلون مختلف جدا ولرجل معمّم مثير للجدل حتى بين أبناء طائفته. تعمدنا استضافة الشيخ حسن الصفار أحد أقطاب طائفة الشيعة بالمملكة العربية السعودية استجابة منا لدعوات سمو ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله المستمرة، والتي تحض المجتمع وأفراده وعلماء الأمة على عدم الانغلاق والانفتاح على مختلف المذاهب، وهي الرسالة الجلية التي تتبدى دوما في تلك الرعاية الأبوية لمؤتمرات الحوار الوطني، وحيث يحرص حفظه الله في كل أحاديثه على حثّ أطياف المجتمع الفكرية على الحوار والالتقاء وبلورة أرضية نتعايش فيها جميعا، نحن الذين نتفيء ظلال وطن يسكن منا القلوب وننعم بخيراته..

حرصا منا على كل ذلك ولأجل وطن متماسك النسيج ومترابط البنيان كان اختيارنا للشيخ حسن الصفار. وأعرف أن كثيرين من أحبتنا الذين لم يعتادوا ذلك، ومازالت حواجز نفسية عميقة الجذور ومترسبة من الماضي تقف حائطا صلدا أمام أية

* المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، ١٧/ ٨/ ١٤٢٥هـ ـ ١/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

محاولات للحوار والقفز على تلك الإشكاليات التاريخية المتوارثة، والتي تقف عائقا حقيقيا أمام أية محاولة للتفاهم والتعايش فضلاً عن الاعتراف والقبول.

ربما كان في ذلك بعض الحق، وأعترف باستحالة فكّ تلك المداميك المذهبية المتمنعة، لكننا نسعى هنا إلى البحث عن صوت معتدل لدى الآخر الطائفي، شريكنا في الوطن، كي نصل معه إلى أرضية مشتركة نتعايش من خلالها تحت مظلة الوطن الواحد. وما نتمناه من الأخوة الأحبة المعترضين هو إدراك حقيقة أن اللعبة السياسية هي في الصميم من المشكلة، ولعلهم قرأوا مواقف المتربصين بمجتمعنا وتماسكه ورسالته وهويته، كما عكسها بيان لجنة الحريات الدينية في الكونغرس الأمريكي، وما انطوى عليه من عزف فاضح وصارخ على الوتر الطائفي في بلادنا، والخلاصة أننا نأمل من الأخوة أن يتلمسوا بحق ظروف المرحلة التي نعيش، علما بأن هذه المكاشفات أجريت قبل ذلك التقرير بأكثر من أسبوع.

أزعم أن ثالث سبب لي في اختيار ضيفي، هو تقديم وثيقة تاريخية يستفيد منها المجتمع والدعاة تحديدا والأكاديميون والباحثون في جامعاتنا، وذلك عبر محاولة تقديم توثيق معقول للحراك السياسي والاجتماعي والفكري لدى شريحة كبيرة من مواطني المملكة تضرب بجذورها في تاريخ المنطقة.

ولعلها المرة الأولى في صحافتنا التي يلقى فيها الضوء على طرائق التنشئة الاجتماعية وظروف المعيشة لهذه الفئة، فضلاً عن كيفية تلقيهم للعلوم المذهبية عبر سبر دقيق ستطالعونه في حلقات الحوار.

من حق الرجل عليّ أن أشهد له بالأدب الجمّ والتواضع الكبير، كما أنه محبوب من قبل شباب طائفته نظرا لطروحاته الفكرية والطائفية الوسطية التي تدعو للتعايش والتفاهم، وقد استقبلني بالترحاب في منزله بالقطيف، واستمهلني لغدي في إجراء المكاشفة كي يفاجئني في المساء بتقديمي كضيف لمجلسه الأسبوعي الذي تصورته حكراً على بضعة عشرات، فإذا بي أمام عتاة رجالات المنطقة بكافة اتجاهاتهم الفكرية. وكان ثمة رموز فكرية وصحافية ودينية ورجال أعمال موجودين في المجلس الذي امتلأ عن آخره. وقد قلب الشيخ اللعبة عليّ، فكانت المكاشفة معي لا معه.

في الحوار أسمعني الأخوة كثيرا من آمالهم وهمومهم وتطلعاتهم وشعرت حقا بوطنية حقيقية تسري في ذلك الجمع، وأعترف بأنني استمتعت بحديث صادق في مجلس مبارك وصريح، تناولنا فيه قضايا الوطن. وأزعم أنني محضت النصح وقد صارحتهم بضرورة قراءة الخارطة الوطنية جيدا، وعدم القفز على المراحل، وعدم نسيان أن كياننا المتماسك قام على تحالف تاريخي بين الإمامين ولا يمكن لأي عاقل أن يغفل هذا.

وسنكمل لاحقا في العدد القادم وأترككم مع ضيف مكاشفات فضيلة الشيخ حسن الصفار.

عبد العزيز قاسم

□ بداية نشكر لك تفضلك بالموافقة على أن تكون ضيفا في (مكاشفات)، ومن وحي الحوار الوطني الذي يقوده سمو ولي العهد، نترجمه واقعا عبر هذه المكاشفة معك يا شيخ حسن. ودعني ابتداء أطلب (صك أمان) منك تجاه مريديك، فثمة حساسية شديدة لي مع الشرعيين بعد مكاشفاتي مع الشيخ عائض القرني الذي غضب بعض مريديه ومحبيه من أسئلتي الصريحة، وبعثوا رسائل عاتبة جداً في قضية الأسئلة كونها بزعمهم لم تكن خليقة بالشيخ. وعطفا على ذلك فأنا أريد (صك أمان) منك أشهره تجاه محبيك. لم تك لي مشكلة مع المثقفين، فهم (ملطوشون) على أية حال ولا يتمتعون بمريدين ولا غير. وعليه أتوسم منك كلمة لتلامذتك ومحبيك كي أمضي بأسئلتي في صراحة شديدة؟

■ أولاً أشكر لكم هذه الزيارة وأشكر لكم إتاحة هذه الفرصة عبر هذا الحوار للتخاطب مع القراء الكرام ومع المواطنين في مختلف المناطق ومن مختلف الاتجاهات، وأعتقد أن نقرأ بعضنا البعض هذه أول خطوة في طريق التعايش والتعارف ومن ثم التعاون من أجل المصلحة المشتركة لديننا ودنيانا وأعدكم بأن يكون الحديث بحرية كاملة، فلا أعتقد أن هناك شيئاً يجب إخفاؤه. أما فيما يرتبط بالنشر فأنتم تقدرون الظروف وتعلمون ما ينشر وما لا ينشر.

أما بالنسبة لي فأعتقد إنني في وضع يفرض علي ويتطلب مني أن أكون واضحاً في طرح الإجابات والأفكار والمطالب والتطلعات وليس هناك عائق يمنعني أو يمنع أمثالي من أن يكون حراً منطلقاً في طرحه في حدود المحافظة على المصلحة العامة والالتزام بآداب الحوار والتخاطب في الإسلام.

بالنسبة للأتباع والمريدين أنا أعتقد أن الحالة الدينية أو المشايخ والعلماء كرسوا لأنفسهم في نفوس أتباعهم موقعية وهالة من الهيبة تمنع الكثيرين من أبناء المجتمع أن يتكاشفوا معهم وأن يكونوا صريحين وجريئين في التخاطب معهم، وأعتقد أن هذا ينبغي أن يزال، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حينما وقف أمامه إعرابي وكان يرتعد، قال له: هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة. كلما كان عالم الدين أكثر بساطة مع الناس استطاع أن يدخل إلى قلوبهم أكثر وأن يؤثر عليهم وأن يستقطبهم أكثر، ونحن نعيش في عصر نجد فيه كبار القادة وكبار الساسة من بيدهم مصادر أزمة القوة والسلطة ولكن الناس لديهم الجرأة في انتقادهم والاعتراض عليهم أن يخالفوهم ولا ينبغي للعالم ولرجل الدين أن يتلذذ أو يرتاح بأن تكون له هيبة مانعة من الانفتاح عليه أو مصارحته. ولكن كثيراً من هذه الحالات ناتج من احترام الناس لدينهم واحترام الناس للعلماء باعتبارهم مصادر للدين.

وفي مجلسي هذا المتواضع، حاولت أن أكرس هذه العادة بأن تتاح الفرصة للناقد، حتى الناقد لي والمعترض على بعض آرائي ومواقفي وأفكاري وأن يتحدث بكل صراحة وفي بعض الأحيان قد يتحسس بعض الحاضرين ويرى أن مثل هذه الطريقة من التخاطب لا تجوز في مجلسي، ولكني أُطبّع الحالة وأهون من الأمر، لذلك أعدك

بأنني سأتحدث مع كل من أرى منه انزعجاً بأننا يجب أن نتقبل المصارحة والمكاشفة لأنها هي الأسلوب الأمثل والمناسب لمعالجة الملفات المزمنة والحساسة.

تقيّة أم براغماتية مرحلية

□ هذه بداية تبشر بالخير يا شيخ حسن، وأنا سعيد جدا بهذا النفس الانفتاحي، وقبلها بصك الأمان منك(ضاحكا). وكم نحن بحاجة إلى تجسير الهوة بين أجيالنا وبين علمائهم ودعاتهم. وقبل أن أباشر أسئلتي، دعني أكون صريحا معك، بأن طيفا غير قليل من قراء هذه المكاشفة سيصرفون حديثك ويتوجسون من أنها قد تدخل ضمن نطاق التقيّة أو البراغماتية المرحلية.. وأستأذنك في طلب تعليق على ما سمعت.

■ هذا الموضوع سبق الحديث عنه في مناسبات عديدة، وهذا يدخلنا في بحث حول ما يثار عن الشيعة في استخدامهم للتقية ومن المؤسف جداً أن من نتائج الصراع المذهبي التنكر لبعض المفاهيم الدينية. مفهوم ديني يجري التنكر له بسبب الصراع المذهبي. التقية ليست قضية مطروحة عند حدود المذهب الشيعي ولكنها قضية قرآنية يطرحها القرآن ويطرحها الإسلام بشكل عام، القرآن الكريم فيه آيات عديدة تؤكد أن الإنسان إذا كان في موقع يخاف على نفسه الضرر أو يكون في موقع يسبب له مشكلة من إظهار رأيه وعقيدته فان له أن يلجأ إلى التكتم على رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته ومصلحته. إن القرآن الكريم يقول: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ والقرآن يقول: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ﴾ والقرآن يقول: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ ففي القرآن الكريم آيات تدل على هذا الأمر إضافة إلى القاعدة العامة ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ وحينما نعود إلى كتب التفسير نجد كل عالم يمر على هذه الآيات يستعرض هذا المفهوم، وفي الفقه نجد موارد مختلفة يبحث فيها الفقهاء أثر الإكراه والاضطرار.

□ **ولكن الاحتجاج هنا يا شيخ حسن قائم على افتراض أن هذه حالات استثنائية تقدر بقدرها وفي نطاقها الأضيق والاضطرار الشديد إليها. ولكننا نلاحظ بأن الأخوة الشيعة توسعوا في ذلك وجعلوه أصلاً من أصول طائفتهم؟**

■ هذا التوسع فرضته ظروف يعيشونها، نحن يجب أن نناقش المبدأ.. هل التقية مفهوم موجود في الإسلام. حينما يعاب على الشيعة استخدام التقية وتعتبر مأخذاً من المآخذ عليهم، ما يفهمه عامة المسلمين إن التقية ليست موجودة في الإسلام وهم يستخدمون شيئاً لا يصح استخدامه. ما يجب أن نميز هو أن المبدأ موجود أم لا؟ أما عن قضية التوسع فهذا يعود إلى الشخص نفسه في تقدير الظروف، وكل الفقهاء يقولون بالنسبة للحرج و الاضطرار أن شخص الإنسان هو الذي يقدر مقدار الاضطرار حينما يجيز الفقه الإسلامي للمضطر أن يأكل الميتة. مقدار الاضطرار وظرف الاضطرار ليس الفقيه هو الذي يشخصه وإنما يشخصه الإنسان نفسه فهذا التوسع فرضته ظروف للشيعة أنفسهم.

هناك نقاش بين العلماء، هل التقية موردها فقط من الظالم الكافر أو أنها أيضاً تكون من الظالم المسلم؟. بعض علماء السنة ربما يقولون بأن التقية من الظالم الكافر وأن الآيات الكريمة التي تحدثت عن التقية إنما هي في سياق التقية من الظالم الكافر، والبعض من علماء السنة وكل علماء الشيعة يرون مفهوم التقية أوسع حيثما كان هناك حاجة واضطرار إليها. فمذهب الإمام الشافعي مثلاً: أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس. وجاء في الموسوعة الفقهية التي أصدرتها وزارة الشؤون الإسلامية في الكويت ج١٣ ص ١٩٦:

«والحنابلة لا يرون الصلاة خلف المبتدع والفاسق في غير جمعة وعيد يصليان بمكان واحد من البلد، فإن خاف منه أن ترك الصلاة خلفه فإنه يصلي تقية ثم يعيد الصلاة... وقد ذكر ابن قدامة حيلة في تلك الحال يمكن اعتبارها من التقية لما فيها من الاستتار، وهي أن يصلي خلفه بنية الانفراد».

وحينما أُخذ العلماء من أهل السنة في عهد المأمون والمعتصم وامتحنوا ليقولوا بخلق القرآن استخدموا التقية إلا أربعة أو خمسة.

من ناحية أخرى التقية حين يبحثها الشيعة إنما يبحثونها في إطارين الإطار الأول دفع الضرر الشخصي أو فلنقل دفع الضرر المادي على الشخص أو على المجتمع. والإطار الثاني دفع الضرر عن الأمة وعن الوحدة الإسلامية ويعنون بذلك إذا كانت ممارسة حكم من الأحكام المقرة في المذهب تبرز حالة من الانشقاق في الأمة أو التمزق، فإن المذهب يجيز لأبنائه ترك ذلك حفاظاً على الوحدة لأولوية الوحدة وأهميتها وهذا ينبغي أن يحسب للمذهب كامتياز وليس مأخذاً عليه.

مراتع الطفولة العذبة

□ أتصور أن هذه بداية ملتهبة واشتباكا ساخنا له ما بعده. ودعني أقول لك بكل صراحة بأن ردودا مخالفة وحادة ستأتيني، وسيفند طلبة العلم رؤيتك هذه اعتراضا أو تأييدا في مناخ اختلاف شرعي وسأنشر منها ما كان موضوعيا مهما كانت حدته.. وعلى نهج المكاشفات سأبدأ معك من سني الطفولة ومراحلك الأولى.. هلا حدثتنا يا شيخ حسن عن ظروف ولادتك وتنشئتك الاجتماعية التي ترعرعت عبرها.

■ ولدت سنة ١٣٧٧هـ _ ١٩٥٨م وكانت ولادتي في مدينة القطيف، والأسرة التي نشأت فيها كانت محدودة الحال من الناحية المادية، ولكنها من الأسر المهتمة بالشأن الديني والاجتماعي لأن جدي لأبي كان عالم دين وكذلك جدي لامي كان خطيباً و بعض أعمامي وبعض أقربائي وحتى والدي نفسه كان يمارس شيئاً من الأدوار الدينية. حيث درس مقدمات العلوم الشرعية لفترة ثم فرضت عليه الظروف الحياتية أن يعمل وأن يصبح كاسباً في أعمال مختلفة، ولكنه بقي يمارس بعض الأدوار الدينية المحدودة فنشأت في هذه الأسرة ونشأت في بيئة محافظة من الناحية

الدينية والاجتماعية، وتعلمون طبيعة المجتمع الشيعي لديه مجموعة من المواسم والمناسبات الدينية التي تشد الإنسان إلى دينه ومجتمعه، عندنا أيام عاشوراء في مطلع كل سنة هجرية لمدة عشرة أيام يكون هناك ما يشبه الموسم الديني الثقافي الاجتماعي العام، كل أبناء المجتمع نساء ورجال كباراً وصغاراً يشاركون في هذه المناسبة وهي ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبهذه المناسبة تعقد مجالس نطلق عليها مآتم وهي محاضرات يميزها إثارة العواطف تجاه مأساة أهل البيت وما حدث لهم في كربلاء سنة ٦١هـ وفي شهر رمضان وطوال لياليه تكون هناك مجالس دينية للوعظ والإرشاد وذكر سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أهل البيت عليهم السلام والأحكام الشرعية المتعلقة بالصوم والصلاة وبقية الأحكام الفقهية وهناك اهتمام بمواسم وذكريات أئمة أهل البيت، كل إمام في أي يوم ولد حسب الروايات الموجودة في التاريخ وفي أي يوم مات، تعود المجتمع الشيعي أن يحيي يوم ميلاده وذكرى وفاته وفي هذه المجالس يأتي الخطيب ويتحدث عن سيرة الإمام صاحب الذكرى وكنت من صغري أذهب مع والدي لهذه المجالس فرغبت من صغري أن أسلك هذا الطريق وأتقمص دور الخطيب الذي يخطب في الحاضرين في هذه المناسبات وأتذكر إني كنت في الصف الرابع الابتدائي وكان عمري في العاشرة حيث بدأت أجمع الأطفال من أبناء منطقتي وأخطب عليهم كما يخطب الخطيب في المجلس الديني.

□ حقيقة أنا أحرص جدا على رصد هذه الأجواء التي سيقرؤها كثير من محبي(الرسالة) وأزعم بأنهم سيطالعون لأول مرة هذه التفاصيل الدقيقة لطائفة الشيعة بالمملكة وتكون كوثيقة تاريخية واجتماعية في رصد الحالة الشيعية وظروفها. وبعيدا عن موقفي الشخصي المعارض منها وموقف أهل السنة والجماعة مما تحدثت، لأنني أسألك كصحافي وليس كشرعي أناقشك مناقشة تخصصية تاركا ذلك لطلبة العلم.. وسؤالي التالي بعد هذه التوطئة: هل

□ **أتممت حفظ القرآن في هذه السنة العاشرة؟**

■ لا لم أحفظ القرآن كله، وإنما تعلمت قراءة القرآن كله، وحفظت أجزاء منه في الكتاتيب التي كانت متوفرة آنذاك وكانت تعلّم تلاميذها قراءة القرآن ولم تكن لدينا مدارس لتحفيظ القرآن.

بدأت أمارس دور الخطيب مع الأطفال من محلتي، فلفت ذلك نظر بعض الكبار وبدأوا يحضرون حتى يستمعوا، فرأوا إني ألتقط ما أسمع من الخطباء والعلماء وأعيد طرحه، و باعتبار إني كنت في مرحلة مبكرة من العمر لفت هذا الأمر الانتباه فصار الكبار يدعونني لكي أخطب فصرت وعمري آنذاك في الثانية عشرة أمارس الخطابة كأي خطيب من الخطباء الموجودين في البلد، ولصغر سني كان ذلك لافتاً وكانت هناك حفاوة من أبناء مجتمعي وتشجيع لي على هذا المسار ثم عندما سمع الأهالي في الأحساء أن هناك صغيراً في السن يقرأ ويحفظ ويخطب دعيت إلى الأحساء وبدأت أخطب هناك، ثم دعيت إلى مناطق أخرى إلى الكويت وإلى البحرين وكان يشفع لي صغر سني فهذا دفعني أكثر إلى التخصص في دراسة العلوم الشرعية بعد إن أنهيت المرحلة الابتدائية.

□ **بعد هذا السبر العريض، بودي أن تتذكر لنا بعض أساتذتك ومشايخك الذين تأثرت بهم إبان تلك الفترة المبكرة؟**

■ تأثرت بمجموعة من الخطباء في مسلكي الخطابي الذين كانوا يمارسون دور الخطابة في البلد، ومنهم الخطيب السيد هاشم السيد شرف الحسن رحمه الله (١٣٢٣ ـ ١٣٨٧ هـ) من مدينة صفوى، والخطيب الشيخ عبد الحميد المرهون، والخطيب الشيخ سعيد أبو المكارم وهما موجودان يحفظهما الله، وخطباء آخرون ولكن هؤلاء الخطباء الثلاثة وبشكل رئيسي تأثرت بهم أكثر من بقية الخطباء وربما في بعض الأحيان أحفظ نسبة كبيرة من المواضيع التي يطرحونها، أحفظها وألقيها في مجالس أخرى وعلى مستمعين آخرين. بعد ذلك انفتحت على الكتاب وبدأت اقرأ في الكتب وأمارس دور التثقيف الذاتي وكوني أمارس الخطابة ساعدني على الاقتراب من العلماء.

وكان من أبرز العلماء في القطيف على المستوى الشعبي والاجتماعي الشيخ فرج آل عمران (١٣٢١هـ-١٣٩٨هـ) وكان عالماً فاضلاً ومحلاً لثقة الناس وتقديرهم فكنت أرتاد مجلسه يومياً خاصة في أيام عطلة الصيف وتأثرت به كثيراً حيث كنت أستمع إلى إجابته للمستفتين والمستفسرين، وامتاز هذا العالم بانفتاحه الاجتماعي واهتمامه بالمذكرات التاريخية وله كتاب مميز أصبح مرجعاً ومصدراً في تاريخ المجتمع والمنطقة واسمه (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية) كان هذا العالم يكتب مذكراته يومياً، من يلتقي معه، من يحادثه من يزوره، أسفاره وأشعاره وإجاباته الدينية يدون كل شيء، ويطبع جزءاً بعد جزء وعند وفاته بلغ عدد الأجزاء المطبوعة خمسة عشر جزءاً، كنت أرتاح كثيراً لهذا الكتاب وكنت أقرأه دائماً وربما قرأته أكثر من مرة وعن طريقه تعرفت على بقية العلماء حينما يذكر مثلاً أنه زامل العالم الفلاني في الدراسة أجد في نفسي رغبة للتعرف على هذا العالم الذي ذكره الشيخ في كتابه فأسأل عنه وأبحث عنه، وحتى عندما سافرت إلى العراق وإيران كان في بالي الأسماء التي ذكرها الشيخ فرج آل عمران في كتابه أنه زارهم فكنت أسعى لزيارتهم لأن أسماءهم رسخت في ذاكرتي من خلال قراءتي لمذكرات الشيخ، وهناك علماء آخرون مثل الشيخ ميرزا حسين البريكي (١٣٢٦هـ-١٣٩٦هـ) هذا كان عالماً وخطيباً وأديباً، كنت أحضر مجالسه وكان هو يحضر في أحايين كثيرة مجلس الشيخ فرج آل عمران.

وكنت أستمتع جداً بحديثه لأنه كان منفتحاً على الكتب الجديدة التي كانت تصدر في القاهرة ككتب طه حسين وكتب عباس محمود العقاد وكتب مصطفى لطفي المنفلوطي وكتب عبدالله العلايلي وجورج جرداق وجورجي زيدان وغيرهم وكان ينقل عبارات من هذه الكتب وهذا ما شوقني للاطلاع على هذه الكتب أيضاً فصرت اقرأ وأتابع هذه الكتب. ومن العلماء الذين تأثرت بهم الشيخ عبدالحميد الخطي رحمه الله (١٣٣١ - ١٤٢٢هـ) القاضي السابق لمحكمة الأوقاف والمواريث في القطيف وكان عالماً أديباً يدرس مسائل الفقه كل ليلة في مسجده بعد صلاة المغرب والعشاء فكنت أواظب على الحضور وأستفدت من دروسه كثيراً كما كنت أحضر مجالسه ويدور فيها حديث الشعر والأدب حيث كان شاعراً ناقداً. وتأثرت كذلك بالشيخ علي المرهون وكان عالماً خطيباً متواضعاً يقطن في نفس حارتنا.

ولكن أين علماء السنّة؟

□ **أنا أتفهم تأثرك بعلماء طائفتك، ولكن اعذرني في هذا السؤال: ألم تتأثر ببعض علماء السنة ممن استمعت إليهم؟**

■ في ذلك الوقت لم يكن هناك انفتاح، ولذلك لم أتعرف على أحد من علماء أو خطباء السنة.

□ **هل أستطيع القول بصراحة هنا، ومن وحي إجابتك، بأن هناك نوعا من السياج الفكري المضروب حول أبناء الطائفة.. لكأن الآخر المذهبي (تابوا) بالنسبة لكم؟**

■ نعم في بداية حياتي كانت ثقافتي ونشأتي في حدود البيئة الشيعية في القطيف ولم يكن لدي انفتاح على أي عالم أو خطيب من أهل السنة، نعم كان لدي بعض الانفتاح على بعض الكتب خلال ما أسمع عنه من المشايخ والعلماء حينما يتحدثون عن كتاب من الكتب أهتم بالاطلاع عليه ومطالعته، وعلماء الشيعة مكتباتهم شاملة، مثلاً الشيخ فرج آل عمران له مكتبة، كتب السنة فيها ربما كانت تضاهي كتب الشيعة، وكذلك مكتبة الشيخ ميرزا حسين البريكي فكنت أطلع على كتب أهل السنة وأطالعها وأقرأها، فعلماؤنا كانوا يستدلون ويستشهدون ببعض الآراء في التفسير والفقه لعلماء أهل السنة ولكن كتواصل اجتماعي لم يكن في بيئتنا انفتاح على علماء من خارج المذهب الشيعي. أما السياج المضروب حول أبناء الطائفة فالآخرون يتحملون مسؤوليته لموقفهم الحادّ من الشيعة والذي ينتج رد فعل طبيعي.

□ **نحن نتحدث عن أربعة عقود خلت.. لا أدري يا شيخ حسن هل مازال عدم الانفتاح هذا قائماً لحاضرنا الذي نعيش..وفي منطقة القطيف تحديداً؟**

■ هناك انفتاح عام فرضته وسائل الإعلام والتواصل الحديث وكذلك الأسفار

والاختلاط في الجامعات والوظائف ولكن على المستوى الاجتماعي مازال هناك شيء من الانغلاق من قبل الطرفين، الآن تبرز صورة أخرى فالشيعة يرغبون في الانفتاح ويلحون في التواصل ولكن الطرف الآخر هو المتحفظ، أنا شخصياً أذهب لزيارة المشايخ من أهل السنة والقضاة في المحكمة الكبرى في القطيف ولكننا فشلنا لحد الآن في إقناع أحد منهم في أن يتزاور معنا ولم تحدث إلا حالة واحدة إن أحد القضاة في السنة الماضية وافق أن يحضر في منتدى الأستاذ جعفر الشايب وهو الشيخ صالح الدرويش وكان حضوره حدثاً لمجتمع القطيف.

□ ندرك يا شيخ حسن إن التراكمات التاريخية الحاصلة تحتاج إلى بعض الوقت لفك مداميك أزمتها التاريخية..هذا إذا استطاع الوسطيون والعقلاء فكها..

■ نحن الآن في مرحلة توصيف الحالة ولسنا في مرحلة التحليل، ففي التحليل هناك كلام كثير..

□ لا بأس ، فلنعد إلى قراءتك في تلك الفترة. لكأنها اتجهت اتجاهات دينية صرفة. ألم تك بموازاة ما ذكرت قراءات أخرى في الأدب والشعر والفكر.

■ قراءتي في تلك الفترة في المجالات الأدبية والفكرية بالفعل كانت قليلة إلا في حدود كتابات طه حسين وكتابات عباس محمود العقاد والمنفلوطي وهذه طبعاً محسوبة ضمن المجال الأدبي ولكنها تخدم المعارف الدينية، كنت اقرأ ما يخدم المعارف الدينية في تلك المرحلة الابتدائية.

□ هل ثمة شخصية معينة تعهدت الطفل حسن الصفار آنذاك بالرعاية والتوجيه والمتابعة لما يقرأ؟

■ لم يكن الأمر كذلك، بل كان رغبة واجتهاداً شخصياً ولم يكن عندنا من العلماء من هو مهتم بأن يجمع حوله طلاباً ومريدين وأن يربيهم، أغلب العلماء الذين

تعرفت عليهم يقتصرون على المستوى العام يخطبون في الجمهور خطابات عامة وربما كان لبعضهم طلاب يدرسون عندهم العلوم الدينية ولكن هذا بشكل محدود، وكان لمجالس بعض العلماء دور في تنمية بعض الكفاءات الأدبية والثقافية بشكل عفوي. كانت الحركة العلمية في القطيف آنذاك مصابة بحالة من الفتور والشلل وكان عدد العلماء محدوداً في القطيف وعدد طلاب العلوم الدينية كان محدوداً ولكن فيما بعد حدث نوع من الاندفاع والإقبال وخرج كثير من الطلاب للدراسة في الحوزات العلمية، فأصبح لدينا الآن عدد وفير من العلماء وطلاب العلوم الدينية، ولكن في تلك الفترة وأنا أتحدث عن ١٣٨٥هـ كان عدد العلماء في القطيف محدوداً ويعدون على أصابع اليد في كل محافظة القطيف وقراها ومدنها. كان هناك عدد من الخطباء ولكن ليس كل خطيب عالماً.. قليل منهم درس العلوم الشرعية وكثير منهم كان يقتصر على قراءة التواشيح والأشعار والسير التاريخية.

□ بالنسبة للمدارس التي درجت فيها: هل كانت حكومية أم كتاتيب؟

■ نعم، درست المرحلة الابتدائية في مدرسة زين العابدين بالقطيف والمتوسطة بمدرسة الأمين المتوسطة بالقطيف.

□ تبقى لسن المرحلة الابتدائية كثير من الذكريات العذبة التي لا تمّحي. ما الذي تتذكره من أحداث وعلقت بذاكرتك ولم تبارحها وأنت الآن أمامي في هذا العمر شيخ حسن؟

■ الذي أتذكره أن بعض المدرسين من الفلسطينيين والأردنيين كانوا يتحدثون لنا في بعض الأحيان عن وضع فلسطين وعما يجرى في الأردن، وكان بعضهم يسرب بعض الأفكار فيما يرتبط بالقومية العربية وفيما يرتبط بمصر وبجمال عبد الناصر، ففي ذهني لمحات كنت أسمع في المدرسة بعضاً من هذه الأشياء لأن أغلب المدرسين كانوا غير سعوديين، فكنت أسمع منهم عن بلدانهم، وكانت المدرسة تمثل لي انفتاحاً على نسق جديد بخلاف البيئة التي كنت أعيش فيها، هذا ما لفت نظري في تلك

المرحلة، والشيء الآخر الذي أتذكر إننا كطلاب في تلك المرحلة كنا نعيش حالة من الشدة من قبل الإدارة ومن قبل المدرسين، كان هناك انضباط صارم وتعامل قاس من قبل المدرسين على الطلاب، أتذكر الكثير من الحالات التي كان يضرب فيها الطلاب عند أقل خطأ بالعصا وكيف كان بعضهم يُخرج إلى الشمس، وقد يعاقب كل الفصل عقاباً جماعياً عند حصول خطأ من بعض الطلاب.

□ هذه كانت حالة عامة في كل مدارس المملكة..لكن اعذرني في سؤال لـ(معلم الصبية): هل سبق لك وأن وضعت على الفلقة وبرّحت بك ُقبل العصا في قدميك بتلك الأزمنة؟

■ لم يحصل أن وضعت على الفلقة.. لكن حصل في بعض الأحيان أن كانت عقوبات بسيطة، وكان من أسبابها إنني كنت في أيام المناسبات الدينية باعتباري أمارس الخطابة أتغيب أو أقصر في بعض الواجبات، ولكن فيما بعد تفهمت الإدارة وتفهم المدرسون وضعي فصاروا يخاطبوني (بالمطوع)، وعرفوا عني هذا التوجه، وأتذكر هنا قصة طريفة هي أن مدير مدرسة زين العابدين الابتدائية في القطيف الأستاذ سعد الرحيل وهو من قبيلة الخوالد من قرية عنك من قرى محافظة القطيف يسكنها أخواننا السنة باعتباره يعرف الأعراف والتقاليد الموجودة في المجتمع، ويسمع عني حسب التعبير (ملاّ) وخطيب لذلك كان يعاملني تعاملاً مميزاً ويغض الطرف عن غيابي في المناسبات الدينية خاصة في مناسبة عاشوراء التي أكون فيها مشغولاً بالخطابة لمدة عشرة أيام، وأذكر أنه في عام ١٣٨٨هـ كنت مرتبطاً بالخطابة في الأحساء فجئت إلى المدير وقلت له إني سأقرأ في الأحساء ولذلك احتاج إلى إجازة عشرة أيام، ولم يكن متعارفاً أن يأخذ طالب إجازة عشرة أيام، ولكن قدر ظرفي وسمح لي بالذهاب إلى الأحساء وفوجئ بطلب آخر قلت له: إني لا أستطيع أن أذهب وحدي وإنما معي زميل بالصف، وإني سآخذه معي مرافقاً. فسمح لمرافقي بذلك وسافر معي هذا الزميل، وكنت في الصف السادس الابتدائي وعندما انتقلت إلى المرحلة المتوسطة صاروا يطلبون مني دوراً في الإذاعة الصباحية، وبالفعل كنت أدير أغلب البرامج وحتى ظهرت عندي بواكير الشعر في تلك المرحلة فبدأت أنظم الشعر وكان شعراً بسيطاً

وأهميته تنبع من أني كنت أتحدث فيه عن قضايا المدرسة وكان الجميع يعاملونني باحترام باعتبار إني كنت أمارس الدور الديني والخطابي.

التعايش الطائفي الفريد

□ ذكرت في إجابتك هذه قرية (عَنك) وقبيلة (الخوالد) السنية وتعامل المدير معك. لكأني أستشف تعايشا طائفيا صورته إيجابية جدا. غير ما ترسّخ في الذهنية البعيدة عنكم. هلا صححت لي؟

■ على مستوى الناس كان هناك تداخل وتواصل طيب بين السنة والشيعة في منطقة القطيف، تعلمون أن أكثرية أهل القطيف هم من الشيعة، ولكن يوجد بعض القرى التي بها أهل السنة كقرية عنك ودارين وأم الساهك وبعض القرى الأخرى، كانت علاقتهم مع الشيعة علاقة طيبة، هناك تواصل اجتماعي في الأفراح والأتراح وحتى أن بعض علماء السنة في المنطقة كانوا يدرسون عند بعض علماء الشيعة وكان والدي يحدثني أن إمام الجماعة في دارين اسمه السيد إبراهيم كان يأتي إلى تاروت ويتلقى علومه في اللغة العربية والنحو على يد علماء الشيعة ويتواصل معهم ويتواصلون معه، وأهل عنك إلى الآن يتميزون بعلاقات طيبة مع بقية مواطني القطيف.. كان السوق الرئيسي في المنطقة في القطيف كان سوقاً شعبياً عاماً فكان السنة والبدو من كافة المناطق يأتون إليه ويشترون ويبيعون، وبعضهم عندما يهاجرون إلى البادية يتركون أموالهم وصكوكهم أمانة عند أهالي القطيف، وكان هناك تداخل اجتماعي وتداخل مصلحي واقتصادي ولم تكن هناك تشنجات ولا فواصل ولا حواجز بين السنة والشيعة، وأنا أتحدث عن القطيف والحال في الأحساء أوسع وأفضل لأن هناك تداخلاً في أغلب المناطق بين الشيعة والسنة، وكان بينهم علاقة طبيعية، وأخبرني بعض أدباء السنة في الأحساء ومن شخصياتها المعروفة أنهم درسوا في كتاتيب شيعية وعند علماء ومدرسين شيعة وكانوا يحضرون مجالس ومنتديات الشيعة ولم تكن الحالة متشنجة بل كانت طبيعية وطيبة.

أمريكا واللعب على الوتر الطائفي

□ ولكن يا شيخ حسن، وأنا أنصت لك الآن، وأقارنه بما نسمعه من تشكٍ دائم وحسينيات متتالية منكم تجاه الآخر الطائفي واتهامه بالإقصاء والأحادية وجملة من التظلمات، لأجد بعض المفارقة. ما نحن بصدده مسألة وطنية تهمنا جميعاً كمجتمع وأفراد، خاصة في هذه الظروف التي نعيشها الآن ولا يخفاك، وأنت السياسي المحنك، محاولات راعي البقر الأمريكي الجاثم بخاصرتنا الشمالية في العراق ومزايداته ولعبه على هذا الوتر الطائفي الساخن والحساس. هلا أوضحت لنا وجهة نظرك؟

■ هناك عوامل استجدت، العامل الأول: كما تعلمون إن أجهزة الدولة أخذت في التشكل شيئاً فشيئاً، في الماضي كانت تدار الأمور بالبساطة، لم تكن هناك دوائر حكومية متعددة لمختلف التخصصات، كان هناك أمير وشرطة وشيء محدود كما هو شأن كل المناطق في المملكة، كان الوضع أقرب إلى حالة البساطة والعفوية، لكن شيئاً فشيئاً بدأت تشكل أجهزة للدولة وبدأت تتكون قوانين لمختلف المجالات والأمور، مع هذا التشكل لمؤسسات الدولة لم تكن هناك مراعاة لخصوصية المجتمع الشيعي في مجاله الديني وفي مجاله الاجتماعي، فأصبح الإنسان الشيعي يصطدم بهذه القوانين التي لا تأخذ خصوصيته بعين الاعتبار، هذه نقطة أما النقطة الثانية فالموظفون الذين شغلوا هذه الدوائر الرسمية والحكومية غالباً من غير أهل المنطقة، لأن المسؤول كان يوظف من يعرفه ويعرف كفاءته وقدرته، فبدأ الشيعة يشعرون ويتساءلون لماذا يبعدون من الدوائر والمؤسسات، وخاصة على مستوى المديرين ليس من منطقتهم هذا أوجد عندهم حساسية وتساؤلات، ولا يزال إلى الآن أغلب الأجهزة الحكومية إن لم يكن كلها لا مجال فيها لابن المنطقة لمواقعها الإدارية، وأنا هنا لا أتحدث كشيعي أو سني وإنما كابن لهذه المنطقة قطيفي يعيش في القطيف، والمؤسسات الحكومية موجودة

وهو لديه كفاءة لا تقل عن كفاءة غيره، لكن يجد نفسه مستثنى، ولا يمكن أن يكون مديراً في رتبة متقدمة كمحافظ أو مدير شرطة أو رئيس بلدية أو لأي جهاز أو مؤسسة، وهذا أثار في نفوس الشيعة التساؤل، قوانين وقرارات لا تراعي خصوصيتهم خاصة في المجال الديني والثقافي، الوظائف والمناصب أيضاً تستثنيهم وأضيف إلى ذلك عاملا آخرا مفاده أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران دخلت المنطقة وضعاً جديداً، وأصبحت التعبئة الطائفية جزءاً من الصراع في المنطقة، فالشيعة ارتفعت معنوياتهم وبدأوا يسمعون لإذاعة الجمهورية الإسلامية في إيران ويتفاعلون مع ما يطرح هناك، ومن ناحية أخرى كان السنة يتعبأون ضد الشيعة دينياً وثقافياً من خلال الخطب والفتاوى في تلك الفترة وهي معروفة.. هذا كله أوجد هذا التشنج الذي يشكو منه الواعون والمخلصون من الطرفين.

□ اسمح لي يا شيخ حسن، وقد تركتك تكمل ولم أجادلك بسبب أنني سأناقشك بالتفصيل عن ملابسات الثورة الإيرانية وتأثيراتها عليكم وعلى المنطقة. ولكنني أزعم بطبيعية هذه المآلات والتشنجية المصاحبة لها، وعندما نضع هذه القضية بكل ملابساتها السياسية والدينية على طاولة التشريع العلمي والقراءة التاريخية والعلمية لها سنرى حتمية النتيجة عبر هذا السياق. دعنا إذاً نترك هذا الموضوع وسؤالي لك.. هل مازلتم وبعد الحوار الوطني وتوجيهات الأمير عبد الله تشعرون بما ذكرت؟

■ بعد الحوار الوطني زادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم، فتوصيات الحوار والكلمات التي ألقيت بين يدي سمو ولي العهد وحديث سموه الصريح يشكل إيذاناً بمرحلة جديدة ولازلنا في مرحلة التوقع والانتظار حيث لم تتحدد آلية معينة لتطبيق تلك التوصيات بعد.

□ وتلك مسألة أخرى، وأستأذنك في العودة بزمام

الحوار إلى مبتدئه.. متى أكملت المرحلة الابتدائية؟

■ أكملت المرحلة الابتدائية سنة ١٣٨٨هـ.

□ **لأعد إلى مهنتي وأسألك سؤال "معلم الصبية".. كم كان تقديرك؟**

■ لم يكن ممتازاً، كان جيد جداً، ولا أريد أن أدافع عن نفسي ولكن انصراف هوايَ إلى العلوم الشرعية والدينية قد يكون هو السبب.

□ **سأنتقل هنا طالما كان هذا التقدير الوسط يا شيخ حسن، وأنت داعية للوسطية، إلى المرحلة الأخطر في عرفنا نحن المعلمين، وهي مرحلة المتوسطة بسبب علامات البلوغ وحشرجة الصوت والشعور بالرجولة وما يتبعه من عناد ساذج.. ما الذي علق بذاكرتك من المرحلة المتوسطة؟**

■ في المرحلة المتوسطة بدأت علاقتي مع الإدارة ومع المدرسين تصبح مميزة، وبدأت أمارس دوراً في إذاعة الصباح، وصار يعتمد عليَّ في حل بعض مشاكل الطلاب حينما يكون بعض الطلاب بينهم مشاكل أو بعض التقصير في الواجبات المدرسية. فالإدارة أو المدرسون باعتباري "ملا" يطلبون مني أن أتحدث معهم فبدأت آخذ دوراً داخل المدرسة لا أذكر شيئاً أكثر من هذا.

□ **وماذا عن معلميك ومدى تأثرك بهم؟**

■ علاقتي بالمعلمين كانت طيبة.. ولم يكن هناك تأثر بهم لأن مصادر التأثر خارج المدرسة كانت هي الأكبر. والشيء الجديد بالنسبة لي كان درس الإنجليزي في المدرسة المتوسطة وأذكر أن جدتي أم والدي -رحمها الله ـ كانت تقول لي إذا أردت أن تقرأ القرآن وكنت تحدثت باللغة الإنجليزية يجب أن تطهر فمك أولاً.

هذا يكشف لك حالة التحفظ التي كانت عندنا، أنا لم أكمل المرحلة المتوسطة حيث غادرت للعراق لأكمل الدراسات الشرعية.

فما أكملت الصف الثالث المتوسط، فقد كنت عازفاً عن هذه الدراسة وكنت أجد نفسي أضيع وقتي، لذلك طلبت من والدي أن يسمح لي بالسفر إلى العراق والالتحاق بالحوزة العلمية وسافرت بالفعل إلى هناك.

تفرقة طائفية أم توجس موهوم؟

□ هنا سأسألك بكل صراحة. لطالما سمعت التشكي من قبل أبناء الطائفة لديكم بالتمييز في المدارس. وسؤالي لك يا شيخ حسن. هل شعرت بشيء من التفرقة الطائفية في المدارس الحكومية؟

■ في ذلك الوقت لم يكن لدي شعور بالتفرقة الطائفية وكانت الأمور عادية وطبيعية، فقط كانت بعض المناهج الدينية في التعليم تتحدث عن بعض الممارسات والتوجهات الشيعية حديثاً قاسياً تعتبرها بدعاً وتعتبرها شركاً ولكن كان التوجيه في بيئتنا ومجالسنا يوضح لنا الأمور بشكل يتناسب مع مذهبنا.

□ أفهم من حديثك بأن ثمة تحصيناً طائفياً قوياً يحقن به الطالب من طائفتكم قبل التحاقه بالمدارس الحكومية؟

■ ليس تحصيناً وإنما هي الحالة الطبيعية. الولد يتأثر بوالديه وبأحضان عائلته. ليس هناك تحصين مقصود يمارس، لم تكن عندنا مؤسسات لا أذكر أن أحداً كان يدرس هؤلاء الطلاب الصغار ويعلمهم، لكن الحالة الطبيعية كانت تنتج ذلك لأن التصاق الولد بعائلته كبير. لم تكن هناك برامج تليفزيونية ولا كرتونية ولا برامج مسلية أو برامج رياضية ينصرف إليها الطفل، لذلك كانت علاقته بوالديه وعائلته قوية جداً يعايشهم دائماً ويعايشونه، وبشكل طبيعي يأخذ دينه وعاداته وأعرافه. ولكن المدرسين

الذين يدرسون المواد الدينية آنذاك لم يكونوا متحمسين للتركيز على القضايا الخلافية خاصة وإنهم كانوا في الغالب من خارج المملكة، وبعضهم من بيئات منفتحة.. لذلك كانوا يدرسون المنهج كما هو ولا يؤكدون كثيراً على مثل هذه الأمور. ولكن ما حصل بعد ذلك عندما أصبح مدرسو هذه المواد غالباً من أبناء المملكة خريجي كليات شرعية وفي هذه الكليات تصبح لديهم توجهات أكثر عقدية يركزون عليها. هنا دخل الطلاب الشيعة مرحلة جديدة ولازالوا يعيشونها حتى الآن. ولا تكاد تمر سنة وإلا تحدث مشكلة ما بسبب المواد الدينية لأن مدرس المادة الدينية يأتي ولديه رسالة تبليغ أو تبشير يريد أن يهدي هؤلاء الناس الضالين أو الذين يمارسون البدع والانحرافات حسب رأيه، فتحصل المشاكل في تلك الفترة لم نكن نعاني من هذه الحالة.

□ يا شيخ حسن، أنت رجل تتسم بالواقعية. واسمح لي بمناقشتك بأسلوب علمي. لو عكست لك المسألة وأخذت إيران مثلاً أو أية دولة مشابهة أخرى، من الطبيعي جداً أن تتحكم الطائفة الأكبر والأيديولوجيا الأوسع فضلا عن منهج قام كيان ودولة عليه، من الطبيعي أن يبشر دعاتها بأيدلوجيتهم في كل اتجاه، لسنا بدعا من الأمر، ولسنا في حالة استثنائية كي يلقى كل اللوم علينا في أوقات سياسية صعبة وحساسة.. أتمنى أن تكون رسالتي واضحة هنا.

■ إن مرحلة الطفولة لا تحتمل الصراع داخل عقل الطفل، ولذلك نجد مثلاً في إيران إن إدارة التعليم لا تترك مجالاً لمثل هذه المشكلة.. مناهج التعليم الديني في مناطق السنة في إيران هي وفقاً للمنهج السني وليس طبقاً للمنهج الشيعي. ولذلك أرى أنه من الصحيح فيما يرتبط بالمادة الدينية أما أن يكون التعليم للقيم الدينية العامة التي تشكل جامعاً مشتركاً أو أن يكون التعليم مشتملاً على كل الآراء بإيراد رأي المذاهب في أي مسألة، أما أن تأتي إلى مجتمع ضمن مذهب معين وتسلط معلمين مبشرين على أطفال في مرحلة التكون هذا يجعل الطفولة ساحة لصراع فكري ونفسي لا يتحمله الأطفال.

وطن واحد..ومنهج واحد

□ سأصارحك يا شيخ حسن بتوجسي الشديد من الدعوة التي تقول، لسبب بسيط يتمثل بأننا وطن واحد، لابد وأن ينتظمه منهج واحد متسامح. أما فكرة التقسيم القديم إلى مناطق شيعية وسنة فهذا إن صح قبل ٤٠ سنة فليس صحيحاً الآن بعد أن تشّكل الكيان وانتظم تحت وطن واحد!

■ سيحتاج هذا إلى أمرين: الأمر الأول فلنجعل التعليم خاصة في مراحله الأولى يركز على المشتركات. والأمر الثاني ما عبر عنه في بعض الندوات بأن لا يكون هناك منهج خفي بحيث لا يكون هناك دور تبشيري في مرحلة الطفولة، هذا المعلم الذي يأتي إلى منطقة شيعية يجب أن يأخذ هذه القضية بعين الاعتبار، إذا أراد أن يبشر بفكره ومذهبه فله الحق، لكن عليه أن يتحدث إلى البالغين الراشدين، أما أن يأتي إلى أطفال في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة ويقول لهم آباؤكم مشركون وأمهاتكم أمهات بدع وعائلاتكم كلها ستدخل نار جهنم فهذا غير مقبول ولا معقول!

ولأن المناطق أصبحت مختلطة سنة وشيعة، طيب إذا كان الصف يحتوي على طلاب سنة وشيعة ويأتي المدرس ليتحدث مثل ذلك الحديث هو يوجد تحريضاً للطلاب على بعضهم البعض وهذا ما يحدث الآن في بعض المدارس.

إذا كان هناك سنة وهناك شيعة ويأتي المدرس ليتوسع في شرح زيارة القبور ويقول هؤلاء قبوريون ويعبدون غير الله بزيارتهم للقبور والذين يتوسلون بالأئمة والأولياء مشركون وما إلى ذلك فتصبح هناك جدليات ونقاشات بين الطلاب أنفسهم وبالتالي ينفرز الصف فهذا شيعي وهذا سني وأنت مشرك وأنت رافضي وأنت وهابي، هل هذا من المناسب في وطن واحد؟

وعليه يجب أن يركز التعليم على المشتركات العامة أو إذا كانت هناك مصلحة في ذكر رأي المنهج الرسمي السائد فلا يكون هناك تركيز على التحريض ضد الآخر.. من وصف الطرف الآخر بالشرك والابتداع فهو غير صحيح مثلاً في الحجاز يقيمون

الموالد، طيب أنت حين تأتي وتتحدث إن إقامة الموالد من البدع وفيه ضلال وفيه شرك كما توجد عبارات في المناهج تقول بهذا وهو يرى أن أسرته تحتفل بمولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكيف سيعالج الطفل هذا التناقض؟

ولذلك يجب أن نجنب التعليم هذه الخلافيات.

□ سأتجاوز حديثك عن سنة إيران، لأن لي فيها كثيرا من الوقفات والملاحظات التي سأقفها لاحقا معك، بيد أنني سأتطوع بلفت نظرك إلى تلك المراجعات الصريحة التي تبدت في بعض رموز التيار الديني المحلي ودعاته، ومن الذين أدركوا خطورة المرحلة، ولعلك رصدت هذا يا شيخ حسن، وليس حديثي تأييدا في ما طرحت، بيد إنني أتمنى أن يتجاوز الغيورون من الطائفتين هذه الإشكاليات ليتعايشوا تحت مظلة وطنية نفيء إلى ظلالها دون طعن عقدي.. دعني أعود هنا للفتى حسن الصفار الذي تقولب وتمشيخ في فترة مبكرة من عمره ألم يؤثر ذلك عليك في مسيرتك لاحقاً؟

■ لا أعرف ماذا تقصد بالتأثير.!!

□ (مبتسما) تتذكر مقولة الإمام الشافعي في تصدّر الغلام، ورميت من سؤالي بأنك لم تشب بين أقرانك كأي فتى ولم تأخذ طفولتك بشكل كامل وطبيعي. والسؤال: ألم تؤثر هذه المرحلة التي عشتها (متمشيخا) على نفسيتك وطرائق تفكيرك واختياراتك الآن وأنت في عقدك الرابع؟

■ باعتباري كنت راغباً ولم يكن أحد قد فرض عليَ هذا التوجه ووالدي لم يكن متشجعاً لكي أذهب للدراسة الدينية في البداية، وكان سبب ذلك خوفه عليّ من أن

أذهب إلى العراق وأتغرب في سن مبكرة، لذلك كنت مرتاحاً لتوجهي. أشعر بالفعل بأنني لم أمارس اللعب بالمقدار الكافي في مرحلة الطفولة كبقية أقراني إذ كنت أمارس بعض الألعاب لفترة وجيزة وبسيطة، ولكن بالفعل هذا التقولب في هذه المرحلة المبكرة حرمني من الاسترسال في مرحلة الطفولة، لكنني أشعر بامتلاك حصيلة ما من التجارب في مجال العمل الديني والاجتماعي لبدايتي المبكرة.

مكاشفات .. الحلقة الثانية

- المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب فهم لم يأتوا أبدا لحماية الأقليات أو نشر الديمقراطية.

- المطلوب منا الآن هو تصليب الوحدة الوطنية وسدّ الثغرات التي ينفذ منها العدو وليس تبادل الاتهامات

- الموقف حساس والمشروع الأمريكي للهيمنة على المنطقة خطير وهم يلعبون على وتر الأقليات والصراعات الطائفية

- كتاب (الكافي) لا يدرّس أبداً ونحن الشيعة لا نتعامل معه كما يتعامل إخواننا السنة مع الصحيحين

- في حوزاتنا العلمية لا ندرس كتاباً للتجييش الطائفي ضد إخواننا السنة بل أغلب كتبنا الدراسية وخاصة في علوم اللغة العربية والمنطق هي لأهل السنة.

- ليس هناك تحصين قادر على استيعاب كل أبناء المجتمع واخترقنا بسبب ضعف الحركة الثقافية الدينية والغبن

- لماذا يتحول الأمر إلى تشكيك في الولاء والانتماء بالنسبة للشيعة دون غيرهم؟

بين يدي مكاشفات*

دعوني أعترف بأنني لم أتوقع أن يحظى الجزء الأول من مكاشفات الشيخ حسن الصفار بكل هذا الاهتمام من قبل النخب الفكرية المحلية، فقد فاق ما كنت أتوسمه حينما تلمست رضا وقبول الكثيرين من قراء (الرسالة).

صحيح أنني كنت مستشرفا بعض ذلك، بيد أنني توقعت أيضا ردة فعل عنيفة من قبل أطياف إسلامية عُرفت عنها حدية الموقف، إلى جانب روح المفاصلة الطائفية حيال مسألة الشيعة برمتها.

يكفيني على أية حال ما وجدته من استشعار المجتمع ونخبه وقادته لأهمية ما قدمنا، عبر إتاحتنا الفرصة لشريحة من أبناء الوطن كي يعّبروا عن أنفسهم وهمومهم في إطار حوار داخلي ومراجعات وطنية خلاقة تتم عبر المنابر الشرعية المتاحة.

لكم نحن بحاجة إلى مناقشات تتسربل الشفافية وتعتمد المكاشفة بروح وطنية حقيقية، وخصوصا في هذا الظرف المجتمعي الحسّاس، وحيث تخيّم اللعبة السياسية الأخطر على أجوائنا كشعب ووطن.

---

* المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، ٢٤/٨/ ١٤٢٥هـ ـ٨/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

نزعم أيها السادة أن ما نفعله هو جزء من مسؤوليتنا المهنية الوطنية، وأننا بما نقدمه سنفوّت الفرصة على سيد العالم الأشقر الذي استمرأ دسّ أصابعه في أحشائنا، وبات منذ ١١ سبتمبر يكيل لنا الاتهام تلو الاتهام، ويسوق لنا الإدانة تلو الإدانة، خالطا في ذلك الحق بالباطل، ومشهرا في وجه العالم لافتة مكافحة الإرهاب، ومقوضا في طريقه مئات المشروعات الإنسانية والخيرية التي تنبعث من هذا البلد المعطاء، بل وصل به الأمر حد توجيه الإملاءات بما يجب علينا أن نقرأه وندرسه ونتعلمه، سالكا في غيّه هذا ألاعيب السياسي وخبثه.

لقد تابعناه قبل أيام وهو يستضيف في الكونغرس أحد المارقين على المجتمع ممن يحسب نفسه على إخواننا الشيعة كيما يؤلّب على وطن محفوظ بعين الله، وعلى مجتمع متماسك وملتف حول رايته الشرعية، ومستعد للتضحية بالغالي والنفيس كيما يحافظ على وحدة شعبه وترابه.

هكذا اصطف المدعو (.....) إلى جانب آخرين مبثوثين في لندن ونيويورك، ينفثون أحقادا قميئة، ويضعون في يد ذلك الذئب الأمريكي المتسربل بشعاراته الكاذبة عن حقوق الإنسان والديمقراطية، أدلة (علقمية) موهومة يشهرها في وجه قادتنا كي يدلل على هرائه الذي ما فتيء يلوح بها في وجهنا أينما يمّمنا.

في هذه الأجواء يبدو من الضروري أن يكون بعض طلبة العلم وأولئك العلماء الذين يتخذون موقفا حدّيا من مسألة التعايش، على وعي كامل بأنّ أية عبارة تنطلق بدون تأمل للعواقب، أو أي تصريح لا يحيط بالمتغيرات التي تموج من حولنا، سترتد سلبا علينا جميعا. ويجب أن يفهم سادتنا هؤلاء بأنهم عبر إطلاق الفتاوى الطائفية على عواهنها، قد يكررون دون وعي ما تفعله جوقة المعارضة الخارجية الزاعقة، وهو ما سيضر بموقفنا السياسي الحسّاس أمام العالم.

فليتق الله أولئك في وطنهم ودينهم. ولعل من المناسب هنا أن أشير إلى أن بعض القوم قد بعثوا بخطابات كيدية تنال من توجه كاتب السطور، ما يدفعني إلى أن أسجل هنا بعيدا عنهم، أنني راض عن اجتهادي الذي رجوت به وجه الله تعالى، وهو وحده العالم بالسرائر، دافعي في ذلك واجب أكيد لوطن أدين له بالحب والعشق

والإخلاص ولا يزايد عليّ في حبه أحد. وإلى الحلقة الثانية من مكاشفات الشيخ حسن الصفار .

عبد العزيز قاسم

□ **سنبدأ هذه الحلقة يا شيخ وأنت تلحّ على أبيك للانتقال إلى العراق وسؤالي هنا: هل كانت هذه حالة عامة لديكم في القطيف، حيث يُرسل الطلاب النوابغ من عائلات الشيعة الكبيرة العلمية إلى الحوزات؟ ولماذا العراق يا شيخ..لماذا لم تكن إيران مثلاً؟**

■ كان شائعاً في الماضي أن العوائل العلمية ترسل أبناءها أو تربي أبنائها على الدراسة الدينية، ولكن في المرحلة التي نشأت فيها كانت هناك حالة من الفتور حتى العوائل العلمية ما عادت ترسل أبناءها أو توجههم للدراسة الدينية، لذلك أصبحنا في القطيف نعيش حالة انقطاع لتواصل الأجيال في العوائل العلمية العريقة، عوائل من مائة سنة وأكثر كانوا يتوارثون الدور العلمي والديني ولكن انقطع في تلك الفترة فكان الذين يذهبون للدراسة العلمية الدينية عدادٌ قليلٌ ومحدودٌ جداً وأسباب ذلك عديدة اجتماعية واقتصادية. في الماضي هناك فرص للدراسة في القطيف مدارس وحوزات ولكن تقلصت هذه الفرص، وبالتالي أصبح دارس العلم الذي يريد أن يدرس العلوم الدينية لابد أن ينتقل من صغر سنه إلى الخارج وما كان الأهالي يحبذون إرسال أبنائهم وهم صغار، وحينما يكبر الواحد منهم يكون قد شق طريقه في حرفة من الحرف أو

مهنة من المهن، ولذلك كنا نعيش مرحلة من الركود والفتور على المستوى العلمي الديني، فكان الذين ذهبوا للدراسة الدينية في ذلك الوقت عدد قليل ربما وصل إلى عشرين أو خمسة وعشرين وكانوا أكبر مني سناً فالسفر في تلك السن لم يكن مألوفاً.

أما لماذا النجف وليس إيران......

□ **معذرة قبل الإجابة على هذا السؤال، ولكن طرأ لي عن سبب السفر إلى النجف. والقطيف بها الحوزات وكانت تسمى كما في كتبكم التي اطلعت بالنجف الأصغر..**

■ ذاك كان في مرحلة أسبق، أما في المرحلة التي أتحدث عنها كان هناك جمود كبير على المستوى العلمي والديني في منطقة القطيف.

□ **إذاً لماذا لم تذهب إلى إيران؟**

■ كل المجتمعات الشيعية العربية كانت دراستهم في العراق وليس في إيران، والمرجعية الدينية الشيعية تاريخياً في العراق وليست في إيران، وليس هناك تاريخياً ارتباط بين شيعة المنطقة بشيعة إيران، إنما كان ارتباطهم مع العراق ومع الحوزة العلمية في العراق لأنها المنطقة الأقرب، وثانياً بسبب اللغة العربية، وثالثاً لأن الحوزة العلمية المركزية بالنسبة للشيعة في العالم كلهم بما فيهم إيران كانت في النجف. لم تكن الحوزة في إيران قد أخذت تمركزها ومكانتها في العالم الشيعي إلا بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران والتضييق الذي حصل للحوزة العلمية في النجف من قبل حزب البعث الحاكم في العراق آنذاك.

مرجعيات الشيعة:أعاجم أم عرب؟

□ **سأتوقف معك هنا يا شيخ حسن. قلت للتو بأن المرجعيات عربية. بيد أنني عندما أستعرض المرجعيات الشيعية الكبرى، لأجدهم من العجم،**

مثلاً بشير النجفي هو باكستاني، اسحق الفياض أفغاني، السيستاني ومحمد سعيد الحكيم إيرانيان.. من الواضح أن ثمة التباسا.

■ السيد محمد سعيد الحكيم عراقي عربي ومن أصل عربي وليس إيرانياً وجده السيد محسن الحكيم كان من قادة ثورة العشرين في العراق، وكان مرجع الشيعة في العراق وإيران، وشارك في الثورة التي قاومت الاحتلال البريطاني في العراق، فهو عراقي وليس إيرانياً. في تلك المرحلة كان المراجع والعلماء العرب كثيرون في العراق كان مثلاً من آل كاشف الغطاء كبار العلماء في الحوزة العلمية كانوا من العرب، الشيخ جعفر كاشف الغطاء من كبار العلماء والمجتهدين، وأهم كتاب فقهي يعتمده الشيعة الآن فقهاؤهم وعلماؤهم يستفيدون منه اسمه (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) مؤلفه من أصل عراقي وهو جد الجواهري الشاعر العراقي المعروف، وعرفوا باسم الجواهري نسبة إلى كتاب (جواهر الكلام) للشيخ محمد حسن النجفي وكان من كبار مراجع الشيعة، والشيخ محمد رضا آل ياسين أيضاً مرجع شيعي كبير عراقي، والشيخ مرتضى آل ياسين والسيد محمد باقر الصدر من عائلة الصدر والصدر الثاني السيد محمد صادق أيضاً عراقي عربي، فكان هناك مراجع كثيرون من العراق من العرب، وعندنا من لبنان مراجع مثل السيد محسن الأمين العاملي، وكبار العلماء السابقين في التشيع هم أيضاً عرب، الشيخ المفيد عربي بغدادي العلامة الحلي من الحلة في العراق. كبار العلماء كانوا من المنطقة العربية، لكن خلال العقود الثلاثة الماضية مرت بالنجف والحوزة العلمية محنة كبيرة جداً، وبالتالي كانت الفرصة متاحة أمام الإيرانيين لكي يواصلوا دراستهم العلمية ولكي يتطوروا، وتصعبت الأمور على العراقيين أنفسهم، إضافة أيضاً إلى أن هناك مراجع أيضاً هم من المنطقة الخليجية، من البحرين عندنا مراجع كبار لازالوا إلى الآن هناك من يقلدهم كالشيخ يوسف البحراني (توفي سنة ١١٨٦هـ) هذا فقيه كبير وعنده كتاب مهم (الحدائق الناظرة في فقه العترة الطاهرة) وهو كتاب مفصل في الفقه ويستفيد منه العلماء، والشيخ حسين العصفور (توفي سنة ١٢١٦هـ) أيضاً من البحرين ولازال كثير من أهل البحرين يقلدونه، والشيخ أحمد زين الدين الأحسائي (توفي سنة ١٢٤١هـ) من الأحساء، وكان مرجعاً قلده قسم

كبير من الإيرانيين، وعندنا في القطيف الشيخ علي الخنيزي (توفي سنة ١٣٦٣هـ) والشيخ عبدالله المعتوق (١٢٧٤ ـ ١٣٦٢هـ) وعلماء كثيرون كانوا مراجع. أما الحالة الموجودة الآن أن أكثر المراجع والفقهاء من الإيرانيين فبسبب ما عاشه الشيعة في المنطقة العربية من إقصاء ومن تهميش.. فالشيعة في العالم العربي عاشوا تهميشاً حتى في بلد مثل العراق يمثل الشيعة فيه أغلبية ولكنهم كانوا مهمشين وكانوا يعانون من الضغوط وهذا أصبح واضحاً، بقي أن أشير إلى أن المرجعية الدينية لا تتأثر بالاعتبارات المادية والسياسية.

□ عودة إلى ذهابك إلى النجف..وأنا إزاء رصد تأريخي ربما أكثر منه صحافي زاعما بأنها مادة بكر أقدمها لقارئ (الرسالة). هلا وصفت لنا يا شيخ حسن وصفاً مفصلاً طريقة تلقي طالب العلم الشيعي دروسه في الحوزة العلمية الشيعية؟

■ ذهبت إلى النجف في بداية سنة ١٣٩١هـ، وعشت مع المجموعة القطيفية أو السعودية من القطيف والأحساء، كان هناك عدد من الطلاب وبعضهم قد مضى عليه فترة بالنجف، وكانوا يولون عنايتهم بالملتحقين الجدد، وكانت دراستي على أيديهم، كما درست على يد بعض العلماء اللبنانيين، وبعض العلماء العراقيين، ودروسنا مثل الحلقات العلمية التي توجد في المساجد، لم تكن دراسة منتظمة على شكل صفوف وعلى شكل دراسة أكاديمية، وإنما كل طالب كانت له الحرية في أن يختار الدرس الذي يريد والمدرس الذي يريد، هناك دروس موجودة في الحلقات بالمساجد، وفي هذه المرحلة تكون الدروس في اللغة العربية، في النحو والصرف، وهناك دروس في المنطق، و درس في مبادئ الفقه وأصول الفقه.

□ سأدخل ببعض التفصيل كي يستطيع قارئي مقارنته بما لديه. ما هي كتب الفقه التي تدرسونها؟

■ في البداية هناك ما يطلق عليها (الرسالة العملية) يعني الكتاب الفقهي للمرجع

الشيعي الموجود، كل مجتهد يأتي يبين آراءه في الأحكام الشرعية وليس ملزماً بآراء الفقهاء السابقين، وإنما يجتهد ويطرح آراءه في كل المسائل الفقهية، هذه الآراء تجمع ثم تطبع ويطلق عليها (الرسالة العملية)، يعني الرسالة التي يعمل بها (المقلد)، وفي بعض الأحيان يأخذ المرجع الرسالة التي عملها المرجع الذي قبله ويعلق عليها، وكل مرجع متصدي للمرجعية لابد أن يكون له كتاب يحمل آراءه الفقهية، لأنه يجب أن يبدي آراءه في كل مسألة من المسائل، في كل أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات.

في بدايتنا ندرس هذا الكتاب، من أجل أن يكون الطالب عارفاً بتكليفه، ولو سئل يجيب بحسب آراء المرجع الموجود. بعد أن ننهي (الرسالة العملية) ندرس كتاباً آخر اسمه (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي الشيخ جعفر بن الحسن (٦٠٢ ـ ٦٧٦هـ) فقيه عراقي. وهو كتاب فقهي عبارته رصينة و موسع في كل أبواب الفقه. بعد أن ننهي هذا الكتاب ندرس كتاباً آخر اسمه (اللمعة الدمشقية) وشرحها ومؤلفها الشيخ محمد بن مكي العاملي من جبل عامل ـ لبنان (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) وشارحها الشيخ زين الدين العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥هـ) والكتابان يدرسهما الطلاب العرب والعجم.

واللمعة الدمشقية نسبة إلى دمشق لان المؤلف ألفها في دمشق، هذه موسوعة مفصلة في كل أبواب الفقه فيها نوع من الاستدلال، بعد اللمعة الدمشقية يدرس كتاب آخر اسمه (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١هـ)، و كان من كبار العلماء في النجف الأشرف، ومن اسمه (المكاسب) يرتبط موضوع الكتاب بالكسب والتجارة والبيع وكل ما يرتبط بهما، وهو كتاب يمهد ذهن الطالب لمرحلة استنطاق الحكم الشرعي، بعد كتاب المكاسب تنتهي الدراسة الكتابية الفقهية إن صح التعبير، وينتقل الطالب إلى ما يطلق عليه (البحث الخارج)، يحضر محاضرات المجتهدين التي تتحدث ليس ضمن مكتاب معين، وإنما هو يلقي المسألة وأدلتها، ويطرح رأيه، ويفسح المجال للطلاب حتى يناقشوه فيها ومن خلال الحضور في هذا المجلس والمناقشة تتكون عند الطالب ملكة استنطاق الحكم الشرعي. وهناك منهج لدراسة أصول الفقه يمر بعدة كتب آخرها (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري و (كفاية الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥ ـ ١٣٢٩هـ)، وبعدها يكون بحث الخارج في الأصول إلى جانب بحث الخارج في الفقه.

وبعد الحضور لسنوات في هذه المحاضرات إذا أثبت الطالب من خلال مناقشته مع الأستاذ ومن خلال حواره مع زملائه أو كتاباته أثبت أنه قادر يطلق عليه مجتهد، ويعطيه الأستاذ إجازة الاجتهاد، بمعنى أن هذا الطالب أصبح قادراً على استنطاق الحكم الشرعي.

طبعاً ممارسة الاجتهاد لا تحتاج إلى إجازة، لكن من أجل أن يعرف الناس بأن هذا مجتهد، و مستوى الاجتهاد متفاوت، هناك عالم وهناك من هو أعلم منه، وقد تعارفت الشيعة خاصة في العصور المتأخرة على القول بتقليد الأعلم، فعلى الناس أن لا يقلدوا أي مجتهد بل يبحثوا عن أعلم مجتهد، باعتبار أنه ما دام أعلم فقوله أقرب للصواب وإلى الاطمئنان، كما في أي مجال من مجالات العلوم يؤخذ برأي من عرفت أعلميته وأفضليته، فيكون هو المرجع الأعلى، وقد لا يكون واحدا، بل قد يكون طبقة من عدة أفراد، عادة ما يكونون ثلاثة وبالكثير ستة أو سبعة، هؤلاء هم الذين يدعى لهم الأعلمية، قد لا تتوحد كل الآراء على أن شخصاً بعينه هو الأعلم، فيصبح عندنا طبقة من المراجع يدعى لهم الأعلمية، وغالباً ما يكون من بينهم الأبرز الذي يطلق عليه المرجع الأعلى.

□ هذا بالنسبة للفقه، ولكن تهمني جدا مسألة العقائد والتي في تصوري تمثل مفاصلة حادة واختلاف أشدّ بينكم وبين الطوائف الأخرى، ماذا عن كتب العقائد؟

■ في العقائد عادة ما يدرس كتاب (تجريد الاعتقاد) للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (توفي ٦٧٢هـ)، وله شروح عديدة، وأكثر من نصفه في الفلسفة، عن الوجود والعدم وعن الماهية ولواحقها والعلة والمعلول والجواهر والأعراض، والقسم الآخر في التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة.

ويدرس (الباب الحادي عشر) وهو فصل من كتاب للشيخ الحسن بن المطهر الحلي (توفي ٧٢٦هـ) وهو في التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد.

وفي السنين الأخيرة صار الطالب يبدأ بدراسة كتاب (عقائد الامامية) للشيخ

محمد رضا المظفر من العلماء العراقيين المجددين المصلحين، وكل هذه الكتب تطرح المعتقدات الشيعية بأدلتها بعيداً عن التشنج وتكفير الآخر وتجريحه أو التعبئة ضده.

كتاب الكافي ومنزلته

□ يبقى أن أسأل عن كتاب شهير، وسمعته لدينا كما تعلم، وهو كتاب الكافي. من يقينياتنا فيه أنه يعتبر بالنسبة لكم في منزلة كتاب الإمام البخاري.. في أي المراحل تدرسونه؟

■ كتاب الكافي لا يدرس أبداً، ولا يعتبر كتاباً عقدياً، ولا كتاباً فقهياً، وإنما يعتبر مجموعة حديثية، بمعنى مصدر من مصادر الحديث، ونحن الشيعة لا نتعامل مع كتاب الكافي كما يتعامل إخواننا السنة مع الصحيحين، لا يرون ما في كتاب الكافي من أحاديث كلها صحيحة، وإنما على المجتهد أن يدرس كل حديث من الأحاديث، يدرس سند الحديث ومتنه، مقارنة له بالنصوص الأخرى، وبعد ذلك يعطي رأيه هل الحديث صحيح أم غير صحيح، ولذلك قد لا يتفق الفقهاء بأن حديثاً بعينه يعد صحيحاً، قد يرى البعض أنه صحيح ويرى البعض الآخر أنه غير صحيح، وهذه هي الإشكالية، وهي أن إخواننا السنة يحاسبون الشيعة على ما ورد في كتاب الكافي، وهذا خطأ كبير ناتج من الخلط في الموضوع.

كتاب الكافي لا يدرس أصلاً في حوزاتنا العلمية وليس كتاباً عقدياً ولا فقهياً ولا يصح محاسبة الشيعة على كل حديث ورد فيه.

□ بكل صراحة أنا مندهش من إجابتك، ما يجعلني أتساءل اتكاء إلى موروثي الفكري حيال قضية الشيعة: هل ما سمعته للتو هو رأي الشيخ حسن الصفار العالم الشيعي السعودي.. أم ما ذكرته معبّر عن رأي جملة علماء الشيعة العرب والعجم؟

بل كل علماء الشيعة يتحدثون عن هذا الأمر، كانت هناك مدرسة عند الشيعة يطلق عليها (مدرسة المحدثين الإخباريين)، هذه المدرسة كانت ترى صحة ما في الكتب الأربعة (الكافي) و(تهذيب الأحكام) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه)، فهي عندها بمثابة الصحيحين عند أهل السنة، وهذه المدرسة كانت هي السائدة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة. أما قبل هذا التاريخ وبعده فالاتجاه السائد يمثل المدرسة الأصولية التي لا ترى صحة كل ما في هذه المجاميع الحديثية. ولو أن أي شخص اطلع على أي كتاب فقهي واحد من كتب الشيعة الاستدلالية، لوجد هذه الحقيقة واضحة أمامه، لان الفقيه يأتي بالمسألة ويقول الدليل عليها رواية وردت كذا، ولكن هذه الرواية صحيحة أو غير صحيحة، مقبولة أو غير مقبولة. أبرز الفقهاء المراجع المعاصرين عند الشيعة ولعلكم سمعتم عنه هو السيد أبو القاسم الخوئي و كان المرجع الأعلى للشيعة، له كتاب موسوعة اسمه (معجم رجال الحديث) ثلاثة وعشرون مجلداً، كل رواة الحديث عند الشيعة تحدث عنهم في المعجم مرتبين على حروف الأبجدية، في مقدمة كتابه تحدث بشكل واف عن رأيه ورأي الشيعة المحققين في الكافي وفي الكتب الأربعة، قال تحت عنوان (روايات الكتب الأربعة ليست قطعية الصدور) في مقدمة الجزء الأول ما نصه: (ذهب جماعة من المحدثين إلى أن روايات الكتب الأربعة قطعية الصدور وهذا القول باطل من أصله، إذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد. ولا سيما أن في رواة الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب والوضع، على ما ستقف عليه قريباً في موارده إن شاء الله تعالى). فالثابت عند الشيعة أن الكافي مجرد مصدر حديثي فقط، ومن هنا عتابنا على بعض العلماء عندما يحاكموننا على أساس أحاديث وردت في الكافي. المحاسبة عليه تشبه أن نحاسب أهل السنة على كل أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل، أو على الأحاديث الواردة في كنز العمال، أو على أي مصدر لا يعتبرونه من الصحاح، أنا لا أستطيع أن أحاسبك عندما تقول أن هذا الحديث موضوع أو ضعيف غير مقبول. فالشيعة بالنسبة لكتبهم الأربعة الحديثية يتعاملون معها على هذا الأساس.

مرحلة التجييش الطائفي

□ التجييش الطائفي.. لأقف هنا قليلا معك. يدرك كلانا بأن هناك تراكمات تاريخية بين الطائفتين، وأقدّر لك روحك وأطروحاتك التوافقية، لكن لا بدّ من سؤالك بشفافية عن التجييش الطائفي ضد أهل السنة..في أي المراحل يتعرض لها الطالب الشيعي؟

■ في الحوزة العلمية لا ندرس كتاباً للتجييش الطائفي ضد السنة، على العكس من ذلك أغلب كتبنا الدراسية وخاصة في علوم اللغة العربية والصرف والمنطق هي لأهل السنة، في علوم النحو نحن نبدأ بدراسة شرح الأجرومية لابن آجروم الصناهيجي، وبعده ندرس قطر الندى لابن هشام، وبعده ندرس ألفية ابن مالك، أما بشرح ابنه ابن الناظم أو بشرح ابن عقيل، وبعد ذلك ندرس (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) أيضاً لابن هشام، هذه هي الكتب النحوية التي ندرسها في الحوزة، وفي الصرف ندرس الكتب الصرفية للسنة مثل (شذا العرف في أحكام الصرف) لأحمد الحملاوي، وفي المنطق والبلاغة ندرس للتفتازاني كمختصر المعاني والبديع، أما الكتب الفقهية فهي تعرض آراء المذهب وربما تشير إلى الرأي المخالف. وليس في مناهجنا الدراسية تجييش لأن الكتب العلمية هي كتب دراسة، والتجييش عادة ما يكون للعامة، أما الدراسة فتكون علمية. بل على العكس من ذلك غالباً ما تنحو دراستنا الفقهية والأصولية إلى المقارنة، فيستعرض رأي السنة إلى جانب رأي الشيعة، سواء كان في الفقه أو الأصول، مع المناقشة العلمية الموضوعية.

ومناهجنا الدراسية مناهج معلنة ومطروحة ويمكن لأي شخص أن يطلع عليها.

□ ولكن يا شيخ حسن، التحاما بالواقع الموجود والتأريخ الذي لا يمّحي، بودي سؤالك بعيدا عن المثالية المتوخاة: أين هي جذور الانفصال بين الشيعة والسنة الذي أدى بهما إلى هذا الحال.. هذا هي مثلا

في مسألة سبّ طائفة الشيعة للصحابة رضوان الله عليهم جميعا؟

■ هي تأتي من عاملين، الأول أن الشيعة كانوا أقلية محكومة، وكان الفقه في أغلب الفترات هو للمذهب الرسمي، والذي هو مذهب أهل السنة، وفي كثير من الفترات كان يُمارس نوع من القمع والاضطهاد للشيعة، كما في الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، وحينما يمارس نوع من القمع على جماعة يوجد لديهم رد فعل يكون في تمسكهم أكثر بمذهبهم، ومحاولة التحصين لأنفسهم و لأجيالهم من الرأي السائد، و لا يمكن الإنكار أنه كان هناك صراع في عمق التاريخ... فجذور الانفصال تكمن في عدم احترام حرية الرأي الآخر وقمع معتنقيه.

بداية الخلاف كما هو معلوم خلاف سياسي حول مسألة الخلافة والإمامة، لكنه ما لبث أن تحول إلى إيجاد مبررات دينية وشرعية لكل طرف، وهناك تكونت المذاهب وتكونت التوجهات..

□ عفوا لاختلافي معك هنا يا شيخ حسن، قلت بأن الشيعة كانوا دوما أقلية محكومة وأتصور أن ذلك غير صحيح، هناك الدولة الصفوية التي قامت بالمذابح تجاه أهل السنة، وهناك الدولة االبويهية، والحمدانية..هل أذكرك بالدولة الفاطمية وتأريخ الحاكم بأمرها..

■ نعم الشيعة ضمن الخلافة الإسلامية العامة كانوا أقلية، وقامت لهم بعض الدول في مناطق من العالم الإسلامي ولبعض الفترات، فالفاطميون حكموا في شمال إفريقيا ومصر وبعض بلاد الشام، والحمدانيون في منطقة الموصل وحلب، والبويهييون حكموا الجزء الغربي من إيران والعراق والصفويون حكموا في إيران.

فحكوماتهم كانت ضمن مقاطع زمنية وجغرافية لا تنفي كونهم أقلية في المجمل الزمني والواقع العام.

أما الحديث عن تعامل هذه الحكومات مع أهل السنة فهذا يحتاج إلى بحث موضوعي بعيداً عن تأثير الانتماءات المذهبية في كتابة التاريخ وسرد وتحليل أحداثه، بالطبع لا يمكن تبرئة هذه الحكومات خاصة وأن الفكر والفقه الشيعي لا يسبغ عليها الشرعية، لأن للحكم الشرعي مواصفات لم تتحقق عند أغلب هذه الحكومات المتنمية للشيعة، وكان الحكم الشاهنشاهي في إيران محسوباً على الشيعة، لكن علماءهم لم يسبغوا عليه الشرعية وأخيراً أسقطوه.

لكن ذلك لا يعني القبول بكل ما يثار حول هذه الحكومات وخاصة إذا كان من طرف خصومهم.

□ سحت بنا تأريخيا يا شيخ حسن عن نشأة الخلاف بين الطائفتين، وربما لن أتجادل معك كثيرا وأترك تفنيد ما قلت لطلبة العلم ليعلقوا. ولكن لي سؤال هنا عن جوهر التشيع. لكأني أتلمس. وأنا العامي، بأنه سياسي بالدرجة الرئيسة. بمعني أن دعائمه قامت على أفكار سياسية..

■ وجوهر التسنن أيضاً انطلق من موقف سياسي إذا أخذنا الخلافة كمحور تمايز وافتراق.

وأريد بكلامي هذا أنه ليس من الصحيح أن جهة تعتبر نفسها أنها تمثل الاتجاه الديني، وأن مواقفها انطلقت من الدين، وأن جهة أخرى انطلقت مواقفها من مصلحة سياسية. هذا التصوير خطأ وفيه خلط للمسألة، فكلا الطرفين يعتبر نفسه منطلقاً في موقفه السياسي من مبررات دينية، ولكل منهما مدرسة عقدية ومذهب فقهي.

فبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حصلت بيعة الخليفة الأول في سقيفة بني ساعدة، فكانت تأسيساً للموقف السني في الخلافة، وحصل اعتراض عند بني هاشم وعدد من الأصحاب الذين رأوا أولوية الإمام علي بن أبي طالب، فكان ذلك تأسيساً للموقف الشيعي المعارض والقائل بإمامة أهل البيت عليهم السلام، مع التسليم بالواقع حفاظاً على وحدة الأمة ومصلحة الدين.

وكان من الطبيعي أن يدافع كل من أتباع الاتجاهين عن رأيه وموقفه، ملتمساً المبررات والأدلة الشرعية. وبمرور الزمن، وتوالي الأحداث، أصبحت هناك مدرستان وثقافتان متمايزتان. وفي القرن الثاني بدأ تكوّن المذاهب الفقهية، حيث برزت شخصيات بعض المحدثين والفقهاء، والتف حولهم تلامذة وأتباع، كالإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل.

ولا أحد ينكر مكانة أئمة أهل البيت العلمية، فليس مستكثراً عليهم أن يكون لهم مذهب، فالإمام جعفر الصادق مثلاً كان أستاذاً لأبرز العلماء والفقهاء في عصره، وكانوا يعترفون له بالفضل.

□ عذرا يا شيخ حسن، سأشهر لك مسألة الإمام الغائب ولكأنه أحد أركان المذهب الشيعي، وهي فكرة سياسية بالدرجة الأولى؟

■ وأحد أركان السنة قائم على أساس أن الإمامة والخلافة تكون بالاختيار وتكون بالقوة والغلبة وهي فكرة سياسية أيضاً.. فالسنة أيضاً مثل الشيعة إذا اعتبرنا أن الخلافة هي جوهر الخلاف. أصل الخلاف لم يكن حول رؤية الله في الآخرة حتى نقول أن الخلاف قائم على رؤية دينية. أصل الخلاف قام على من يتولى هذا الموقع والمنصب. الفارق أن السنة كأمر واقع أصبح بيدهم الحكم، لكن الشيعة لم يكن الحكم بيدهم، وبالتالي من الخطأ القول بأن أصل مذهب الشيعة أصل سياسي. إنما نقول أصل الافتراق كان حول قضية سياسية أخذ السنة فيها طريقاً وأخذ الشيعة طريقاً آخر. أرجو أن تكون الفكرة واضحة.

□ لعلني أستدرك عليك هنا يا شيخ بأن الخلافة كانت ربما منشأ الخلاف، ولكن جوهر الخلاف تحول بعد ذلك إلى أصول الإسلام كالنص القرآني ثبوتا وتأويلا والعصمة والصحابة والصفات والقدر وتوحيد الربوبية والألوهية وغيرها من الأصول

■ نعم منشأ الخلاف كان حول الإمامة والخلافة، ثم تطور وتشعب، لأن الشيعة

يرون أن معالم الدين تؤخذ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وعند الخلاف بين قولهم وقول غيرهم فالراجح المتبع قولهم، أما السنة فيرون الأخذ من سائر الصحابة والتابعين.

أما الكلام عن الخلاف في الأصول أي في جزئيات وتفاصيل أصول الإسلام فهو صحيح، لا في ذات الأصول، حيث يتفق السنة والشيعة على الإيمان بالله تعالى ووحدانيته، وعلى الإيمان بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالآخرة، وبمرجعية الكتاب والسنة، ليس هناك اتفاق على كل التفاصيل والجزئيات، وحتى بين أهل السنة ليس هناك اتفاق على كل التفاصيل والجزئيات المرتبطة بأصول الدين، فهناك أشاعرة، وهناك معتزلة، وهناك سلفية، وهناك صوفية.. كما أنه ليس هناك اتفاق بين الشيعة على كل التفاصيل العقدية أيضاً.

أما ثبوت النص القرآني فهو أيضاً متفق عليه بين السنة والشيعة، وحتى الرأي الشاذ الذي يقول بالتحريف في القرآن لا يناقش في ثبوت النص القرآني الموجود، بل يقر به ويؤمن به ويعمل به، لكنه يرى لشبهة أن هناك نقصاً وحذفاً من القرآن، وهو رأي مردود لكنه لا يتنكر لشيء من النص القرآني.

والخلاف حول فهم الآيات وتأويلها موجود بين المذاهب وداخل المذاهب نفسها كما هو معلوم.

لذلك أتحفظ على القول بأن بين الشيعة والسنة خلافاً في الأصول، لأنه يوهم بأن الخلاف في ذات الأصول، كما يوهم بأن هناك اتفاقاً بين كل السنة على كل تفاصيل الأصول، أو بين الشيعة وهذا ليس دقيقاً.

□ ولكن في المقابل يا شيخ حسن لم تجبني على مسألة الإمام الغائب، ليتك تدلي لنا رؤيتك حيالها؟

■ يتفق المسلمون سنة وشيعة إلا من شذ على الإيمان بظهور إمام مهدي آخر الزمان، من عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من ولد فاطمة، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا، لورود أحاديث صحيحة متواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإخبار بذلك.

لكن الشيعة ينفردون عن السنة بالإيمان بأن هذا الإمام المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري، وأنه ولد في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ، وقد تحدث عن ولادته ابن الأثير في تاريخه، وابن خلكان في عدد من كتبه، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، والنسابة أبو نصر البخاري. ولا يزال موجوداً لكنه غير ظاهر ومعروف للناس، وهذا هو معنى الغيبة.

ولدى الشيعة منطلقات وأدلة وإجابات على التساؤلات المثارة حول هذا المعتقد، حيث كتبوا عنه الكثير من الكتب والرسائل، ومن منطلقاتهم ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمر الأمة بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «...وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي»، وأخرج الترمذي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل البيت، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلُفوني فيهما»، وورد مثل هذا النص في معظم المصادر الحديثية، وفي هذا الحديث دلالة على استمرار وجود الإمامة في العترة النبوية، وعدم انقطاعها إلى يوم القيامة.

وقد أشار بعض علماء السنة إلى مثل هذه الدلالة، يقول ابن حجر الهيتمي: «إن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة، وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك: بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة».

ومرة أخرى يقول: «وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت، إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، ويشهد لذلك الخبر: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي».

ومن منطلقات الإيمان بوجود المهدي: ما صح عندهم من روايات أهل البيت عليهم السلام: أن الأرض لا تخلوا من قائم لله بحجة، وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى هذه الحقيقة في شرحه لأحاديث البخاري، حيث قال ما نصه: «وفي صلاة عيسى

عليه السلام خلف رجل من هذه الأمة، مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال: إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة».

ومنها: الأحاديث الواردة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في أن الخلفاء اثنا عشر، كما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن سمرة قال: «سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش»، وجاء في صحيح مسلم: «ولا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

والأئمة الإثنا عشر هم المصداق المناسب لهذه الأحاديث، ولا بد من استمرار وجود إمام منهم إلى يوم قيام الساعة. إضافة إلى ما ورد عن أئمة أهل البيت حول الموضوع وقولهم عند الشيعة حجة شرعية. وحيث تمت لدى الشيعة الأدلة على هذا المعتقد آمنوا به كأي قضية دينية تتجاوز المعادلات المادية المعتادة وتدخل ضمن الإعجاز كما هو الحال بالنسبة للاعتقاد ببقاء نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وإنه لم يقتل ولم يصلب كما يدعي المسيحيون وأن الله رفعه إليه، كما نص القرآن على ذلك وسيعود ويأتم بالإمام المهدي كما ورد في صحيح البخاري ومسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

وبعد فان الاعتقاد بالإمام الغائب لا يناقض شيئاً من أصول الإسلام، وإنما هو جزئية عقدية يؤمن بها من ثبتت لديه بالدليل والبرهان، ومن يرفضها لعدم ثبوتها لديه لا يخرج عن الإسلام.

كما لا يصح النظر إليها من خلال المقاييس المادية العادية فتبدوا وكأنها تخالف العقل، ويستسخفها الوجدان، إذ كيف يبقى إنسان حياً طول هذه المدة؟ لأن هذا يعني رفض أشياء دينية أخرى من هذا القبيل، كولادة عيسى بن مريم من دون أب، وبقائه إلى نزوله آخر الزمان، وما شابه من المعتقدات التي قام الدليل الشرعي عليها، فيؤمن بها المسلم وإن خالفت ما هو معتاد كمعاجز الأنبياء وغيرها.

ويتطلع المسلمون جميعاً سنة وشيعة لظهور الإمام المهدي إن شاء الله حتى يوحد الأمة ويقودها والبشرية إلى شاطئ العدل والأمن والسلام.

النجف وطلب العلم

□ يبقى لطلبة العلم لدينا أن يدلوا برأيهم حيال ما تجادلنا، وأعود إليك في النجف، كم كان عمرك وقتها؟

كان عمري وقتذاك ١٤ سنة.

□ أنتظر منك أن تحدثني عن مشاهدات الفتى حسن الصفار وحياته هناك كرصد توثيقي.. مَن مِن أقرانك السعوديين كان معك وقتذاك.. وهل التقيت بالشاعر العراقي الشهير الجواهري وهو ابن النجف؟

■ كان المحيط الذي عشت ضمنه في النجف من الطلاب السعوديين والبحرانيين. كانت لديهم مجالس أسبوعية وفي المناسبات الدينية يجتمعون فيها، وأحدها في منزل الشيخ أحمد بن منصور آل سيف من علماء تاروت ـ القطيف (١٣٢٦ ـ ١٤٠٦ هـ) والآخر في منزل الشيخ منصور بن عبدالله البيات من علماء القطيف (١٣٢٥ ـ ١٤٢٠ هـ) ومجالس أخرى عند بعض الطلاب والفضلاء الأحسائيين والبحرانيين.

وكان قد جاء إلى النجف في تلك الفترة بعض الشخصيات الأدبية من القطيف بسبب ظروف سياسية حصلت لهم في الوطن، فأقاموا في النجف مدة حتى تقشعت الغيوم وعادوا إلى القطيف، ومنهم السيد حسن باقر العوامي وهو محامي وأديب ووجيه اجتماعي، وقد استفدت من التواصل معه لأنه كان يشجع الطلاب والعلماء على الحركة والنشاط، وينتقد حالة الركود والجمود، وكان يوجه رسائل مطولة وناقدة لبعض المراجع والقيادات الدينية، مبدياً ملاحظاته على واقع الحوزة العلمية والإدارة المرجعية، واطلعت على عدد من تلك الرسائل، فكان صوتاً يكسر حاجز الهيبة والتقديس، ويشجع على النقد والاعتراض.

ومنهم الشيخ عبدالله الخنيزي قاضي محكمة المواريث والأوقاف حالياً في القطيف، ولم يكن قد ارتدى الزيّ الديني هناك، وهو معروف في الوسط الأدبي والشيعي بكتابه (أبو طالب مؤمن قريش) والذي دافع فيه عن إسلام أبي طالب وأثبته

وناقش المرويّات المضادة، واعتقل بسبب ذلك سنة ١٣٨١هـ في المملكة ثم أفرج عنه بعفو ملكي، بعد سنوات من هذه القضية جاء إلى النجف لظروف سياسية، وقد التقيت في مجلسه بعض الشخصيات الأدبية من العراق ومصر ولبنان.

ومن الطلاب السعوديين ذوي الاهتمامات الثقافية في النجف كان الأستاذ عبدالعلي بن يوسف آل سيف، حيث لم يقتصر على الدراسة التقليدية في الحوزة، بل التحق بكلية الفقه ونال شهادة البكالوريوس، وألف عدة كتب، وكانت مكتبته ثرية بالكتب الثقافية والأدبية، وعلاقاته بالمثقفين واسعة، وكانت لي به صلة طيبة. وهو الآن محامٍ ورجل أعمال في تاروت/ القطيف.

وقد كان للشيخ إبراهيم بن عبدالله الغراش وهو إمام جماعة في أحد مساجد القطيف الآن، دور كبير في رعايتي للسنة الأولى من ذهابي للنجف حيث اشتركت معه في استئجار منزل، ولم يقصر هو وعائلته في رعايتي، كما درست عنده مبادئ اللغة العربية، وكان مهتماً بالنحو، ومعه حفظت ألفية ابن مالك، لأنه كان كفيف البصر وكنت اقرأها عليه وأتابعه للحفظ.

وبعض الأحيان كنت أحضر مجالس بعض المراجع كمجلس السيد الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣هـ)، ومجلس السيد الشاهرودي، ومجلس السيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣ ـ ١٤٠٠هـ) ومجلس الشيخ علي كاشف الغطاء، ومجلس الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣ ـ ١٤١٩هـ) وهي مفتوحة يستقبل فيها المراجع المستفتين والزائرين في ساعات محددة كل يوم، وتلقى فيها الخطابات في المناسبات الدينية.

كما تعرفت في النجف بشكل مباشر على الشخصيات العلمية والأدبية التي كنت أسمع واقرأ عنها، كالعالم الباحث أسد حيدر، وكنت قرأت كتابه القيم (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) في ستة أجزاء وأعجبت به واستفدت منه. والعالم المؤلف الشيخ باقر شريف القرشي صاحب المؤلفات الكثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. والخطيب الشهير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والخطيب المعروف السيد جواد شبر. كما صرت أتردد على المكتبات العامة للمطالعة فيها، كمكتبة أمير المؤمنين، ومكتبة الإمام الحكيم. وحضرت بعض الاحتفالات والمهرجانات الدينية والأدبية وكانت قد ضعفت وتقلصت تلك الفترة بسبب الضغوط الأمنية.

ولم ألتق بالشاعر الكبير الجواهري، وهو كان يعيش في بغداد، ولعله خارج العراق آنذاك، والأجواء الدينية التي كنا نعيشها في النجف كانت سلبية تجاهه، لأنها تعتبره خارج الحالة الإسلامية، وإن كانت موقعيته الأدبية محل احترام.

وفي النجف وعيت معركة الإسلام مع الاتجاهات المناوئة كالشيوعية والرأسمالية والصراع مع البعثيين والقوميين، ولم أكن في القطيف قبل هجرتي إلى النجف منفتحاً على هذه الآفاق، لأني كنت أعيش جواً تقليدياً محافظاً.

أما في النجف فقد قرأت باهتمام كتابي السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا) و (اقتصادنا)، وتابعت قراءة أعداد مجلة (الأضواء) كانت أصدرتها جماعة العلماء، كما شدتني كتابات الشيخ محمد أمين زين الدين (إلى الطليعة المؤمنة) و (الإسلام ينابيعه غاياته) و(العفاف بين السلب والإيجاب)، ومن خلال ما كنت أسمعه في اللقاءات والجلسات، وما لحظته من ضغوط على الحوزة العلمية والحالة الدينية من قبل البعث الحاكم في العراق، توضحت أبعاد معركة الإسلام مع الاتجاهات الأخرى إلى حد لم أكن أدركه سابقاً، وما كنت أعيش مثل هذه الأجواء في القطيف، ولم يكن لدينا احتكاك مع هذه التوجهات والتيارات، لكن في العراق واجهناه..

□ سأستوقفك هنا وأقاطعك رافعا لافتة اعتراض كبيرة يا شيخ حسن. للتو قلت بأنكم هنا في القطيف لم تتأثروا بهذه الأيديولوجيات والأفكار ولم تك لكم احتكاكات. وأنا أزعم لك العكس وأبرهن لك. فالقارئ لتأريخ المنطقة سيلاحظ من فوره بأنه قد سادت كثير من الأيديولوجيات السياسية كالشيوعية والبعثية والقومية والناصرية وحتى الإسلامية منطقتك، هل أنا بحاجة لتذكيرك بالحزب الشيعي السعودي، واتحاد شعب الجزيرة، وحزب البعث العربي الاشتراكي، ومصدري هو رفيق دربك حمزة الحسن، سرد ذلك في قراءة تاريخية لمنطقة القطيف..

فكثير من أبناء الشيعة انخرطوا في هذه التنظيمات.. كيف تعلق؟

■ حينما ذهبت للنجف الأشرف انطلقت من جو تقليدي في القطيف، لم أحتك ولم أطلع من خلاله على التوجهات الفكرية والسياسية الأخرى، وذلك لحداثة سني ومحدودية دائرة انفتاحي، لكني في النجف انفتحت على آفاق هذا الصراع الإسلامي مع التوجهات الأخرى.

وفي القطيف هناك امتدادات للتوجهات الفكرية والسياسية التي ظهرت في الوطن العربي آنذاك كالشيوعية والبعثية والقومية والناصرية كما حصل في مناطق أخرى من المملكة أيضاً.

لكنها كانت حالة نخبوية ولم تصل إلى مستوى التيار الشعبي، كما أن الوضع في المملكة السياسي والديني لم يكن يسمح لهذه التوجهات أن تظهر وجودها ونشاطها، بينما كانت هذه التوجهات علنية وبعضها كالبعثيين يمارسون الحكم في العراق وهذا هو المتغير الذي عشته هناك.

□ **دعنا نترك الفتى حسن الصفار.. وندلف إلى الشيخ العالم.. وأسألك وأنت في مرحلتك الآن.. لِمَ يتلقف شباب الشيعة هذه التيارات؟ ولماذا لديهم الاستعداد لمثل هذه الأيديولوجيات. هل لعدم قناعاتهم بأدبيات الطائفة مثلا، لأني أعرف أن نصف المشاركين في مظاهرة أرامكو الشهيرة كانوا من طائفة الشيعة..بم تفسر هذا؟**

■ هذه الأفكار والتوجهات شقت طريقها إلى المجتمعات الإسلامية عامة، ووجدت لها متجاوبين في مناطق مختلفة من المملكة، ولعل من عوامل انتشارها في المجتمع الشيعي أمران:

الأول: وجود شعور بالغبن والاضطهاد يدفع إلى التفاعل مع الشعارات الثورية.

الثاني: ضعف الحركة الثقافية الدينية، حيث كانت الحالة الدينية تقليدية لم تمتلك آنذاك لغة معاصرة، ولم يكن لها عطاء فكري ثقافي يملأ أذهان الشباب ويجيب على تساؤلاتهم، إضافة إلى محدودية فرص العمل الديني والثقافي من الناحية الرسمية عند الشيعة، حيث لا مجال لهم لإنشاء مكتبة أو طبع كتاب أو إصدار مجلة أو قيام مؤسسة ثقافية.

وقد تعرفت فيما بعد على بعض من ينتمون لهذه التوجهات فوجدت أن انتماءهم أقرب إلى الحالة السياسية منه إلى الاقتناع الفكري أو التقمص الأيديولوجي، بالطبع هناك منتمون إيديولوجيون.

□ اسمح لي أن أبدي لك استغرابي، وأستأذنك في سرد رؤيتي للمسألة. وأنظر إليها من زاوية أخرى غير التي نظرت بها أنت..ألم يكن ثمة تحصين ديني قوي لأبناء الطائفة.. بحيث لا ينخرطوا في حزب شيوعي أو بعثي أو حتى أي أفكار وافدة.. خصوصاً وأن أعدادهم كما ذكرت قبلا كانت كبيرة نوعاً ما؟

■ ليس هناك تحصين قادر على استيعاب كل أبناء المجتمع، في أي مجتمع إنساني، ففي نجد مثلاً ومع أن الحالة الدينية حاكمة وتحت تصرفها إمكانيات هائلة، لكن ذلك لم يمنع من ظهور مثل عبدالله القصيمي، ومن وجود أتباع لمختلف الأحزاب والتوجهات الفكرية والسياسية.

وإذا صح أن الإقبال على هذه التوجهات في المجتمع الشيعي كان أكبر من بقية مجتمعات المملكة، فيبدو لي أن ذلك للعاملين السابقين، الشعور بالغبن ومحدودية النشاط الديني، إضافة إلى أن وجود أرامكو في المنطقة واجتذابها للموظفين والعاملين وفيهم عناصر ذات اهتمامات ثقافية وسياسية من مختلف مناطق المملكة، ومن مناطق أخرى من العالم العربي، والانفتاح النسبي الذي كان في أجواء الشركة، لعل ذلك هو ما خلق أرضية أكثر خصوبة لتلك التوجهات.

السؤال الأهم: الولاء والانتماءات

□ لعل هذا السؤال يشجعني على فتح مسألة حساسة، وسبق لي استئذانك في الحديث بكل حرية وصراحة. ما أنا بصدد مناقشته معك هو ذلك الاتهام الدائم الذي يوجه لطائفة الشيعة حيال ولائهم وانتمائهم الفعلي والحقيقي، وربما عرض لك هذا الموضوع مرارا.. وبودي أن أثبته هنا معك يا شيخ حسن، وخصوصاً المرحلة التي نمرّ بها ككيان ومجتمع حرجة سياسياً واجتماعياً وفكرياً. بودي أن أسمع منك حول هذه القضية التي توجه لشيعة المنطقة الشرقية.

■ ولاءات أو انتماءات هذه تدخل ضمن حالة التهريج والتشهير، هذه الاتهامات التي توجه للشيعة هي من مظاهر معاناتهم، وناتجة عن الأجواء السلبية التي صنعت تجاههم. فوجود تيارات فكرية وسياسية لا يخص مجتمع الشيعة، والمعركة التي كانت قائمة بين السلفيين والحداثيين في المملكة ليست على ساحة المجتمع الشيعي، فلماذا يتحول الأمر إلى تشكيك في الولاء والانتماء بالنسبة للشيعة دون غيرهم؟

إن أحزاباً وتيارات فكرية وسياسية ظهرت في المجتمعات السنية في مختلف البلدان كما هو معروف وكان ينظر إليها ضمن التحليل السياسي والاجتماعي، فلماذا التمييز الطائفي ضد الشيعة حتى على صعيد التحليل والتفسير للظواهر الاجتماعية.

□ يا شيخ حسن أتفهم كثيرا ما اعتراك من استفزاز إلى درجة أن تطلق على هذا السؤال بأنه تهريج. وأتكئ على السياسي فيك لتتفهم حساسية الموقف الذي نعيشه ككيان ومجتمع، ودخول الذئب الأمريكي على الخط واللعب بوتر الطائفية والشيعة، والضغط على الرسمي لدينا وآخرها تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية..ومثلك يدرك تماما

بأن مجموعات من الشيعة يحتضنهم الغرب في الولايات المتحدة وبريطانيا تحديدا وهي مجموعات معارضة.

■ من الطبيعي أن يسعى الأمريكيون وغيرهم للاستفادة من الثغرات ونقاط الضعف، وأن يبحثوا عن مختلف وسائل الضغط والتدخل في الشؤون الداخلية، والمطلوب هو تصليب الوحدة الوطنية وسدّ الثغرات التي ينفذ منها العدو، وليس تبادل الاتهامات التي تعمّق الهوّة بين أبناء الوطن.

أما ما ذكرته عن مجموعات شيعية يحتضنها الغرب فهو مبالغة وتضخيم وتهويل، قد يكون هناك أفراد من الشيعة يعبرون عن آرائهم، بطريقة لا نقبلها لكن اتهامهم جميعاً بالارتباط بالجهات الخارجية أمر ينبغي التأكد منه، وأعتقد أن فيه مبالغة وتهويلا.

□ **عفوا..عفوا يا شيخ حسن، وأرجو ألا تتحسس من السؤال السابق. فعندما قلت احتضانهم للمجموعات المعارضة قصدت بمثل ما يفعلون مع سعد الفقيه ولجنته المزعومة، فهي ليست حالة شيعية خاصة بل هي حالة عامة..**

■ قلت إن الأمر في حدود أفراد لا يصح التعبير عنه بمجموعات، وأرجو أن توضع المسألة في سياقها السياسي وأن لا تعطى تفسيراً طائفياً.

□ **لك ذلك.. لنقل إنها أصوات شيعية معارضة؟**

أصوات شيعية. كما هو من الشيعة موجود هو من السنة أيضاً موجود. لماذا حينما يكون هناك سني في الغرب يحاسب كفرد وحينما يكون شيعي يحاسب كطائفة يقال شيعة أو أصوات شيعية؟ هل يطلق على سعد الفقيه مثلاً أو المسعري أو البقية أنهم معارضة سنية؟ هم يحاسبون كأشخاص دون الإشارة إلى صفتهم المذهبية. لماذا حينما تأتي المسألة للشيعة الفرد يحاسب كطائفة وتحاسب هذه الطائفة كلها؟ أليس هذا تنميط خارج الموضوعية ومظهر للتمييز الطائفي؟

أودّ أن أقول بأن المزايدة على الشيعة في الموقف من أمريكا أمر مرفوض، فإن الشيعة هم من بدأ المواجهة مع الأمريكيين في الشرق الأوسط، وليس السلفيون ففي الوقت الذي كان هناك تحالف بين الجهات السنية والأمريكيين فيما يرتبط بأفغانستان، كان الشيعة في إيران ولبنان ومختلف المناطق يعلنون الرفض والمواجهة للأمريكيين وأعتقد أن هذا الأمر واضح معروف.

وإذا كان الوضع في العراق قد سبب انفتاح بعض الشيعة على الأمريكيين فإن ذلك يأتي بعد أن شبعت جهات سنية كثيرة من التعامل مع الأمريكيين، وفي سنة العراق مثل ما في الشيعة جهات تهادن وجهات تقاوم، فلا داعي لإعطاء المواقف السياسية صبغة مذهبية.

وبعد صدور تقرير الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية في السعودية بادرنا لإعلان رفضنا التدخل الأمريكي في شؤوننا الداخلية.

فيجب التوقف عن الاتهامات والمزايدات لأنها لا تخدم الوحدة الوطنية بل تفيد الأعداء.

□ أردت بأسئلتي التي سمعت التنبيه إلى حساسية الموقف الذي نعيشه، ودخول الغرب وأمريكا تحديدا على الخط واللعب بوتر الطائفية والأقليات في مجتمعنا، والضغط على الكيان والمجتمع والرسمي في إملاءات لا تنتهي..

■ أوافقك الرأي أن الموقف حساس وأن المشروع الأمريكي للهيمنة على المنطقة خطير، وأنهم سيحركون كل أوراق الضغط وسيلعبون على وتر الأقليات والصراعات الطائفية.

كل هذا صحيح وباعث على القلق لدى كل مسلم واع ومواطن مخلص، ولكن كيف نواجه هذا التحدي؟ وكيف نفوّت الفرصة على الأعداء؟

أعتقد أن هناك أمرين أساسيين:

الأول: معالجة الثغرات ونقاط الضعف، والجد في مسيرة الإصلاح والتطوير، التي تحدث عنها خطاب خادم الحرمين الشريفين في افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى، وأكدّ عليها سمو ولي العهد والنائب الثاني.

الثاني: تصليب الوحدة الوطنية وتجاوز آثار الصراعات المذهبية والتميز الطائفي.

أما إثارة الشكوك في ولاء هذه الجهة أو تلك فهو يقدم أفضل الخدمات للأعداء.

كما أنه ينطلق عادة من الأوهام والظنون وأساليب التنميط والتعميم غير الموضوعية، كما هو الحال في إثارة البعض لقضية ابن العلقمي وجعل ذلك عنواناً للتاريخ الشيعي. وهي قضية مختلقة فهل درست أنت شخصياً موضوع ابن العلقمي؟

□ **والله ياشيخ حسن لست سوى صحافي من غمار الصحافيين البؤساء، ولست متخصصا في التأريخ. ولكن الذي أعلمه حقا بأن ابن العلقمي هذا قام بالخيانة التاريخية التي تلبسته مذاك، واستحق لعنات كل الأمة مذ ذلك التأريخ، بسبب عمله القذر في خيانة الخليفة العباسي ومساعدته للتتار..**

■ هل تعلم أن اتهام ابن العلقمي بالخيانة الذي يرسله البعض إرسال المسلمات وكحقيقة ثابتة، هذا الاتهام غير ثابت على مستوى البحث العلمي التاريخي؟ وقد ناقشه مؤرخو الشيعة كالسيد حسن الأمين في كتابه عن الغزو المغولي، ورده بأدلة واضحة.

ودعك عن السيد حسن الأمين الشيعي، فان باحثاً سعودياً سنياً هو الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدي أستاذ التاريخ في جامعة الملك سعود في الرياض، قد ناقش هذا الاتهام بموضوعية وإنصاف، ضمن كتابه (سقوط الدولة العباسية) وطبع في الرياض سنة ١٤٠١هـ وتبنته الجامعات السعودية كمرجع معتمد وأعيد طبعه سنة ١٤٠٣هـ وقد توصل الدكتور الباحث إلى أن اتهام ابن العلقمي بالخيانة لا يقوم على

دليل بل هناك أكثر من إحدى عشرة حقيقة تاريخية واجتماعية تدحضه، وأن مصدر الاتهام كان خصومة مذهبية وتعصب طائفي.

لكن المؤسف صدور قرار من جهة دينية بجمع الكتاب من المكتبات وإحراقه ومنع تداوله، وحتى النسخ الموجودة في مكتبة الجامعة محجوبة لا يطلع عليها أحد إلا بإذن خاص ـ كما أخبرت بذلك ـ كل هذه الإجراءات اتخذت بحجة أن الكتاب يدافع عن الرافضة.

فهناك إصرار على الاتهامات المفتعلة ورفض مناقشتها حتى من كاتب سني سعودي التزم الموضوعية والإنصاف.

ولو فرضنا أن شخصاً من الشيعة قد أساء وارتكب خيانة فهل كل الشيعة في تاريخهم يحاسبون بذلك، أليس في أهل السنة من الحكام والسياسيين وغيرهم من انحرف وأساء وخان؟ فهل يصح اتهام كل السنة.

إننا نعاني كثيراً من الصور النمطية ومن الأحكام التعميمية حينما تحصل أعمال إرهابية من قبل جهات سنية يقال شرذمة من الإرهابيين والمغرر بهم، ولا تعمم على كل السنة أو السلفيين، ولكن حينما يحصل شيء من قبل أفراد من الشيعة تصدر الأحكام الشاملة والتعميمية هل هذا من العدل؟

موقف الشيعة من أمريكا

□ بعيدا عن صحة أو عدم صحة ما ذكرت، أعترف لك بأن ثمة إشكالات وهمية من كلتا الطائفتين تورثت عبر تاريخ صراعهما، وآن الأوان لينبري عقلاء الطائفتين لإزالة هذه الأوهام ويبقى خلافا رئيسيا لا يمحوه لا حسن الصفار ولا عبدالعزيز قاسم.. ودعني أعود إلى السؤال الذي استفزك..لعلي أقدم لكم شكرا وطنيا خاصا لموقفكم الوطني عبر بياناتكم المتكررة وآخرها تعليقكم على تقرير لجنة الحريات

الأمريكية، ما أعطاني انطباعا لإدراككم إلى اللعبة الأمريكية القذرة.. ونقدر لكم كمجتمع التحامكم بقيادتكم في كياننا

■ أريد أن أقول وأعلنها بصوت واضح لكل المسلمين، ولكل أبناء المنطقة بمختلف اتجاهاتهم، بأن المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب. الأمريكيون وهم يعلنون ذلك إنما يريدون حماية مصالحهم، وهم في تحالف معلن مع إسرائيل، ويعلنون دعمهم ورضاهم وغطائهم لكل الممارسات الصهيونية العدوانية. وبذلك لا يمكن المراهنة على الأمريكيين، هم لم يأتوا من أجل الديمقراطية و حماية حقوق الإنسان، ولن يأتوا من أجل حماية هذه الأقلية أو تلك الأقلية، وإنما يأتون من أجل مصالحهم، ولذلك أنا أحذر كل المسلمين وكل العرب وكل أبناء المنطقة بأن لا ينخدعوا بهذا السراب الأمريكي، وأوجه اللائمة أكثر لحكوماتنا لتبادر هي باستعادة شعوبها، وأن لا تترك الفرصة أمام المخططات الأمريكية، أن تكون هناك مبادرة للإصلاح السياسي، ولمعالجة المشكلات المطروحة. أما أن تبقى الأمور في المنطقة العربية والإسلامية كما هي عليه هذا هو ما يخدم الأمريكان.. الذي يتعامل مع الأمريكيين لا ينفع الأمريكيين أكثر مما تنفع الأنظمة حين تحافظ على الواقع كما هو، هذه الأنظمة إذا لم تبادر للإصلاح وإذا لم تبادر للتغيير فهي تخدم الأمريكيين أكثر مما يخدمهم هذا العميل أو ذاك المخدوع.

عودة للنجف وأجواء الحوزة

□ بعيدا عن الهمّ الأمريكي الذي أصبح كالدرن في الصدر. دعنا نعد لك في النجف كي تكمل لنا مشاهداتك وتلقفك العلم. كم بقيت هناك؟

■ بقيت سنتين فقط ثم ساءت الأحوال، وبدأت حملة اعتقالات في أوساط العلماء والطلاب استهدفت حتى الطلاب السعوديين هناك، واعتقل عدد من الطلبة السعوديين من أهل القطيف.

□ متى كان ذلك، وهل هذه الاعتقالات التي طالتكم بسبب أنشطتكم السياسية؟

■ لم يكن بسبب نشاط سياسي، ولكن بتهمة أنهم جواسيس للحكومة السعودية، وهي حلقة ضمن مسلسل إجراءات حكم البعث لمحاربة الدين والحوزة العلمية.

□ هل كان هذا في عهد أحمد حسن البكر أم في عهد عبدالكريم قاسم؟

■ كان في عهد أحمد حسن البكر. ولم ندرك عبدالكريم قاسم، وبالتالي خرجنا من النجف. أغلب الطلبة القطيفيين خافوا، عدا بعض الكبار الذين اطمأنوا أنه ليس عليهم شيء والبعض رجع إلى بلده وترك الدراسة، وبعضنا وأنا منهم التحقنا بالحوزة العلمية في قم وذهبنا إلى إيران.

□ متى كان ذلك؟ واعذرني في مقاطعتي للتوثيق في الذي تسرد.

■ كان ذلك عام ١٣٩٣هـ وذهبنا إلى قم بالطبع في عهد الشاه، وكان للتو قد تأسست فيها مجموعة من الطلاب العرب من العراقيين الذين هجرّوا إلى إيران بحجة أن أصولهم إيرانية، ومن اللبنانيين الذين طالت بعضهم الاعتقالات في العراق، ومن الخوزستانيين العرب.

وقد احتضننا المرجع الأبرز آنذاك في إيران السيد محمد كاظم شريعتمداري رحمه الله، وكانت له مؤسسة للدراسة العلمية والعمل الديني والثقافي باسم (دار التبليغ الإسلامي)، وكان مرجعاً منفتحاً، أقام علاقة مع المؤسسات الإسلامية السنية كرابطة العالم الإسلامي، وأثناء وجودي في قم جاء وفد من الرابطة برئاسة الشيخ أبو الحسن الندوي وجرى لهم استقبال طيب وحصل حوار جميل للتقريب بين فئات الأمة وأتباع المذاهب الإسلامية.

وكانت تصدر من (دار التبليغ الإسلامي) مجلة (الهادي) باللغة العربية وفيها كتابات لعلماء من أهل السنة، وكان يتصدر هذا النشاط الثقافي المنفتح السيد هادي

خسروشاهي، والشيخ محمد علي التسخيري، والشيخ محمد مهدي الآصفي، والشيخ محمد سعيد النعماني، وغيرهم من الأسماء التي أصبح لها دور معروف بعد انتصار الثورة الإسلامية.

□ **كم كان عددكم أنتم السعوديين هناك؟**

■ لعلنا كنا خمسة عشر من السعودية.. ثم زاد العدد فيما بعد، فبقيت في قم ولكن لم يطل بقائي في قم بقيت سنة واحدة فقط.

□ **يا ساتر.. أنت المحبّ للمذهب..لم تستطع أن تتأقلم في تلك الأجواء؟**

■ كنت أبحث عن جو آخر عربي يكون أقرب للبلد وأتأقلم معه أكثر. فأحد العلماء الذين نزحوا من العراق اختار الكويت وهو المرجع السيد محمد الشيرازي. جاء إلى الكويت عام ١٣٩١هـ وعمل على تأسيس مدرسة دينية، وزرت المدرسة وارتحت إلى أجوائها ومناهجها ومدرسيها فقررت الالتحاق بها سنة ١٣٩٤هـ، فتابعت الدراسة فيها مع التواصل مع البلد.

□ **وأنت تسرد لي هذا التأريخ، كنت أفكر من أين تجلبون المال.. بصيغة أخرى من كان يصرف عليك أنت حسن الصفار سواء أثناء إقامتك في النجف أو في قم.. هل من أموال المحسنين أم الحوزة الدينية. أم أن أهليكم هم من يبعث الأموال؟**

■ الحوزة العلمية والمراجع الموجودون يعطون رواتب لكل الطلبة ولكنها رواتب محدودة.

□ **هل هي من الخُمس الذي يصلهم؟**

■ نعم من الخمس الذي يصلهم، يعطون كل الطلبة رواتب، وكل مرجع متصدر للتقليد والمرجعية وتصله أخماس يعطي راتباً، لم يكن هناك راتب موحد من مؤسسة

يقال لها حوزة.. وإنما كان كل مرجع تصله أخماس حسب سعة مرجعيته.. يعطي مبلغاً أكبر، وإذا كانت مرجعيته محدودة يعطي مبلغاً أقل، حتى أنه كان عندنا أحد المراجع كان يعطي خبزاً يومياً لكل الطلبة بإعطاء حوالات على الخبازين. وبالتالي يجمع الطالب من أكثر من مرجع، عادة يكونون أربعة أو خمسة مراجع يعطون، وأذكر أن أكثر ما وصلنا إليه كان في حدود عشرة دنانير عراقية في الشهر، وكان الدينار يساوي أكثر من عشرة ريالات سعودية، وقيمته الشرائية آنذاك جيدة، بالنسبة للطلاب الإيرانيين أو الأفغانيين كانوا يكتفون بهذا المبلغ، أما الخليجيون باعتبار أن عوائلهم متمكنة وهم يعيشون حياة أكثر رفاهية فعادة يدعمهم الأهل، فبالنسبة لي كان والدي يدعمني، كما أن الذي يمارس الخطابة في المواسم الدينية في محرم أو في رمضان يعطى مكافأة.. فكنا نستفيد من هذه المكافآت التي نعطاها مقابل محاضراتنا، و إضافة إلى دعم الأهل والراتب الذي كنا نتلقاه من المراجع، وبذلك يغطي الإنسان مصروفات حياته.

المال..والثقل الاجتماعي للمرجعيات

□ والله يا شيخ حسن.. قضية الخمس هذه تعطي علماءكم ثقلا نوعيا ومكانة مميزة وتأثيرا في الشعبي والسياسي على حد سواء.. بل أن الروايات التي رصدت الثورة الإيرانية تقول بأن البازار في إيران هم من دعم الخميني وأسقط الشاه..

■ بالفعل فإن الخمس عند الشيعة هو الذي يؤمن استقلالية مراجعهم ومؤسساتهم الدينية. والخمس فريضة إسلامية إلى جانب الزكاة، لكن الشيعة يرونه في كل ما يكسب الإنسان ويغنمه فعليه الخمس فيما زاد على نفقاته ومصارفه طبقاً للآية الكريمة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ.....﴾ الآية. أما المذاهب الإسلامية الأخرى فترى الآية خاصة بغنائم الحرب.

مكاشفات.. الحلقة الثالثة

- آن لنا بعد ١٤ قرنا من الصراع والانشغال بالاختلاف والفشل في تغيير الرأي أن نجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب.
- إنني أرفض وأدين سب الشيخين ومن ينال منهما متطرف أو جاهل.
- أعلن براءتي من التسجيل المدبلج المبثوث في مواقع الإنترنت وهو مكذوب عليّ.
- لا أؤيد دخول أي كتاب شيعي فيه طعن وإساءة للمذاهب الأخرى إلى المملكة.
- نقطة الخلاف الرئيسية التي تفرعت عنها كل الاختلافات الأخرى بين السنة والشيعة تكمن في موضوع الإمامة.
- أجمع أهل السنة و الشيعة على كمال القرآن وأنه ما بين الدفتين من عند الله لم ينقص منه حرف واحد.
- الاتجاه السائد عند المراجع الشيعة وفي حوزاتهم العلمية هو العزوف عن السياسة.
- الخميني طرح ضرورة تصدي الفقهاء لإقامة حكم الإسلام وحوّل رأيه إلى مشروع سياسي عملي.
- أعترف بأن بعض الشيعة يسيئون كثيراً بالتعرض للخلفاء بالسب ولكن لا ينبغي أن تحاسب الطائفة كلها بذلك.

بين يدي مكاشفات*

سأخصص هذه المقدمة للحديث حول مسألتين كان من الضروري التطرق إليهما خصوصا وأن كمية النصائح التي تلقيتها وإلى جانبها الرسائل المحتجة قد زادت عن ذي قبل.

أولى المسائل أن الأخوة الأحبة ينسون في غمار اشتغالهم بالمكاشفات قراءة ونقدا أن المحاور (بضم الميم وكسر الواو) هو في النهاية صحفي، يروم من حواره مادة صحافية فيها ما يستقطب القراء، في ذات الوقت الذي تخدم فيه الصالح العام وتلتزم بأدبيات المهنة التي يجب امتثالها، وبالتالي فهو لن يتمكن من إيقاف الضيف عند كل جزئية، وإلا لتشعب الحوار وطال، وربما أصبح أقرب للمناظرة الشرعية أو الأكاديمية في الفرق والطوائف منه للحوار الصحفي، وتلك مكانها قاعات الجامعات وليس الصحف والمجلات. وقد جرت العادة في مكاشفات على إتاحة الفرصة للمعارضين لما ورد على لسان الضيف للإدلاء بآرائهم واعتراضاتهم بعد أو أثناء نشر المكاشفات. رغم ذلك، فإنني أزعم أنني بذلت جهدي في الإبقاء على شيء من السجالية المعقولة

---

* المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، ١/ ٩/ ١٤٢٥هـ ـ ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

في الحوار من دون تجاوز الحد الذي سيدفع الآخرين إلى الإضراب عن مكاشفات، وهو ما فعلته أسماء شهيرة طلبناها واعتذرت.

المسألة الأخرى، وأظنها الأهم، هي أنني أتمنى على كل مهتم بالشأن العام والوطني، وخصوصا من إخوتنا في التيار الإسلامي عبر أطيافه المتعددة، أن يتأملوا مشروع الشيخ حسن الصفار الذي يطرحه اليوم ويتضمن فتح حوار للتفاهم بين طائفته وبين التيار الإسلامي العريض في ساحتنا المحلية.

خلاصة مشروعه أو لعلها نقطة الانطلاق فيه حسبما فهمت منه هي أن قروناً طويلة من محاولات الطائفتين تغليب وجهة نظرها على الطائفة الأخرى لم تفلح. بل ثمة مآس تاريخية ومذابح لم يستفد منها سوى أعداء الأمة، وأنه آن الأوان ليلتقي عقلاء الطائفتين ويحدّدوا معالم عريضة كي يتعايشوا على أسس من القبول والتعددية، من دون أن يتعرض أحدهما إلى مسلمات الآخر، بمعنى أنه لو قام أحد من طائفته بشتم الصحابة فإن مرجعياتها هي التي ستقوم بردعه وإسكاته، وفي المقابل أيضا فإنه إذا ما كفّر أحد من السنّة ، دون بيّنة أو إثبات، أو غالى في خصومته تجاه أحد الشيعة الذين لا يشتمون الصحابة ولم يتعرضوا لمسلمات السنّة، فعلى عقلاء طائفته أن يردعوه. كل ذلك لجمع الكلمة ووحدة الصف في هذا الظرف التاريخي الذي تعيشه الأمة.

يضيف الشيخ الصفار في حوار جانبي جاد معه بأن هذا هو أوان المشروع كي يلتقي الإسلاميون على هذه القواسم المشتركة، لأن البديل المطروح هو العلمانية التي ستخترق المجتمع من أقصاه إلى أقصاه بفعل الضغط الأمريكي والغربي عموما عبر أجهزة إعلامه والسياسي لديه. ويضرب الصفار مثالا بالدول القريبة والبعيدة الإسلامية منها والعربية حينما غزاها تيار التغريب. والخلاصة هي أننا أشد حاجة لأن نتماسك في قلعة الإسلام وحصنه الأخير.

ما أود أن أنتهي إليه هنا، هو دعوة ورجاء للرموز لدينا وخصوصا الجيل الشاب من الدعاة والأقدر على فهم الحراك العالمي من حولنا، بأن يلتقوا الرجل ويستمعوا إليه، ويكسروا حواجز لا تستند إلى القول إن دعوته هي مجرد تقية أو ما شابه، مع أنها ليست بالحاجز الذي يمنع الدعاة من الحوار معه، ولتكن الظروف العالمية التي

تحيط بنا هي الحافز على الاستماع للرجل إذا أبيتم أن تكون الشرعية هي الأرضية المشتركة.

أيها الأحبة: نحن إزاء فئة موجودة بيننا لها علينا حق المواطنة، وهي شريكة لنا في هذا الوطن، ولا خيار أمامنا سوى أن تكون الكلمة السواء هي الصلة بيننا وبين أفرادها ورموزها.

هي بإذن الله نصيحة صادقة لا تبتغي غير وجه الله عز وجل..وإلى المكاشفة الثالثة.

عبد العزيز قاسم

□ تركناك في الحلقة الماضية عند قضية الخمس والتي حسدتكم عليه يا شيخ حسن كونها تعطي علماءكم استقلالا ماديا وثقلا لدى السياسي والشعبي، وأعود بك إلى إيران..دعني أسألك عن الوضع السياسي وقتما جئتها. وقد أتيتها في عصر الشاهنشاه الكبير محمد رضا بهلوي. هل أطمع منك بإضاءة للمحيط السياسي الذي عشته هناك، وأنت في سن السادسة عشرة وواع بالمجتمع الذي تعيشه.. هلا سلطت لنا الضوء؟

■ في الحوزة العلمية غالباً ما تكون الاهتمامات دينية وعلمية ولا يكون فيها تداول للشأن السياسي وغالباً ما يكون في الأجواء المحافظة وجود المذياع أو التليفزيون شيء ثانوي.

□ يا ساتر.. حتى لديكم أنتم، لا تلفاز ولا إعلام ولا صور.. ظننتها حالة محلية خاصة بنا.

■ في حوزاتنا العلمية أيضاً كان يسيطر التيار المحافظ، الذي يتوجس من أي جديد أو تجديد، ويصر على التمسك بالسائد والمألوف، وكانت هناك رغبة في إبعاد الحوزة عن السياسة، وعن تأثير التيارات المرتبطة بالاتجاهات الغربية.

ولكن في مقابل هذا التيار كان هناك تيار إصلاحي يدعو إلى الانفتاح والتطوير والتجديد.

وفي تلك المرحلة كان يدور في إيران وحوزة قم صراع قوي بين التيارين، فالإمام الخميني كان له أتباع يتحركون في معارضة الشاه، والدكتور علي شريعتي كان يقود نشاطاً ثقافياً يخالف توجهات الحوزة العلمية، والشيخ مرتضى المطهري كانت له حركة نشطة في أوساط الجامعات، لكننا كطلاب عرب لم نكن قريبين من هذه الأجواء، بل كان كبارنا يحذروننا من تجاوز الاهتمامات الدراسية، حتى لا تؤثر على مستوانا الدراسي ولا تسبب لنا مشاكل في إيران بعدما لاقيناه في العراق.

□ لم تتأقلم مع أجواء إيران، وانتقلت إلى الكويت يا شيخ حسن متى كان ذلك؟

■ ١٣٩٤هـ ذهبت إلى الكويت، وفي الكويت كان هناك المرجع الشيعي السيد محمد الشيرازي، وكان معه مجموعة من العلماء. والسيد الشيرازي إضافة إلى أنه كان مرجعاً وفقيهاً، كان أيضاً ضمن حالة الصحوة الإسلامية، كتاباته وأفكاره كانت واضحة في هذا السياق، واستفدت منه كثيراً، و يمكن أن أقول: أن الجانب الفكري والثقافي والحركي في حياتي كان من خلال مدرسة السيد محمد الشيرازي. كان له درس في تفسير القرآن ليلياً في مجلسه العام، كل ليلة يفسر آية من القرآن الكريم، وكان تفسيره يفتح أمامنا آفاقاً، لم يكن تفسيراً تقليدياً لمعاني الكلمات أو سبب نزول السورة أو الآية، يتعرض لذلك وإنما الأهم أنه كان يشتق ويستنبط من الآية مفاهيم اجتماعية، سياسية وفكرية، وكان يحرّض المسلمين كثيراً للنهضة ومواجهة الغرب و الاستعمار، وكان له درس أسبوعي في الأخلاق، موجه لطلاب العلوم الدينية، كيف يكون طالب العلم في سلوكه وفي نشاطه و في أخلاقه وفي تعامله مع المجتمع. في كل أسبوع يختار نقطة من النقاط ويركز عليها، وأفادنا كثيراً وأنا استفدت وتربيت أكثر من أي

حوزة أخرى ضمن مدرسة السيد الشيرازي، في الحوزات الأخرى ما كنت أشعر أن هناك عالماً أو مرجعاً أتربى على يده، أستفيد منه تربوياً وفكرياً، ربما لأن سني ودراستي لم تكن تؤهلني لأن أتعامل مباشرة مع العلماء الكبار ومع المراجع، لكن في الكويت باعتبار أن العدد كان محدوداً، وشخصية السيد الشيرازي كانت شخصية مميزة أبوية فاحتضننا، ولست وحدي أنا، إنما كان يتعامل مع كل الطلاب على هذا المستوى. كان مع السيد الشيرازي أحد تلامذته وهو السيد محمد تقي المدرسي والذي أصبح الآن مرجعاً من المراجع، هذا كان يقود حركة إسلامية، وكانت له قراءة جيدة لتجربة حزب التحرير، وحركة الإخوان المسلمين، والحركة الإسلامية في إيران، أنا وقتها لم أكن أعرف عن التنظيمات وعالم الحركات و الأحزاب، ولكني في مدرسة السيد الشيرازي بدأت أنفتح على هذا العالم، وبدأت أعرف أن الجماعة لديهم تنظيم، ولديهم حركة تستهدف الوضع في العراق، يريدون أن ينظموا الشعب في العراق لمواجهة حزب البعث، ولمواجهة التيارات الأخرى المخالفة للإسلام، وعشت في أجوائهم الحركية، والأجواء التنظيمية التي كانوا فيها، واستفدت كثيراً من السيد محمد تقي المدرسي وأخيه السيد هادي المدرسي الذي كان مقيماً في البحرين ويتردد على الكويت.

الحالة الكويتية: تنافر أم تعاون ؟

□ أنا متفاجئ بأنكم تقرأون لعلماء ودعاة سنة يا شيخ حسن، ولعلي أتبع هذا بسؤال عن علاقتكم بالأخوة السنة في الكويت. هل هي كما المعتاد حالة التنافر الطائفي والاجتماعي المعهود؟

■ كانت الحالة في الكويت طبيعية من حيث العلاقة بين السنة والشيعة، لأن المذهب السائد في الكويت هو المذهب المالكي، ولم يكن لديهم موقف حاد من الشيعة، ولأول مرة عشت جواً منفتحاً مع السنة على الصعيد الاجتماعي، فقد رأيت شخصيات من أهل السنة يزورون السيد الشيرازي، من علماء ومثقفين ورجال أعمال، وكان السيد الشيرازي يزور ديوانيات ومجالس لشخصيات من أهل السنة، وقد رافقته في بعض هذه الزيارات، كما كانت الصحافة الكويتية تنشر لكتاب شيعة وتغطي

المناسبات الدينية الشيعية، وكانت مجلة أسبوعية لأحد الصحفيين الشيعة باقر خريبط اسمها (صوت الخليج) كنا نتابعها، تتناول قضايا المجتمع الشيعي، فلم يكن هناك تشنج ولا قطيعة ولا تنافر آنذاك.

□ بودي أن أستفهم منك هنا عن علاقة الشيرازي، وأنت أيضا يا شيخ حسن، بالحركات الإسلامية السنية. للتو قلت بأنه تأثر بمنهج الإخوان المسلمين، وأدبيات حزب التحرير، ولا أخفيك بأن هذا مفاجئ لي تماما، فقد ظننت بالقطيعة بينكم وبين قيادات الحركات الإسلامية السنية.*

■ مدرسة السيد الشيرازي لأنها من مدارس الصحوة الإسلامية في الوسط الشيعي، كانت منفتحة على سائر المدارس الصحوية الإسلامية، بل وعلى سائر الحركات التغييرية والثورية.

وكان السيد الشيرازي وكذلك السيد المدرسي يذكران القيادات الفكرية والحركية السنية بالكثير من التقدير والاحترام، كأبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي، والشيخ حسن البنا.

وكانت شخصيات سنية كويتية أو مقيمة في الكويت، أو تأتي لزيارة الكويت، يلتقون مع السيد الشيرازي ومع تلامذته البارزين، كالسيد المدرسي.

وممن أذكر أسماءهم من شخصيات أهل السنة الذين تواصلوا مع السيد الشيرازي آنذاك: الشيخ حسن أيوب، والسيد يوسف السيد هاشم الرفاعي، والدكتور إسماعيل الشطي، والدكتور علي فهد الزميع، والدكتور عبدالله فهد النفيسي، وكذلك شخصيات من الأمراء والأسرة الحاكمة في الكويت كرئيس الأركان آنذاك مبارك عبدالله الجابر، وبعض رجال الأعمال والوجهاء السنة المشهورين، كالحاج يوسف

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

الغانم، والشيخ عبدالعزيز العدساني، وغيرهم من الأسماء التي لا أذكرها الآن، كانت تحصل بينهم وبين السيد الشيرازي زيارات ولقاءات.

وبعض المدرسين في جامعة الكويت من مصر وسوريا والأردن كانوا من أتباع الحركات الإسلامية كالإخوان المسلمين وحزب التحرير، كان بعضهم يتواصل مع أجواء السيد الشيرازي.

أنا شخصياً كنت أحضر بعض هذه اللقاءات، لكن لم تحصل بيني وبين تلك الشخصيات علاقة مباشرة آنذاك، لكنها كانت أجواء جديدة ومفاجئة بالنسبة لي، خصوصاً مع المقارنة بالقطيعة والانغلاق التي كنا نعيشها في المملكة.

فكان مريحاً جداً ما رأيته من اندماج وطني بين الشيعة والسنة في الكويت، حيث كان هناك وزراء ونواب من الشيعة، وكتب الشيعة كانت تطبع وتباع بحرية.. وكنت أقتني مختلف الكتب في الكويت، لكن دخولها إلى المملكة كان أمراً مقلقاً بالنسبة لي، وأحسب ألف حساب حينما أصطحب معي بعض الكتب الشيعية، وأذكر مرة أني أخذت معي كتاب (مع الله في السماء) وهي مقالات علمية للدكتور أحمد زكي، كان يكتبها في افتتاحيات مجلة العربي، وكنت مطمئناً لأن المؤلف سني والكتاب علمي، ولكن المفتش ويبدو أنه لم يكن له حظ من المعرفة صرخ حينما قرأ عنوان الكتاب: ما هذا يدعي أنه ذهب إلى الله في السماء؟ إنه كافر أشهد بالله إنه كافر، وأخذ الكتاب مني وهو يؤنبني ويوبخني ولم أجد نفسي قادراً على إفهامه وإقناعه.

□ عفوا يا شيخ حسن. أتصور أن حديثك هنا ربما به بعض الحساسية الملتبسة. إذ أن هذا المنع الذي تشتكي ينسحب على الكل بلا تمييز طائفي ربما تلّوح بكلامك به. وكثير من المثقفين يشتكون، وأنا نفسي أعددت كتاب(مكاشفات) ومنعته رقابة المطبوعات رغم أن مادته منشورة بالكامل في الصحافة ولم أتلق سوى التهنئة عليه عندما نشر، فلا أتصور بأن في الأمر تمييزا. ويبقى أنني معك في ضرورة إعادة النظر في

معايير الفسح وقد نوقش هذا الأمر في ملتقى المثقفين بشفافية وتكلم الكثير فيه.. *

■ أنا أعرف حتى بعض كتب الوزير غازي القصيبي ممنوعة، وأن هناك مطالبة من جهات مختلفة بإعادة النظر في معايير الفسح، لكن رفض الكتاب السني استثناء، بينما الأصل رفض أي كتاب شيعي، وأنا لا أطالب بإدخال كتب فيها إساءة للدولة، أو إساءة لأي مذهب آخر، فإذا كان هناك كتاب شيعي فيه طعن وإساءة للآخرين فلا أؤيد دخوله إلى المملكة، لأني ضد هذا النوع من الثقافة التي تثير الفتن، لكنه ليس من الصحيح منع الكتب العلمية كتفسير القرآن وكتب الفقه والعقيدة والتاريخ. لا يصح أن تمنع لأنها تعبر عن وجهة نظر الشيعة، فإن المواطنين الشيعة يحتاجونها باعتبارها مصادر ومراجع لثقافتهم ومعارفهم الدينية. كما أنها تساعد الآخرين على معرفة إخوانهم الشيعة.

فمثلاً: الكتب الفقهية الشيعية التي تعرض أحكام الصلاة والصوم والحج لا يستغني عنها أبناء المذهب، فإذا منعت عنهم يضطرون لتوفيرها بطرق ملتوية كالتهريب، وتباع في السوق السوداء بسعر مضاعف، وقد أخذت نموذجاً منها وهي الرسائل العملية الفقهية للمراجع المعاصرين كالسيد السيستاني، وذهبت إلى الجهات الرسمية، وطلبت الترخيص لدخولها، وتابعت لشهور دون نتيجة، ولا أرى أي مبرر لمنع مثل هذه الكتب، أرجو أن تنشروا هذا الكلام وأنا أتحمل مسؤوليته.

قراءات المرحلة

□ أشكر لك هذه الشجاعة الأدبية، بيد أن الأمر في يد رئيس التحرير وليس بيدي، على الأقل أتملص بحجتي هذه يا شيخ حسن من أمانة المسؤولية، وأستأذنك في ترك هذا المحور وسؤالك عن قراءاتك في هذه المرحلة وأنت في الكويت، فما هي الكتب التي كنت تحرص عليها؟

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

■ كنت أعيش في مدرسة السيد الشيرازي ضمن أجواء حركية يقودها السيد محمد تقي المدرسي، والذي برز اسمه فيما بعد كزعيم (لمنظمة العمل الإسلامي) في العراق وهي فصيل شقيق لحزب الدعوة في المعارضة العراقية. وكان معه عدد من كوادر هذه الحركة الذين هاجروا من العراق، ولم تكن الظروف في الكويت تسمح لهم بنشاط علني معارض للنظام العراقي آنذاك، لكنهم كانوا يقومون بنشاط تربوي وثقافي.

وفي هذه الأجواء انفتحت على الأفكار الحركية والسياسية، فقرأت أغلب كتب المودودي والندوي والبنا و سيد قطب والغزالي وفتحي يكن، وقرأت عدداً من الكتب عن القضية الفلسطينية، ولا أزال أذكر أن أول كتاب سياسي قد شدّني هو مذكرات أبو إياد ـ صلاح خلف (فلسطيني بلا هوية).

وفي تلك الفترة برزت شخصية الإمام موسى الصدر في لبنان وحركته (أمل) أفواج المقاومة اللبنانية، وكنا نتابع أخباره، وجاء في زيارة للكويت فكنت سعيداً جداً بلقائه واستماع محاضراته وأحاديثه.

وكان هناك تواصل مع أجواء الحركة الإسلامية المعارضة لنظام الشاه في إيران، حيث كانت تصلنا محاضرات وكتابات الإمام الخميني والدكتور علي شريعتي والمهندس مهدي بازركان.

وكانت بعض العناصر القريبة من الإمام الخميني الذي كان مقيماً في النجف آنذاك تأتي وتبقى أياماً معنا في المدرسة، ومن أبرزهم الشيخ محمد المنتظري ابن المرجع الشيخ المنتظري، وكنا نستمتع جداً بالأخبار التي ينقلها، ونتفاعل مع الأفكار التي يطرحها، ومن هناك بدأ انفتاحي على الساحة الحركية في إيران، وتعرفت على بعض رموزها وقياداتها قبل سقوط الشاه بخمس سنوات تقريباً.

□ يتبادر إلى ذهني سؤال عن مدى إتقانك للغة الفارسية طالما كنت هناك في إيران ومع الملالي؟

■ أستطيع قراءة الصحف والكتب الفارسية، كما أفهم ما أسمع من دروس

ومحاضرات باللغة الفارسية، ولكنني أجد صعوبة في التحدث باللغة الفارسية إلا بمقدار تمشية الحال.

□ **والله شيء عجيب، فالمفترض العكس يا شيخ. فكثيرون يتقنون الحديث ويجدون الصعوبة في الكتابة والقراءة.**

■ لعل السبب أني كنت أعيش في وسط علمي يعرف اللغة العربية، فالعلماء الإيرانيون في الحوزة العلمية يدرسون اللغة العربية وقواعدها، فلم أكن مضطراً للتخاطب معهم باللغة الفارسية، وبعضهم كان يحبّذ أن نتكلم معه باللغة العربية ليكسب منا طريقة النطق بألفاظها، وأذكر هنا مثلاً أن السيد الخامنئي قائد الجمهورية الإسلامية، كنا نلتقيه بداية ذهابنا إلى إيران، بالطبع لم يكن في هذه الموقعية القيادية آنذاك، فكنا نزوره في بعض الليالي قبل أن تتشنج الأوضاع الأمنية في طهران، فكان يرتاح جداً للتحادث معه باللغة العربية، ويقول إنه يرغب في ذلك.

من ناحية أخرى ما كنت أستسيغ التحدث بلغة فارسية مكسرة، وهو الأمر الطبيعي لبداية التحدث بأي لغة جديدة، وربما لهذين السببين لم أمتلك القدرة الجيدة على التحدث باللغة الفارسية، إضافة إلى ضعف العزم والإرادة.

الخميني الرجل الأخطر

□ **سؤالي التالي يتعلق بالرجل الأخطر في تاريخ الفقه الشيعي برمته وقصدت الخميني، هل أدركت الرجل في العراق قبل ذهابه إلى باريس؟**

■ حينما كنت في النجف كان الإمام الخميني مقيماً فيها، وكان يؤم الجماعة في مسجد قريب من منزله اسمه مسجد (الترك) أي الأتراك، وله مجلس يومي عام يستقبل فيه الزائرين، كما كان يذهب بعد صلاة العشاء كل ليلة إلى مقام الإمام علي عليه السلام في وقت محدد، وسمعت الطلاب والعلماء يتحدثون عن دقة التزامه بالوقت، فهو

يكون هناك في وقت معين دون تقديم أو تأخير طول السنة، وقد صليت خلفه بعض الأيام، وزرته أكثر من مرة في مجلسه، كأي طالب علم، دون أن تكون لي أي علاقة مباشرة معه أو مع جماعته، لأني كنت طالباً صغيراً ليس لدي ما يدفعني لهذا المستوى من العلاقة والارتباط.

وفي تلك السنوات طرح رؤيته حول إقامة الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، وطبعت في خمسة أجزاء صغيرة تحت هذا العنوان، فكان طرحاً جديداً في الحوزة العلمية والوسط الديني، وصار محل جدل وأخذ وردّ، لأن غالبية المراجع والفقهاء في النجف لم يكونوا مع هذا الرأي، كما كان بعضهم يتحفظ على الطرح السياسي والعمل السياسي في الحوزة العلمية، ولكن الإمام الخميني كان جاداً وجريئاً في طرحه، وقد تحصلت على تلك المحاضرات المطبوعة (الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه) وقرأتها بانشداد واندهاش.

□ سأقف معك قليلا في محطة الخميني. ما فعله يشكل فاصلة تاريخية بالمذهب والفكر الشيعي وخصوصا في طرحه لمسألة ولاية الفقيه.. فهو حلّ إشكالية كبيرة ومعضلة عصيبة كانت تواجه الشيعة، وانطلق بالملالي إلى عالم السياسة دون انتظار المهدي الغائب. هلا حدثتنا بالتفصيل عن ذلك.

■ الاتجاه السائد عند المراجع الشيعة وفي حوزاتهم العلمية هو العزوف عن السياسة، وأن عالم الدين يتلخص دوره في دراسة العلوم الشرعية وتدريسها وإفتاء الناس في أمور دينهم.

ويرون أن دخول علماء الدين في السياسة يشغلهم عن وظيفتهم الأساسية، ويدخلهم في الصراع مع السلطات التي ستعتبرهم منافسين ومزاحمين لمواقعها، كما أن في العمل السياسي نوعاً من الظهور والبروز والتطلع لأدوار ومناصب لا تنسجم مع صفات الورع والزهد والتواضع التي ينبغي أن يتحلى بها العالم.

لكن ذلك لم يمنع العلماء والمراجع من التصدي لمواجهة الهيمنة الاستعمارية

والاحتلال الأجنبي، كما حصل في إيران لمواجهة النفوذ البريطاني في مسألة امتياز التبغ ومواجهة الغزو الروسي، وفي العراق لمقاومة الاحتلال البريطاني حيث قاد العلماء ثورة العشرين سنة ١٩٢٠م وانتهت بطرد البريطانيين.

أما حين يحصل انحراف وظلم في السياسة الداخلية من قبل السلطات الوطنية، فإن العلماء يحاولون إيصال نصائحهم للحاكمين، ويضغطون عليهم عبر زعماء العشائر والشخصيات النافذة.

وعند العلماء الشيعة حذر شديد من التصعيد الذي يؤدي إلى إراقة دماء أو انتهاك حرمات أو حصول فتنة داخلية.

ويرى كثير من العلماء أن مهمة إقامة حكم إسلامي وفق المذهب لا تتحقق إلا على يد الإمام المنتظر، لكن الإمام الخميني طرح ضرورة تصدي الفقهاء لإقامة حكم الإسلام، وأن لا تترك أمور بلاد المسلمين بيد مثل البعثيين أو أتباع التوجهات الغربية المخالفة للإسلام، وأنه ليس صحيحاً أن تتعطل أحكام الشرع إلى ظهور الإمام المنتظر، وكان قد سبقه إلى هذا الرأي بعض العلماء كالشيخ مهدي النراقي (المتوفى ١٢٤٤هـ) لكنه بقي في حدود الطرح العلمي.

فجاء تبني الإمام الخميني لهذا الرأي ليحوله إلى مشروع سياسي عملي تحقق من خلاله تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران.

والسؤال الذي يفرض نفسه هل أن قيام الحكم الشرعي في الفقه الشيعي منحصر في صيغة ولاية الفقيه التي تبناها الإمام الخميني؟

هناك رأي آخر بإمكانية قيام حكم شرعي باختيار الأمة لممثليها وسلطاتها طرحه الشيخ النائيني (١٢٧٧-١٣٥٥هـ) ضمن رسالته بعنوان (تنبيه الأمة).

وجدد طرحه الشيخ محمد مهدي شمس الدين تحت عنوان (ولاية الأمة على نفسها).

الحالة الشيعية اللبنانية

□ وطالما طرحت اسم محمد مهدي شمس الدين، بودي سؤالك هنا عن الحالة الشيعة اللبنانية، أرى أنها حالة مختلفة عن الحالة الشيعية العراقية والكويتية والإيرانية، فهي نموذجية فريدة ولديهم رؤية متسامحة وبعيدة النظر في قضية التعايش والانفتاح. ولدي شعور داخلي في تأثر حسن الصفار بالمدرسة اللبنانية.. هل أنت معي في ذلك ولماذا فقط اللبنانيون؟

■ طبيعة التنوع القائمة في المجتمع اللبناني، والمشاركة والمحاصصة لكل طوائفه في الحكم، بحيث لا تسيطر طائفة أو تهمش أخرى، جعل اللبنانيين يقبلون التعايش، وكان علماؤهم ومفكروهم منسجمين مع هذه الحالة، ومدافعين عن مكاسبها، فلو أن شخصاً من المسلمين أساء للمسيحية فإن المؤسسات الدينية الإسلامية هي التي تبادر إلى الاحتجاج عليه وردعه، وكذلك لو أن شخصاً من المسيحيين أساء للإسلام فإن المؤسسات الدينية المسيحية هي أول من يعترض عليه ويحاسبه.

وعلى الصعيد المذهبي لو أساء شيعي في لبنان للسنة فإن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى هو أول جهة تبادر لردعه، ولو أساء سني للشيعة فإن دار الإفتاء ستقوم بدورها لإيقافه عند حده.

فهناك قناعة بضرورة التعايش، وحماية الاحترام المتبادل.

أوافقك الرأي فيما ذكرته من تميّز المدرسة اللبنانية، وأقر بتأثري بها وخاصة بأفكار وطروحات الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله، والذي كانت لي به صلة خاصة وثيقة حيث ترددت كثيراً على زيارته، وكان يتفضل بزيارتي حينما كنت مقيماً في دمشق أو حين أسافر إليها، وكلما زار المملكة لحج أو عمرة أو لقاءات رسمية يخبرني بقدومه فأحرص على الذهاب إليه في جدة أو المدينة أو الرياض.

أما التواصل التلفوني فلم ينقطع بيننا حتى أثناء مرضه في باريس وإلى قبل يومين من وفاته في بيروت.

قرأت أبحاثه القيمة وتناقشت معه حول الكثير من أفكاره وطروحاته للاستزادة والاستفادة.

وحينما أطلعته على كتابي (التعددية والحرية في الإسلام) فرح به كثيراً وأشاد به وكتب له مقدمة ضافية ضمنها تأييده وتقديره للكتاب وذلك دليل لطفه وتواضعه، ورعايته وتشجيعه لهذه التوجهات المنفتحة.

□ اسمح لي بإبداء رأيي هنا، فما ذكرته جانب..ولكن جانب التعايش والقبول بالآخر هو ما يميز الحالة الشيعية اللبنانية..استشرافها الأبعد أيضاً ورؤاها (المتعصرنة) إن صح التعبير والمتقدمة عن مثيلاتها في العراق. التقيت شخصيا قبل خمس سنوات محمد مهدي شمس الدين واستضفناه وأستاذي الراحل د.عبدالقادر طاش رحمه الله في قناة اقرأ. وكانت رؤى الرجل غاية في التقدم والدعوة للائتلاف. نسمع الآن نفس الرؤى لمحمد حسين فضل الله. هل لي بتعليق منك عن سبب هذه الرؤى المتقدمة لعلماء لبنان.

■ يبدو لي أن لهذا التميز الذي أشرت إليه وأوافقك عليه سببين رئيسيين:

الأول: هو واقع التنوع ومستوى الانفتاح الفكري الذي تعيشه الساحة اللبنانية، فعالم الدين هناك يطلع على الأفكار والطروحات الأخرى، ويلتقي مع التوجهات المختلفة، ويعيش ضمن مجتمع له مصالحه المرتبطة مع الأطراف الأخرى.

أما في إيران والعراق فحالة التنوع والانفتاح ليست على هذا المستوى.

الثاني: في إيران والعراق هناك مؤسسة دينية متجذرة تتمثل في المراجع والحوزة العلمية، وفي هذه المؤسسة تتكون مراكز قوى وتوجهات قد تتحفظ تجاه أي تجديد فكري ثقافي وتمارس ضغوطها المكثفة ضده ولهذا تقل الجرأة في إيران والعراق على الإجهار بالأفكار الإصلاحية والتجديدية.

أما في الساحة اللبنانية فليست هناك مؤسسة دينية ضاغطة تعوّق طرح الأفكار التغييرية والمخالفة للسائد والمألوف.

مكامن الخلاف بين الطائفتين

□ دعني أدخل معك في صلب موضوع الخلاف بين السنة والشيعة.. أطلب منك الآن يا شيخ حسن أن تخلع جبة وعمامة عالم الدين الشيعي وتتمثل لنا رجلا موضوعيا ومحايدا طلبنا منه أن يحدد لنا نقاط الاختلاف الرئيسية بين الطائفتين..فما الذي سيقول؟

■ أرى أن نقطة الخلاف الرئيسية التي تفرعت عنها كل الاختلافات الأخرى تكمن في موضوع الإمامة. وبالتالي تحديد المرجعية الدينية.

ذلك لأن للإمامة عند الشيعة شقين:

الأول: موقع القيادة السياسية الخلافة أو الإمارة، حيث يعتقد الشيعة بالنص على الإمام علي من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه الأولى بالخلافة، وبعده الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لكن هذا الجانب أصبح قضية تاريخية، لا داعي الآن للنزاع حولها، ومادام الخلاف في الأحقية والأولوية ضمن الإطار النظري والاعتقادي فالأمر سهل لا يستلزم الخصام.

الشق الثاني: وهو الأهم يتمثل في تحديد المرجعية الدينية التي تؤخذ منها معالم الدين وأحكام الشرع بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

أهل السنة يرون أن المرجعية هم الصحابة فعنهم تؤخذ سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنهم نفهم ما اشتبه علينا من كتاب الله.

والشيعة يرون أن المرجعية تتحدد في أهل البيت ولا يؤخذ من أحد ما يخالف ما صح عن أهل البيت.

وينطلقون في هذا التحديد من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي ورد بعدة صور روتها كتب الصحاح والأحاديث المعتمدة كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيما أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٤٠٨ عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي».

وأورد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة الجزء الرابع ص ٣٥٥ حديث رقم ١٧٦١ عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وأكدّ الألباني على صحة الحديث من عدة طرق، وأن له شواهد من أحاديث أخرى، وردّ على من ضعّف الحديث. وأخرجه الترمذي والطبراني والإمام أحمد وغيرهم.

انطلاقاً من هذا الحديث الذي فهم منه الشيعة أن النبي قد حدد المرجعية من بعده بالكتاب والعترة، خاصة وأنه جاء في سياق الحديث عن مغادرته للدنيا وأنه تارك في الأمة هذين الثقلين، وأن الأخذ منهما فقط هو العاصم من الضلال.

وكذلك ما فهموه من أحاديث أخرى بهذا الاتجاه، ومن اعتقادهم بأفضلية أهل البيت، فإنهم يحددون المرجعية في أخذ معالم الدين بهم، إلى جانب الكتاب العزيز.

وهنا مكمن الاختلاف بينهم وبين أهل السنة، والذي تشعب إلى جزئيات مختلفة في العقيدة والفقه، حيث يأخذ أهل السنة بما ورد عن سائر الصحابة والتابعين، بينما لا يأخذ الشيعة إلا ما ورد عن أئمة أهل البيت أو ما يوافقه.

أما الرواية الأخرى الواردة في بعض مصادر أهل السنة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «كتاب الله وسنة نبيه» فإنها غير ثابتة عند الشيعة، وليست بقوة الرواية الأولى «كتاب الله وعترتي» في مصادر أهل السنة. كما أنه لا تعارض بين الروايتين فما عند

أهل البيت إلا ما أخذوه عن جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أشار ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة إلى وجه الجمع بين الروايتين.

□ **يا شيخ حسن ما أعرفه في هذه الموضوع أن أهل السنة ليس لديهم أي موقف تغليبي في هذه المسألة لأجل كون الصحابي من آل البيت أو من غيرهم بل لأجل العلم والفضل، ومع ذلك فالمروي عندهم عن علي وابن عباس وجعفر الصادق وزين العابدين بن علي كثير، وعموما سأتجاوز هذه النقطة وأستفسر عن بقية موضوعات الخلاف؟**

■ بقية موضوعات الخلاف فرعية عن هذا الأصل، وقد كتب أحد علمائنا هو السيد مرتضى العسكري كتاباً من مجلدين تحت عنوان (معالم المدرستين) رصد فيه التوجهات الأساسية المميزة لكل من مدرسة أتباع أهل البيت وأتباع الصحابة.

واسمح لي هنا بمداخلة قصيرة في نقطتين قبل تجاوز هذا الموضوع:

الأولى: حينما نتحدث عن أهل البيت فالمقصود بهم الدائرة التي حددها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهم ونقله الشيخ ابن تيمية في رسالته (حقوق آل البيت) قال: عن أم سلمة: أن هذه الآية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ لما نزلت أدار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» وعقّب ابن تيمية بقوله: وسنته تفسر كتاب الله وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه. فلما قال هؤلاء أهل بيتي مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علما أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر. انتهى كلامه.

الثانية: أن المروي عن أهل البيت في مصادر أهل السنة نسبة إلى ما روي عن غيرهم، ونسبة إلى ما هو معروف من علم أهل البيت، هو شيء قليل وليس كثيراً كما

تفضلتم، ولعل ذلك راجع إلى الظروف السياسية التي كان يعيشها أهل البيت، فلو أخذنا صحيح البخاري نموذجاً، فإننا نجد أن ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري يذكر مثلاً الأرقام التالية: عدد الأحاديث المروية في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ٢٦٨ حديثاً، وعن عبدالله بن عمر ٢٧٠ حديثاً، وعن أبي هريرة الدوسي ٤٤٦ حديثاً، وعن أم المؤمنين عائشة ٢٤٢ حديثاً، أما عن الإمام علي ابن أبى طالب ففيه ٢٩ حديثاً، وعن السيدة فاطمة الزهراء حديث واحد.

□ يا شيخ حسن، كل ما ذكرت سيرد عليه إن شاء الله طلبة العلم لدينا والعلماء وسيوضحون موقف أهل السنة من كل ما ذكرت في هذه المسائل التخصصية والحوادث التاريخية والتي تشكل تباينات حادة لا يمكن أن يقفز الشيخ حسن الصفار ولا أي شخص آخر عليها و تبقى لها تراكماتها النفسية الممتدة عبر الأجيال. ودعني هنا أطرح بصراحة ما يتحسس منه أهل السنة ويدخل في صميم العقيدة لديهم تجاه الآخر الطائفي. قضايا تمثل مفاصلات، كسبّ الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، مصحف فاطمة. ومسائل عديدة تدخل في صلب إيماني كمسلم سني وأرى الآخر الطائفي ضدها تماما، لا أدري يا شيخ حسن.. كيف لي أن أتقبل الشيعي وهو يسبّ صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..انتظر تعليقك هنا بشفافية.

■ دخلت في حوارات كثيرة مع علماء من أهل السنة من مختلف البلدان، والتقيت كثيراً من علماء الشيعة العاملين في مجال التقارب والتقريب بين المسلمين، ووجدت أن الإشكالات التي يطرحها أهل السنة على الشيعة ناتجة عن أحد أسباب ثلاثة:

الأول: عدم الاعتراف بالحق في الاختلاف، حيث يحاسب بعض السنة الشيعة

على آرائهم المخالفة لهم، وكأنه يلزم أن يوافق الشيعة على كل آراء السنة وإلا فهم محاسبون. ما يجب الاعتراف به أن هناك مدرستين متفقتين في الأصول الأساسية للدين، متمايزتين في جوانب تفصيلية من العقيدة والفقه.

كما هو الحال في التمايز داخل مدارس السنة من أشاعرة ومعتزلة وسلفية وصوفية، وداخل مدارس الشيعة من أصولية وإخبارية وشيخية.

أما القول بأنه يجب إتباع كتاب الله وسنة رسوله فهو ما يتفق عليه الجميع، لكن هناك اختلافاً في الفهم وقبول بعض المرويات، فالكتاب والسنة لا يحتكرهما أحد، لأن كل طرف يدعي أنه يسير حسب الكتاب والسنة.

وبعد أربعة عشر قرناً من الصراع والانشغال بالاختلاف والمراهنة الفاشلة لكل طرف أن يغيّر الآخر أو يلغيه، آن لنا أن نعترف بالتعددية وحق الاختلاف، ونجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب والاحترام المتبادل.

الثاني: المحاسبة على الآراء والتصرفات الفردية من قبل بعض العوام، أو من قبل جهات متطرفة من الشيعة، وأعترف هنا بأن بعض الشيعة مثلاً يسيئون كثيراً بالتعرض للخلفاء بالسب أو الشتم، لفهم خاطئ لديهم أو رد فعل لمواقف متطرفة من السنة، ولا ينبغي أن يحاسب المذهب كله والطائفة كلها بذلك، وإلا كان الغرب محقاً في محاسبة كل المسلمين والعرب، على تصرفات الإرهابيين والمتطرفين من المسلمين.

الثالث: سوء الفهم لحقيقة وواقع الآراء الشيعية بقصد أو بغير قصد، أما لعدم الاطلاع أو للاعتماد على نقولات المناوئين، أو لإبراز الآراء الشاذة في المذهب، وعندنا في المملكة مثلاً لا يسمح بدخول كتب الشيعة ولا فرصة لهم لعرض آرائهم في وسائل الإعلام، وبعض العلماء لا يكلف نفسه عناء مراجعة مصادر الشيعة المعتمدة، فيبقى على تصورات خاطئة تجاه الشيعة.

سألت مرة أحد القضاة في المحكمة الشرعية في القطيف: هل اطلعت على شيء من مصادر الشيعة الفقهية حول مجال عملك في القضاء وأنت تقضي في مجتمع شيعي، كالأحوال الشخصية والحدود والخصومات؟ فقال: لم اطلع حيث لا وقت لدي ولا أشعر بحاجة لذلك.

وكنموذج لسوء الفهم ما يثار حول الشيعة من القول بتحريف القرآن، مع أن كتبهم في التفسير والفقه والعقيدة تصرح بالقطع بصيانة القرآن عن التحريف، كما أن واقعهم الفعلي على الصعيد الإعلامي والثقافي والاجتماعي لا شيء لديهم غير هذا القرآن المتداول بين المسلمين، تلهج به إذاعاتهم، ويقرؤونه في صلواتهم، ويعلمونه لأبنائهم، ويتلونهم في مجالسهم. ووجود روايات في كتب الشيعة تتحدث عن وقوع نقص في آيات القرآن، يشبهها ما جاء في كتب السنة عن ذلك، وإن كان السنة صنعوا لها مخرجاً هو القول بنسخ التلاوة، وما أشبه من المخارج.

صحيح أن هناك رأياً شاذاً لعدد محدود من علماء الشيعة قبلوا تلك الروايات، وقالوا بان هناك ما أنقص وحذف من القرآن، ولكن علماء الشيعة رفضوا هذا الرأي وعارضوه، وكتبوا الكتب في نقضه. فلماذا الإصرار على تكرار هذه الشبهة وإثارتها؟...

□ سأضطر إلى مقاطعتك يا شيخ حسن، بودي أن تدلل على حديثك بعلمية بدلا من الإنشائيات العامة. هل طرحت لنا أسماء شيعية قالوا بما ذكرت ، كي نقارن ونحاجج ونقبل حتى..

■ علماء الشيعة الذين صرحوا بالاعتقاد بصيانة القرآن عن التحريف، ورفضوا تلك الروايات كثيرون، من الصعب حصر عددهم وأسمائهم، ولكن أذكر بعض النماذج:

الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ) قال في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الشيعة: «اعتقادنا إن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ما بين الدفتين. وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب».

الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) قال في (أجوبة المسائل السروية) راداً على روايات التحريف: «أن الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله بصحتها فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عما في المصحف الظاهر على ما أمرنا به حسب ما بيناه».

الشريف المرتضى علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ) قال في أجوبة المسائل الطرابلسيات: «القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً و منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟ إن من خالف في ذلك من الإمامة والحشوية، لا يُعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته».

الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) نفى التحريف بشكل واضح صريح في مقدمة تفسيره (البيان).

الشيخ الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) صرح بذلك أيضاً في مقدمة تفسيره المعروف (مجمع البيان).

العلامة الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف ابن المطهر (ت ٧٢٦هـ) قال في إجابة على سؤال حول تحريف القرآن في أجوبة المسائل المهناوية بقوله: «الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه (القرآن) وإنه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من أن يُعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك».

هذه أسماء من السابقين وأما من المعاصرين فنذكر:

الشيخ كاشف الغطاء محمد الحسين (ت ١٣٧٣هـ) قال في كتابه (أصل الشيعة وأصولها): «إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم (الشيعة)، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ. نص الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه، ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الجدار».

الطباطبائي السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ) خصص فصلاً وافياً من تفسيره

(الميزان) في ٣٠ صفحة أثبت فيه بالأدلة العلمية القاطعة نفي التحريف وردّ على الروايات والقائلين بها.

السيد الخوئي أبو القاسم (ت ١٤١٣هـ) كتب فصلاً ضافياً في تفسيره (البيان) بلغ ٤٠ صفحة فنّد فيها القول بالتحريف وأكد صيانة القرآن عن أي زيادة أو نقصان.

الإمام الخميني (ت ١٤٠٩هـ) جاء في تقرير دروسه الأصولية (تهذيب الأصول) بحث لإثبات صيانة القرآن ورد شبهة التحريف ومن كلامه: «إن الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه، قراءة وكتابة، يقف على بطلان تلك الشبهة المزعومة، وما ورد فيه من أخبار حسبما تمسكوا، إما ضعيف لا يصلح للاستدلال به، أو مجعول تلوح عليه إمارات الجعل، أو غريب يقضي بالعجب، أما الصحيح منها فيرمي إلى مسألة التأويل والتفسير، وأن التحريف إنما حصل في ذلك، لا في لفظه وعباراته. إن الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان».

□ جميل كل ما ذكرت، ولكني يا شيخ تتملكني الحيرة تجاه ما سمعت منك وبين يدي قصاصة مصورة تنقل عن الكليني في أصول الكافي (٢٣٨١) عن جعفر بن محمد قال وإن عندنا لمصحف فاطمة وما يدريهم ما مصحف فاطمة مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. وأنت تقول ليس عندنا من يقول أن مصحف فاطمة هو قرآن آخر. ها أنا إزاء تناقض أم سهو منك؟

■ الرواية موجودة في (الكافي) وليس فيها دلالة على التحريف ولا على قرآن آخر، وإنما هي تتحدث عن كتاب لفاطمة حجمه يعدل حجم القرآن ثلاث مرات، لكن ليس فيه شيء من القرآن. وهذا ما أجمع عليه شراح الرواية من علماء الشيعة كالشيخ المجلسي في مرآة العقول، والمازندراني في شرح أصول الكافي.

وقد جاء في هذا الباب من الكافي ثمان روايات، صحّح المجلسي في شرحه

منها روايتين، وقال عن اثنتين إنهما حسنتان، والأربع الباقيات إحداها سندها مرسل، والثانية ضعيف، والثالثة والرابعة في سندهما مجهول.

وتصرّح إحدى تلك الروايات بأن مصحف فاطمة روايات سمعتها فاطمة الزهراء وأملتها على علي عليه السلام فكتبها لها. وتشير رواية أخرى بشكل صريح إلى أنه ليس في مصحف فاطمة قرآن وإنما معارف دينية، حيث جاء فيها عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد». وجاء في رواية أخرى أن مصحف فاطمة هو وصاياها «وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة».

وهكذا فليس في أي من الروايات إشارة إلى التحريف أو إلى أن مصحف فاطمة بديل عن القرآن.

ولعل الالتباس جاء من تسميته بالمصحف باعتباره يطلق على القرآن، ولو راجعنا كتب اللغة لرأينا أنه كان يطلق على الكتاب المجموع مصحفاً كما في لسان العرب والقاموس والصحاح، وقبل أن يتحدد إطلاقه عند المسلمين على القرآن، وقد أورد ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) في كتابه (المصاحف) وذكر مثلاً أن خالد بن معدان من كبار علماء الشام والتابعين كان علمه في مصحف له أزرار وعرى.

وقرأت أخيراً كتاب الدكتور ناصر الدين الأسد (مصادر الشعر الجاهلي) فوجدته يقول: كانوا يطلقون على الكتاب المجموع لفظ المصحف ويقصدون به مطلق الكتاب، لا القرآن وحده.

فتسمية كتاب فاطمة الجامع لرواياتها أو وصاياها بالمصحف، هو ضمن هذا الإطلاق اللغوي لا أكثر.

بل القران كامل

□ وأيضا يا شيخ حسن أود لفت نظرك إلى إجماع أهل السنة على كمال القرآن وأنه مابين الدفتين من عند

الله لم ينقص منه حرف واحد وقد انعقد الإجماع على ذلك من العصور الأولى فلا مخالف له مطلقا.
فليس الأمر لدينا بما قلت به قبل قليل.

■ أخي الكريم لا يليق بقداسة القرآن الكريم أن يترامى المسلمون فيما بينهم الاتهام بتحريفه، فيتهم السنة الشيعة بذلك ويتهم الشيعة السنة بذلك، فإنه قد أعطى فرصة التشكيك عند المستشرقين والعلمانيين المناوئين للإسلام.

وأنا أعلم أن إجماع أهل السنة وإجماع الشيعة على كمال القرآن، وأنه ما بين الدفتين من عند الله لم ينقص منه حرف واحد، أما قولك ليس لديكم ما يشير إلى النقص والتحريف فاسمح لي بالمصارحة حتى تكون المكاشفة متبادلة.

فكما يوجد في كتب الشيعة روايات عن النقص والتحريف في القرآن كذلك يوجد في كتب السنة، لكن علماء السنة يؤلونها ونحن مع تحفظنا على بعض أنواع التأويل كنسخ التلاوة، لكننا نقبل كلامهم برفض النقص والتحريف، فلماذا لا يقبلون تأويلنا لرواياتنا بل رفضنا لها ويصر البعض على توجيه الاتهام لنا؟

وأنت كمثقف متحرر إن شاء الله أعرض عليك بعض النماذج من الروايات في كتب أهل السنة فماذا تفهم منها:

في صحيح البخاري (باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) في حديث طويل رواه ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: «إن الله بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم». إلى آخر الحديث.

وفي صحيح مسلم باب (لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً) عن أبى حرب بن الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة. فدخل عليه

ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن. فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقرّاؤهم. فاتلوه. ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم. وإنّا كنّا نقرأ سورة. كنّا نشبّهها في الطول والشدّة بسورة براءة. فأنسيتها. غير أنّي قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات. فأنسيتها. غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. فتكتب شهادة في أعناقكم. فتسألون عنها يوم القيامة.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل في حديث زر بن حبيش قال: قال لي أُبي بن كعب: كائن تقرأ سورة الأحزاب، أو كائن تعدها؟ قال: قلت له: ثلاثا وسبعين آية. فقال: قط، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم.

وفي المستدرك على الصحيحين باب تفسير سورة التوبة عن عبدالله بن سلمة عن حذيفة رضي الله عنه قال: ما تقرؤون ربعها يعني براءة وأنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أي الشيخان.

وفي سنن ابن ماجه (باب رضاع الكبير) عن أم المؤمنين عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها.

وأحاديث أخرى في مختلف المصادر، وأكرر قولي أني لا أتهم أهل السنة بالقول بالنقص والتحريف، وأقبل منهم توجيههم وتأويلهم لهذه الروايات. وأرجوا أن يقبلوا من الشيعة موقفهم تجاه الروايات الواردة في مصادرهم، وأن ننزه جميعاً ساحة القرآن أن تكون صحته وصيانته محل جدل وأخذ وردّ، فهو قرآننا جميعاً ومصدر ديننا وعزتنا.

المشكلة الأحدّ والحاجز الأصلب

□ أوضحت وجهة نظرك يا شيخ حسن في قضية مصحف فاطمة وجزمت لنا بأن قرآنكم هو قرآننا،

ولكن مسألة سبّ الصحابة رضوان الله عليهم وسبّ شيخي الإسلام رضي الله عنهما أبو بكر وعمر، هي من المسائل الشائكة بين الشيعة والسنة. ما هو تعليقك يا شيخ ؟

■ الشتم والسِّباب ليس من خلق المسلم ولا من خلق العاقل، وأنا أرفض وأدين سب الخلفاء الراشدين والصحابة، وأرى أنه ينطبق عليه أكثر من عنوان للتحريم والمنع.

وأعتقد أن هذه المسألة جزء من تاريخ سيىء عاشته الأمة الإسلامية، كانت هناك قوى تضطهد الشيعة، فكان رد فعل بعض الشيعة على ذلك الاضطهاد هو السب والشتم لرموز أهل السنة، ولا بد من الاعتراف بأن الدولة الأموية ومؤسسها معاوية بن أبي سفيان هي التي سنت وشرّعت التجرؤ بالسب والشتم على الخلفاء والصحابة بإعلان سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، على المنابر، وقد أورد مسلم في صحيحه أن معاوية أمر سعد بن أبي وقاص بسب الإمام علي وعاتبه على عدم السب، كما جاء في (باب من فضائل علي) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلن أسبه.. الحديث.

واستغرب من محاولة البعض التكلف في تأويل هذا الحديث بأنه لا يدل صراحة على أمر معاوية بالسب، وقد جاء في صحيح سنن ابن ماجة للألباني حديث رقم ٩٨ عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً فنال منه (في الهامش أي: نال معاوية من علي) فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعته يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، وسمعته يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله»؟.

ومن المعروف تاريخياً أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز هو الذي رفع سب الإمام علي، جاء في (تاريخ الدولة الأموية) للشيخ محمد الخضري وهو مرجع معتمد

لدارسي التاريخ في جامعاتنا السعودية: «ومن أعماله (عمر بن عبدالعزيز) العظيمة تركه لسب علي بن أبي طالب على المنابر وكان بنو أمية يفعلونه فتركه وكتب إلى الأمصار بتركه، ووضع مكان ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾» الآية.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم ٢٧٢٨٤ عن أبي عبدالله الجدلي. قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيُسب رسول الله فيكم؟ قلت معاذ الله. قالت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «من سب علياً فقد سبني».

فإذا كان علي عليه السلام على مكانته وفضله، وهو عند الشيعة لا يوازيه أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع ذلك يُسبّ ويُلعن على المنابر عشرات السنين، ويسكت على ذلك علماء السنة وفقهاؤهم فإن ذلك يخلق الجرأة على سبّ غيره من الخلفاء والصحابة.

وكما لا يقبل التبرير في سب الشيخين أبي بكر وعمر كذلك لا يصح التبرير لمن سب علياً بأنه اجتهد فأخطأ، ويجب أن يكون حكم سب الخلفاء الراشدين والصحابة واحد، أما أن يكون سب علي اجتهادا خاطئا لا أكثر ويحظى من قام به بالتقديس، وسب غيره كفر وضلال فهذا ليس منطقياً.

وليس معنى كلامي أني أبرر لمن يسب الخلفاء والصحابة، وإنما أدعو لفهم ظروف حدوث هذه الظاهرة السلبية التي يجب أن نتجاوزها بحسن العلاقة بين الطرفين السنة والشيعة، حتى يحرص كل منهما على احترام مشاعر الآخر، وحتى نحترم جميعاً رموزنا الإسلامية.

إن من يسبّ الشيخين أبا بكر وعمر من الشيعة هم أما متطرفون أو جاهلون، أما الحالة العامة عند الشيعة فلا تمارس ذلك ولا تقبله، وإذاعات الشيعة وفضائياتهم في إيران ولبنان والعراق خير شاهد على ذلك، وهذه خطب الجمعة لهم تذاع على الهواء وصحافتهم تنتشر في الآفاق، وليس فيها شيء من ذلك.

بل حصل هذا العام أن عالماً في قم هو الشيخ يعقوب رستكاري طبع كتاباً فيه

إساءة للشيخين فاعتقلته الحكومة الإيرانية، وصادرت كتابه، وحاسبت جهة النشر، وبث الخبر وكالات الأنباء كما نشرته أكثر من صحيفة.

الخوارج أم الأمويون؟

□ عفوا يا شيخ حسن، لكأن مغالطة تاريخية هنا. أليس أول من سبّ وكفّر الصحابة هم الخوارج الذين كفروا عليا وعثمان وشتموهما ثم أخذت الشيعة هذا السباب فتدافع عن علي وتسب عثمان وأبي بكر وعمر وانتشر ذلك وفشا حتى أصبح معروفا ثم كان من معاوية ما كان من سب علي رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

■ الخوارج فئة محدودة مرفوضة من السنة والشيعة، ولم تكن لهم قدرة على تحويل سبهم لعلي وعثمان إلى ظاهرة عامة، لكن معاوية والذي يقدسه أهل السنة بسلطته وإمكاناته، جعل ذلك أمراً لازماً، ويتعرض من يخالفه للمحاسبة من قبله كما يبدو من عتابه لسعد بن أبي وقاص، ومن حوادث مذكورة في التاريخ. وأنا لا أريد أن أقف عند هذه المسألة طويلاً، فلست من دعاة الانشغال بالصراعات التاريخية.

□ أيضا هنا مسألة تقديس أهل السنة لمعاوية. أتصور أن هذا الفهم منك غير صحيح والذي أعرفه أنهم لا يقدسونه بل يعتبرونه صحابيا وكاتب وحي وصهر النبي و يعتقدون أن صحابة قبل الفتح أفضل منه في الجملة ويعتقدون أن عليا أفضل منه وأنه هو المحق وأن معاوية هو المخطئ فأين التقديس. وهذه مسائل هامة لا بدّ وأنا أبحر معك فيها أن نشير إليها.

أهل السنة أحرار في أن يقدسوا معاوية أو لا يقدسونه، ولست في موقع المحاسبة على ذلك، ولكني أقول كما يتلمسون الأعذار لمعاوية في سبه للإمام علي بنفي ذلك

تارة، واعتباره اجتهاداً خاطئاً ضمن صراع سياسي تارة أخرى، فليتلمسوا الأعذار أيضاً لمن شط وتطرف من الشيعة وسب الشيخين. إنك من سؤالك تقول: ثم كان من معاوية ما كان من سب علي رضوان الله تعالى عنهم أجمعين. فالساب والمسبوب تترضى عنهم فتعاملوا مع الشيعة بنفس الدرجة من التسامح.

□ وبالمناسبة ذكرت بأن فقهاء السنة سكتوا، والذي أعرفه من كتب التاريخ بأنهم لم يسكتوا وقد بينوا وردوا ووضحوا حرمة ذلك وقد نقله أهل العلم في كتبهم بل كان خروج العلماء مع ابن الأشعث ربما كان أحد أسبابه هذه القضية، وعودة إليك بودي أن أسألك أنت عن موقفك من مسألة سبّ الصحابة ؟

■ لا أريد المناقشة كثيراً في هذا الأمر، لكن استمرار سب الإمام علي على المنابر من عهد معاوية سنة ٤١هـ، إلى تولي عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩هـ، دليل على ضعف الاعتراض، أما موقفي شخصياً فقد أعلنت مراراً في الفضائيات والمقابلات الصحفية وفي الخطابات المختلفة: أني أرفض وأدين سب الشيخين، وإنه ينطبق عليه أكثر من عنوان للتحريم والمنع.

□ على الرغم من أن مقطعا صوتيا راج لك في شبكة الإنترنت به بعض النيل من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورضي الله عنهم أجمعين؟

■ هذا المقطع الصوتي تبثه مواقع طائفية متطرفة، تعلن عداءها للشيعة والتحريض عليهم، وتحارب أي مسعى للحوار والتقارب بين السنة والشيعة، فهي ليست مصدراً موثوقاً، وهو تسجيل مدبلج، ومن المعروف عالمياً لزوم الفحص والتحري للتأكد من أي تسجيل منسوب لأحد، فحين كان يبث خطاب لصدام حسين قبل إلقاء القبض عليه، أو تسجيل لابن لادن أو الظواهري، فإن الجهات الأخرى تأخذ فرصة للتأكد من صحة نسبة الخطاب كما يعلن ذلك عادة. مع أنهم شخصيات مشهورة وأصواتهم معروفة.

وأنا أعلن براءتي من هذا التسجيل المدبلج وأذكر بقوله تعالى: ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾.

□ يا شيخ حسن، أسعد والله كمسلم أنك لا تنال من الصحابة وترى أن ذلك محرم لا يجوز وطالما هذا موقفك فالحمد لله، ولكن بودي هنا أن أثبت هذا التحريم منك، ولربما يأتي قارئ ويقول بأن الشيخ لم يذكر أبدا في إجابته بأنه يرى حرمة التحريم. فبودي تثبيت ذلك.

■ ما أعلنته وذكرته كان صريحاً واضحاً من الإدانة والرفض والتحريم والمنع، ولكني أتساءل لماذا يصر البعض على وضع الشيعة دائماً في قفص الاتهام، وإن عليهم أن يثبتوا براءتهم يومياً مما ينسب إليهم؟ بينما يتم تجاهل الفتاوى والآراء التي تكفّر الشيعة، وتحرّض عليهم، وتشجع على انتهاك حقوقهم الإنسانية المشروعة، لماذا يطل علينا أحد الدعاة البارزين قبل مدة قصيرة من فضائية مشهورة ليتحدث عن كفر الشيعة الذين يقولون بأن جبرائيل جاء بالنبوة لعلي ولكنه أخطأ وخان بإعطائها لمحمد، قل لي بربك من هم هؤلاء الشيعة الذين يتحدث عنهم؟ وفي أي مصدر من مصادرهم قرأ هذه الفرية؟ هل هذا من فقه الواقع أن نقول للناس جواباً معوّماً يكرّس حال التفرقة وسوء الظن دون أي مستند أو دليل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

□ قبل أن نغلق هذا الملف، وحتى لا تجرفنا مسألة التوافقية التي يرومها كلانا على حساب الواقع. بودي هنا أن تعلق على مقولة لأحد الدعاة السنة مصرحا بأن الشيعة معروف ملازمتهم للسب بل حتى الدول التي حكمت من الشيعة كالبويهية و الصفوية فعلت ذلك وليس الأمر مقتصرا على السب بل يرون كفر الصحابة وردتهم عن الدين والأهم من ذلك تأصيل ذلك في كتبهم ومن ذلك ما كتبه الخميني في كتابه (كشف

الأسرار) ص ١٢٦/ ١٢٧/ ١٣٠/ ١٣٧/ ١٧٦ سب عظيم وشتم واتهام وفي كتاب محمد الرضى الرضوي بعنوان كذبوا على الشيعة ص ٢١٠ ان تظاهر الخلفاء بالإسلام إنما كان خدعة للإسلام وكيدا له وان صلاتهم وصيامهم كانت كلها نفاقا ودجلا وتضليلا) هل من تعليق لك يا شيخ حسن ؟

■ لا أرى داعياً للتعليق على هذا الكلام، فهو نموذج لإطلاق الاتهامات والادعاءات بغير حق، فالقول بأن الشيعة معروف ملازمتهم للسب، قول يكذبه الواقع الذي تعيشه أنت وأمثالك وتراه جلياً واضحاً، فالشيعة في إيران لهم الآن دولة يحكمها علماؤهم منذ ربع قرن، وهي من أقوى دول المنطقة وأكثرها كثافة بشرية، ولديها وسائل إعلامية عالمية كالفضائيات والإذاعات والصحف وبمختلف اللغات، وكانت علاقاتها مع دول المنطقة متأزمة جداً خلال الحرب العراقية الإيرانية، فهل كان الإيرانيون يلهجون بسبِّ الخلفاء؟ وهل ضبطتم على وسائل إعلامهم برامج سب وشتم؟

والشيعة في لبنان يشكلون أكبر طائفة وأقوى حركة، وقد أنزلوا بالصهاينة هزيمة نكراء اضطرتهم للانسحاب من جنوب لبنان، ولديهم وسائل إعلامهم الواسعة الانتشار كفضائية (المنار) فهل سمعتم منهم سباً وشتماً للخلفاء والصحابة؟

والشيعة في العراق وبعد ثلاثة عقود من الاضطهاد تخلصوا من الديكتاتورية والقمع، وانفلت الوضع هناك، ومع كل ما أصابهم ومع التفجيرات التي استهدفت رموزهم وشعائرهم الدينية، ومع محاولات الأعداء لخلق فتنة طائفية، هل سمعتم من مراجع الشيعة في العراق أو قياداتهم السياسية أو وسائل إعلامهم سباً وشتماً؟

والمراكز الشيعية في الغرب وهي تعيش في ظل حرية التعبير والإعلام هل لديهم خطاب سب وشتم؟

فكيف يقرر هذا الداعية الملازمة من الشيعة للسب؟ ولماذا لا تردون عليه أنتم

وأمثالكم من أهل السنة؟ وكيف تجد مثل هذه الأكاذيب والأضاليل مع مخالفتها الفاضحة للواقع فرصة للانتشار والقبول.

أما الكلام المنسوب للإمام الخميني في (كشف الأسرار) فأنا لم أقرأه، لكني قرأت عن الكتاب أنه قديم ألفه الإمام الخميني في مطلع شبابه، ثم رفض إعادة طبعه قبل وبعد قيام الجمهورية الإسلامية، وقد تشكلت مؤسسة لحفظ آثاره وطبعها وأهملت هذا الكتاب، وكتب الدكتور إبراهيم شتا الدسوقي من مصر وهو متخصص في الأدب الفارسي أن الترجمة العربية للكتاب مشوهة جداً وغير صحيحة.

بالطبع لا يمكنني أن أنكر أن في الشيعة فئة متطرفة تسب وتشتم، ولها كتابات وخطابات في هذا الاتجاه، لكنها محدودة المساحة والتأثير، وتطرفها يأتي رد فعل للتطرف المضاد من الآخرين ضد الشيعة. وعلى الواعين أن يعملوا لكي تتجاوز الأمة هذه الأفعال السيئة وردود فعلها الخاطئة.

وحين نطرح التقارب والحوار وتصحيح العلاقة بين أطراف الأمة إنما هو لإنقاذ الساحة الإسلامية من تخريب المتطرفين في الجانبين.

مكاشفات.. الحلقة الرابعة

- مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب والسنة
- أقترح أن تقوم جريدة (المدينة) بفتح حوار مع مختلف الأطراف الإيرانية المعنية بالموضوع حول واقع السنة في إيران
- لقد قال السنة كل ما لديهم وقال الشيعة كل ما لديهم ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟
- مواجهة الشيعة لحكم صدام لم تأخذ منحى طائفياً، لإدراكهم بأن صدام يمثل حالة سياسية طغيانية وليس حالة مذهبية
- أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين
- يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية
- لا يصح أبداً أن تطرح قضية أهل السنة في إيران وكأنها في إطار المقايضة والمساومة مع الشيعة في السعودية فالكل مواطنون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم

بين يدي مكاشفات*

كتبت في مقدمة الحلقة الثانية من مكاشفات الصفار أنوه إلى حساسية المرحلة التي نمر بها ككيان ومجتمع، وإلى ضرورة تمتين الوحدة الوطنية وقطع الطريق على أولئك (العلقميين) المبثوثين في لندن ونيويورك والذين ما فتئوا يكيدون للوطن وتماسكه ووحدته. وذكرت بالاسم علي آل أحمد من طائفة الشيعة والذي ألقى بيانا حول وضع طائفته في الكونغرس الأمريكي قبل أسبوعين. وقد فوجئت خلال الأسبوع الماضي بالرجل يتصل بي في عملي، لكنني للأسف لَم أكن موجودا وقت اتصاله، ثمّ أرسل لي رسالة على بريدي الالكتروني طالبا مهاتفتي و شرح موقفه.

والحقيقة أنني أسفت جدا لعدم تمكنه من الاتصال بي، فقد زوّرت في نفسي كلاما أحببت أن يسمعه، هو ومن هم سادرون في طريق الكيد للوطن ومواقفه، وها أنا الآن أكتب له ولهم طالما أنهم يتابعون هذا الملحق وهذه المكاشفات.

واهمون أيها السادة إن اعتقدتم أن هذا الغرب الذي تعيشون بين ظهرانيه هو

---

* المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، ٨/ ٩/ ١٤٢٥هـ ـ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

من سيصغي لكم ويؤمن بحقوقكم، فالتاريخ القريب والبعيد تجاه منطقتنا يشي تماما بعكس ذلك، فما أنتم سوى أدوات يستعملها للضغط على وطننا وابتزازنا وحالما تصبحون عديمي الفائدة بالنسبة إليه سيلقيكم في مزبلته الشهيرة، فيما تلاحقكم لعنات الأمة كلها. هل أذكركم بما فعله بشاه إيران الذي ظل يعيش في المنافي شريدا وطريدا بعد أن كان خادمهم المخلص وكلبهم المطيع في المنطقة.

البراغماتية والنفعية، أيها السادة، هي أسّ التعامل في عرفهم واقرأوا، طالما أنتم بين ظهرانيهم، لعرّابهم الأول في التربية جون ديوي عن صحة ما نقول. هذا الكاوبوي القبيح الذي وثقتم، ومعكم أعضاء الحزب الأمريكي العربي المندسين بيننا والذين يهتفون له ويعلقون آمالهم عليه، ألم يغضّ الطرف عن صدام وهو يسحق إخوتكم من طائفة الشيعة في جنوب العراق في مذبحة أليمة أمام سمعه وبصره؟ أترى لو كان إلهكم الأشقر ممتثلا ما يتبجح به علينا نحن دول العالم الثالث من حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية التي لا يراها إلا خليقة به فقط، أتراه يترك ذلك الظالم الأرعن يبطش بإخوتكم بحواماته التي لم تكن لتحلق من دون إذنه.

إذا لم تقنعكم هذه ولا تلك، فهاكم مثالا فاقعا لعميل قام بمثل ما تفعلون الآن من تأليب وشحن قميء، وهو الذي أقنع الأمريكي بالولوغ في هذا المستنقع الذي علق به والحمد لله في العراق، وخان وطنه وأمته حتى أصبح رمزا للعلقمية الحديثة والعمالة الوضيعة. وهو الذي ركب أول دبابة أمريكية وجاء عليها تجاه عراقنا الأبي. لو سألتم عنه أيها السادة لعرفتم أنه الآن ملقى في زاوية حقيرة من المشهد العراقي الذي حلم يوما ما أن يكون سيده بلا منازع. بل إنه متهم بالتزييف والسرقة، المهنة الخليقة دوما بخونة الأوطان.

وبعد، فإن ما تقوم به يا أستاذ أحمد من وضع يدك في يد ذلك الأمريكي يضر بموقف إخوتك هنا في الطائفة ممن حكّموا عقولهم بعد أن خرمتهم التجارب وعلمتهم السنون، وعرفوا أن الطريق الأصوب والحكيم هو في منهج مخالف تماما لما تفعل، وتمسكوا بوحدة وطنهم وترابه والتفوا حول مجتمعهم وقادتهم يقدمون مطالبهم

بطريقة عاقلة ومتدرجة ككل الشرائح في أرجاء هذا الوطن، هذا إن كنت مهتما حقا بشأن طائفتك ولست معنياً فقط بشأنك الخاص وطموحك السياسي!!.

وإلى الحلقة الرابعة من مكاشفات الشيخ حسن الصفار.

عبد العزيز قاسم

□ انتهينا في الحلقة الماضية يا شيخ حسن إلى حديثك بشأن ما كتبه الخميني في كتابه كشف الأسرار واعتذارك بعدم قراءتك للكتاب. وطالما دخلنا في صميم الخلاف العقدي والمفاصلة الفكرية المتراكمة عبر قرون، بودي هنا يا شيخ حسن وأنا أعيش هذا الحاضر المتوتر، وأستشرف بقلق مواطن وغيرة مسلم المستقبل القريب، لأسألك عن رؤيتك في الخروج من كل هذه المآزق التاريخية مع توابعها الجانبية كيما نصل إلى نقطة التقاء بيننا وبينكم. أنا أتكلم هنا على مستوى الطائفتين في عموم العالم الإسلامي، وليس على مستوى المملكة فقط. لأن العدو متربص الآن بالكل. ويتهيأ لاجتثاثنا وهويتنا..

■ طريق الأمة للخروج من هذه المآزق التاريخية واضح جلي، يتمثل بالأخذ بقيم الإسلام التي تأمر بالعدل والإحسان، واحترام حقوق الآخرين ﴿وَلا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾، وكذلك بالاستفادة من تجارب المجتمعات البشرية الأخرى التي تتعاطى مع التنوع الديني تعاطياً إيجابياً، فلسنا الأمة الوحيدة التي تتعدد فيها المدارس والمذاهب، فاليهود والنصارى والسيخ والهندوس والشنتو وكل الديانات القديمة والجديدة، حصل فيها تنوع وتعدد في الاتجاهات والمذاهب، فلننظر كيف يتعايش الآخرون فيما بينهم؟ ويفترض فينا أن نكون أفضل منهم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

إن دولة مثل (سنغافورة) تقع في نفس قارتنا آسيا جنوبها الشرقي، تتكون من أربع مجموعات عرقية: صينيين ٧٥٪، ماليزيين ١٥٪، هنود ـ باكستانيين ٧٪ أوربيين ٢٪ كما تتعدد فيها الديانات إلى ست ديانات: البوذية والطاوية والكونفوشية ٥٤٪، الإسلام ١٨٪، المسيحية ١٣٪، الهندوسية ٤٪. وتتعدد فيها الأحزاب السياسية حيث تصل إلى عشرين حزباً مسجلاً رسمياً.

ومع هذه التعددية تعيش سنغافورة استقراراً داخلياً، ووئاماً وانسجاماً بين هذه الأعراق والديانات، وينشط الجميع في صنع تجربتهم الوطنية المتقدمة، وبناء واقعهم الاقتصادي المتطور.

لقد عاش الأوروبيون فيما بينهم قروناً من الحروب والصراعات الدينية والسياسية ولكنهم تجاوزوها، وتنعموا بالسلم الداخلي، وحققوا الوحدة على مستوى أوروبا.

وأكثر من ذلك فإن بين اليهود والنصارى صراعاً عقدياً دموياً طويلاً، يسبق خلافاتنا بخمسمائة عام، لكنهم الآن تجاوزوا كل ذلك على مستوى التعايش والتحالف.

فهل يستعصي على أمتنا وشعار دينها السلم والسلام ﴿ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ وهي تحمل رسالة الرحمة للبشرية جمعاء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أن تحقق السلم والوئام في داخلها بين مذاهبها المختلفة؟

ولوضع النقاط على الحروف أرى أن تجاوز الصراع الطائفي يتم عبر الأمور التالية:

أولاً: الإقرار بجامعية الإسلام للطرفين وعدم تكفير أحد من أهل القبلة مع الاعتراف بحق الاختلاف.

ثانياً: الاحترام المتبادل ورعاية حقوق المواطنة لكل مسلم في وطنه مهما كان مذهبه.

ثالثاً: تجريم الإساءة من أي طرف للآخر والتحريض على الكراهية دون أن يمنع ذلك عرض كل طرف لآرائه.

رابعاً: تشجيع الحوار في القضايا المختلف فيها عقدية أو فقهية أو تاريخية ليفهم كل طرف الآخر على حقيقته وليكتشفوا مساحات الالتقاء وموارد الاختلاف.

خامساً: المشاركة والتعاون في خدمة القضايا العامة للإسلام والأمة.

وهنا أطالب بأن تستوعب المؤسسات الإسلامية العامة كل المذاهب الإسلامية، فلا يصح أن تكون مؤسسة بعنوان رابطة العالم الإسلامي، أو الندوة العالمية للشباب الإسلامي أو ما شابه خاصة بمذهب دون آخر.

بل للمؤسسات أنظمة

□ عفوا، ما أحببت أن أتفرع وأبعد عن السؤال الأصل، ولكن يا شيخ حسن لهذه المؤسسات التي ذكرت للتو نظام معلن ومبادئ منشورة ، بنفس القدر الذي هو للمؤسسات الموجودة في قم وطهران والنجف ففيها مؤسسات ومدارس لها مبادئ، من قبلها قبلوه فيها ومن لم يقبلها لم يجد له موطئ قدم، ولعل المسألة هنا تحتاج لبعض الواقعية والموضوعية أكثر من الحساسية التي تشعرون بها..

■ المؤسسات التي تحمل عنواناً إسلامياً دولياً عاماً ينبغي أن تستوعب كل المسلمين، وأن لا تستثني طائفة أو مذهباً، سواء كانت في المملكة أو إيران أو أي بلد آخر، ما دامت تتصدى لقضايا تهم الجميع، إلا أن يكون عنوانها خاصاً.

□ وطالما استطردنا فدعني استمرئ الأمر واستدرك عليك بشأن ما أوردته في حديث سابق لك، ولا أدري أهو من سبق اللسان أم لا، بأن خصومكم الطائفيين يقولون بأن (زيارة القبور هي عبادة لغير الله، بدعة، حرام..قبوريون) أتصور يا شيخ حسن بأنه لا يوجد طالب علم فضلا عن عالم يقول بأن زيارة القبور بدعة أو حرام وأيضا لقب القبوري لا يطلق إلا على من يدعو المقبور ويستغيث به من دون الله ويصرف شيئا من أنواع العبادة له مع الله أو من دون الله أما زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي مشروعة مطلوبة محبوبة مرغوبة، أجزم لك بهذا وقد تربيت على هذه الكتب السلفية.

■ أقصد ما يتعلق بزيارة القبور من السفر إليها وزيارة النساء لها، والعبادة لله تعالى عند قبور الأنبياء والصالحين، وبناء المشاهد والمساجد على قبورهم، والتوسل إلى الله تعالى بهم، وسائر التفاصيل المرتبطة بالموضوع التي هي موضع خلاف بين المدرسة السلفية وبقية المسلمين سنة وشيعة.

ولكن كيف نبدأ؟

□ عودة إذاً لأصل السؤال، ولكي لا نبقى في اليوتوبيا والأماني يا شيخ حسن، سؤالي هنا: ماذا عن تلك الترسبات النفسية عميقة الجذور في كل الطائفتين ، لن أكون مثاليا وأقول أننا سنزيلها ولكن كيف يمكن تخفيف احتقانها وتشنجها؟

■ سؤال مهم جداً يجب أن يجتهد الواعون ودعاة التقريب والإصلاح في

الإجابة عليه، وأرى أن هناك ثلاثة عوامل تساعدنا في التغلب على هذه الترسبات النفسية العميقة الجذور في كلا الطائفتين حسب تعبيرك هي:

أولاً: إيقاف الإثارة لهذه الترسبات ومنع تغذيتها وتنميتها، عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية، وتبادل الطعن والاتهام والتجريح. كانت هناك ثقافة تبث التحريض والكراهية ضد المخالف في الرأي وخاصة في تيار إخواننا السلفيين هناك كلام قاس وعنيف ضد المخالفين لهم في الرأي سواء كانوا الشيعة أو الصوفية أو التوجهات الإسلامية الأخرى التي تختلف معهم في الرأي. يجب أن يتوقف الدعاة في الطرفين عن تعبئة جمهورهم تجاه الطرف الآخر، وإبرازه كجهة خطر، وقد نشرت بعض الآراء والفتاوى التي تعتبر الرافضة أي الشيعة أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى. إن وجود حالة تعبوية تحريضية يمنع من إزالة تلك الترسبات بل يغذيها.

بل أكثر من ذلك علينا أن نوقف الانشغال بالخلافات العقدية والمذهبية، فهناك أخطار مشتركة على كل الدين وكل الأمة هي الأحق بالاهتمام والانشغال، وهناك تخلف عميق يلف حياتنا السياسية والاقتصادية حري بنا أن نعمل جميعاً لتجاوزه.

لقد قال السنة كل ما لديهم وقال الشيعة كل ما لديهم ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟

ثانياً: نشر ثقافة التسامح وقبول التعددية واحترام الرأي الآخر واستخدام لغة الحوار.

ثالثاً: صنع واقع التعايش القائم على العدل والمساواة ومراعاة حقوق الإنسان وحقوق المواطنة. وتشجيع الاندماج والانفتاح الإسلامي والوطني.

□ هنا يا شيخ حسن، لي جملة اعتراضات لا بدّ لي من سردها، أولها ما صدر من كتب ومجلات ونشرات من طائفة الشيعة في سبّ وشتم وثلب الصحابة ودعاة الدعوة السلفية أكثر مما تتهم به الأخوة السلفيين،

فضلا عن أنه مليء بالمغالطات، ولعل تحميل هؤلاء لوحدهم تبعة التحريض والكراهة والكلام القاسي العنيف منهج غير علمي...

■ لا أنكر أن في الشيعة متطرفين متشددين تصدر منهم إساءات لبعض الخلفاء والصحابة ولبعض رموز أهل السنة والجماعة، في كتب أو مجلات أو نشرات، كما لا يمكنك أن تنكر أن هناك كتباً وفتاوى وخطباً من قبل جهات سنية تكفر الشيعة وتحرّض عليهم وتتهمهم بأبشع التهم وأسوأ الصفات، ونحن الآن يجب أن نسعى لتجاوز هذه الحالة السيئة التي لا تليق بأمة تحمل رسالة الإسلام، وتعيش في عصر تتسع فيه الأحلاف والتكتلات، وتنشأ فيه أقوى الاتحادات بين مجتمعات مختلفة وشعوب متباينة.

وبدل أن نستغرق في إعداد الملفات ضد بعضنا من سبّ أكثر، ومن إساءة للآخر أكثر، دعونا نتجه لميثاق شرف إسلامي يضع حداً لهذه المهاترات.

وأقول لكم عن نفسي وعن مساحة واسعة من مراجع الشيعة وعلمائهم: إننا مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، يؤكد على وحدة الأمة، وعلى مرجعية الكتاب والسنة، وعلى الاحترام المتبادل، وخدمة المصلحة العامة.

أما ما أشرت إليه من اعتراض علمائكم على قضية التبرك وما أسميته بالشركيات الفاقعة، فإن من حق أي عالم أو جهة أن تبين رأيها، لكن بلغة علمية، وبالالتزام بأدب الخطاب الإسلامي، ولا يناسبه التشكيك في دين المخالفين لها بالرأي، أو اتهامهم بالشرك والضلال، إنها لغة يجب تجاوزها واستبدالها بلغة الحوار والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

□ **لأكن معك أكثر واقعية وأكثر صراحة ونحن نناقش هذا المعضلات الحاضرة بين الطائفتين، والله المستعان، برأيك يا شيخ، من يعلق الجرس؟ وبمعنى آخر صريح، على من تقع مسؤولية البدء في مناقشة**

ومباشرة هذه الأطروحات الداعية للتفاهم، هل على عاتق السياسي بالدرجة الأولى أم على عاتق علماء الدين والدعاة؟

■ كان يجب أن تكون مسؤولية البدء بعهدة علماء الدين والدعاة، ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ لكن ظروف الواقع تجعلني أعتقد بأن السياسي هو المسؤول بالدرجة الأولى.

□ **جميل..أنت حددت لنا السياسي هنا، ولكن هلا أكرمتنا بأسبابك؟**

■ القيادة السياسية في كل بلد مسؤولة عن حقوق مواطنيها بمختلف مذاهبهم وطوائفهم، فإذا ما طبقت العدل والتزمت المساواة وتكافؤ الفرص، فسيجد الجميع أنفسهم أمام واقع التعايش، واحترام حقوق بعضهم بعضا.

□ **لا بأس بما ذكرت، ولكنك يا شيخ حسن أنت أسقطت رؤيتك على الحالة الشيعية السعودية، وكان سؤالي بأفق متسع يشمل الحالة الإسلامية عامة.**

■ وقد قصدت بجوابي أيضاً الحالة الإسلامية في كل بلاد المسلمين، لكني أرى أن أغلب البلدان الإسلامية لا تعاني كثيراً من المشكلة الطائفية.

□ **(متفاجئاً) عفوا..عفوا..كيف ذلك يا شيخنا.. وما الذي نقوله عن إخواننا السنة في إيران. بل تذكر بعض التقارير أنهم يشتكون من اضطهاد وممارسات طائفية بأضعاف ما تشتكون أنتم هنا.**

■ اسمح لي وبمناسبة حديثك عن وضع السنة في إيران، والذي يطرحه كثيرون حين يجري الحديث عن المواطنين الشيعة في المملكة، أودّ هنا التأكيد على النقاط التالية:

١. لا يصح أبداً أن تطرح القضية وكأنها في إطار المقايضة والمساومة، فالسنة في إيران مواطنون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم بغض النظر عن وضع الشيعة في البلدان الأخرى، والشيعة في المملكة مواطنون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم بغض النظر عن وضع السنة في البلدان الأخرى.

٢. نحن في بلد له خصوصيته فهو مهبط الوحي، وله حكومة تتبنى تطبيق الإسلام والتزام الكتاب والسنة، قبل أي حكومة أخرى في العالم الإسلامي. ويهمنا أن نقدم وضعنا في المملكة كنموذج للآخرين، وإذا قصرّ الآخرون في التزاماتهم تجاه شعوبهم فإن ذلك لا يبرر لنا التقصير ولا نقبله لأنفسنا.

٣. إنني لا أعطي نفسي حق التكلم عن الإيرانيين من الشيعة والسنة، ويمكن التخاطب معهم مباشرة، واقترح على جريدتكم الموقرة أن تفتح حواراً مع مختلف الأطراف الإيرانية المعنية بالموضوع من حكومية وشعبية سنية وشيعية. حول واقع السنة في إيران، إذا كان يهمكم هذا الأمر، ورأيتم ذلك مناسباً.

□ والله يا شيخ حسن دعوة مقبولة، ولا أظن أن القائمين على الصحيفة يمانعون في أي عمل نخدم به وحدة الأمة وستكرمنا أنت شخصيا بتسهيل الأمر إن وافق المسؤولون.. ولكن..سامحني فما زلت غير مقتنع بما ذكرت عن أهل السنة في إيران، وقد أقمتَ أنت حسن الصفار هناك فترة لا بأس بها. ودعني ألتف عليك بشكل ما وأستفسر منك عن من قتل إمام أهل السنة في إيران أحمد مفتي زادة ومن قتل ناصر فرقاني ومن حرم أهل السنة حتى من حق التمثيل النيابي في الوقت الذي يوجد فيه نواب للبهائيين و الوثنيين المجوس. وأتمنى أن تجيب بصراحة لأن ما ستذكره هنا سيسجل عليك تاريخيا؟

■ أخي الكريم أنت تلاحظ الآن أن الولايات المتحدة الأمريكية حينما بدأت

ممارسة الضغوط على المملكة العربية السعودية صارت تلوّح بورقة الحريات الدينية، وحقوق الأقليات المذهبية، كما ورد في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية أخيراً.

وكلنا نعلم أن أمريكا أعلنت الحرب على الجمهورية الإسلامية منذ قيامها، وهي التي حرضت نظام صدام حسين لشن الحرب على إيران، وفرضت الحصار الاقتصادي، وأمريكا الآن تدير معركة شرسة مع إيران حول برنامجها النووي، في ظل هذه المعركة من الوارد أن تقوم أمريكا بإثارة المشكلة الطائفية داخل إيران، فتحصل بعض الاغتيالات والأحداث، ولا نبرئ الحكومة الإيرانية من الأخطاء، فقد تكون هناك اختراقات في بعض أجهزتها، وقد كشفت هي عن ذلك، وقد تكون هناك توجهات وتصرفات طائفية عند بعض الأجهزة أو المسؤولين، كما قد يندفع بعض السنة هناك لمواقف خاطئة، كل ذلك أمر وارد.

وشخصياً لست مطلعاً على حقيقة ما ذكرت من اغتيال وقتل بعض شخصيات السنة في إيران.

لكن لدي بعض المعلومات العامة عن أوضاع السنة في إيران، من خلال مدة بقائي هناك، وعبر معرفتي ببعض الشخصيات السنية الإيرانية المقيمة في طهران، ولم أزر مناطقهم.

فقد قرأت في الدستور الإسلامي الإيراني مادة تنص على الاعتراف بالمذاهب السنية هي المادة الثانية عشرة وقد وردت فيها الفقرة التالية: «المذاهب الإسلامية الأخرى والتي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والإرث والوصية) وما يتعلق بها من دعاوى في المحاكم. وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية تكون وفق ذلك المذهب، هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى»..

كما علمت أن مناهج التعليم الديني في المدارس الحكومية في مناطق السنة

في إيران هي بالفعل طبق مذاهبهم، وقرأت ما كتبه الأستاذ فهمي هويدي الصحفي المصري المعروف عن وضع السنة في إيران في كتابه (إيران رؤية من الداخل) وكانت نظرته ايجابية.

كما أعرف وجود مستشارين اثنين من أهل السنة لرئيس الجمهورية الإيرانية لشؤونهم. وأعرف وجود مستشار لوزير الداخلية الإيراني أيضاً حول شؤون أهل السنة.

أما قولك أن أهل السنة في إيران محرومون من حق التمثيل النيابي فهذا غير صحيح أبداً، حيث يشاركون في الانتخابات، ولهم في هذه الدورة الحالية لمجلس الشورى واحد وعشرون نائباً، وهذه معلومات معلنة يمكن الحصول عليها.

كما أن كتب أهل السنة وخاصة المصادر تطبع في إيران وتدخل إليها وقد اشتريت شخصياً كثيراً منها من مكتبات قم وطهران يوم كنت هناك. وهناك مشاركة سعودية في معارض الكتاب الدولية في إيران.

ولأهل السنة في إيران معاهدهم وحوزاتهم الدينية، وتصدر لهم مجلة رسمية في منطقة (زاهدان) بعنوان (نداء الإسلام) باللغة الفارسية فيها آراؤهم وأخبارهم.

وقد حشرتني ـ سامحك الله ـ في هذا الموضوع وما كنت أحبذ التحدث فيه إلا بمقدار ما يخدم قضية الوحدة والتقريب، وإلا فلست في مقام الدعاية للإيرانيين، ولا موقع الدفاع عن أخطائهم.

وإذا كانت لأهل السنة مشاكل في إيران أو مطالب فمن حقهم المشروع طرحها والسعي لمعالجتها ضمن إطارهم الوطني ودون أن يفسحوا المجال لأي تدخل أجنبي، كما أننا نرفض أي تدخل خارجي في قضايانا الوطنية.

نموذجا العراق ولبنان

□ والله يا شيخ حسن لن أتجادل معك وأنا متأكد بأن بعض الباحثين في هذا الشأن سيدلون بآرائهم تصحيحا أو موافقة. واسمح لي بالانتقال إلى مثال

ايجابي، ودعني أضرب هنا مثالا حيا لقضية التعايش والتفاهم، هناك نموذجا لبنان والعراق. هل برأيك أن هذين النموذجين يقدمان للأمة ما تصبو أنت إليه حسن الصفار من تفاهم بين سنة وشيعة تجاوزوا خلافاتهم التاريخية وتعاونوا لحاضرهم ومستقبلهم. هل من تعليق؟

■ لعل النموذج اللبناني في التعايش والتفاهم بين الطوائف والاتجاهات في ظل المشاركة الشعبية واحترام الحريات العامة يعتبر من أفضل النماذج في المنطقة العربية، مع ما فيه من ثغرات وإشكالات.

وفي العراق لم تكن الحالة المذهبية متشنجة، فالمذهب الحنفي السائد عند أهل السنة في العراق لم ينتهج ثقافة مذهبية تعبوية ضد الآخر، والشيعة في العراق تبنى أكثر علمائهم الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والوئام الوطني، ومن أبرزهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ عبدالكريم الزنجاني، والشيخ محمد الخالصي.

وثورة العشرين في العراق ١٩٢٠م لطرد الاستعمار البريطاني من أكبر شواهد الوحدة الإسلامية الوطنية في العراق.

وفي ظل حكم البعث ومع كل ما أوقعه من الظلم والاضطهاد على الشيعة وهم الأكثرية، ومع أن صدام جعل الهيمنة الأساسية لعشيرته وجماعته وهم محسوبون في الانتماء الاجتماعي من أهل السنة، إلا أن مواجهة الشيعة لحكم صدام لم تأخذ منحى طائفياً، لإدراكهم بأن صدام يمثل حالة سياسية طغيانية وليس حالة مذهبية، بدليل بطشه بالعلماء الواعين والشخصيات الوطنية من أهل السنة.

ومن يطلع على أدبيات وخطاب الحركات الإسلامية الشيعية في العراق كحزب الدعوة الإسلامية، ومنظمة العمل الإسلامي، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وغيرها يرى ثبات هذا الموقف لديهم بوضوح.

وبعد سقوط نظام صدام فشلت لحد الآن كل محاولات جرّ الطائفتين إلى صراع طائفي، رغم التفجيرات والاغتيالات المشبوهة التي استهدفت رموزاً من الجانبين.

ونرجو أن يتمسك الشعب العراقي بهذا الوعي الإسلامي الوطني، وأن يوحدوا صفوفهم في مواجهة الاحتلال، والذي يمثل الآن موقفاً مشتركاً بين السنة والشيعة. حتى يتجاوز العراق محنة الاحتلال، ويستعيد استقلاله وسيادته ببناء حكم تعددي ديمقراطي يحترم حقوق كل أبنائه من مختلف الطوائف.

ويبقى أن أشيد هنا بالروح السائدة عند شيعة العراق، بالرغم من أنهم أكثرية في العراق، حيال تعاملهم مع إخوانهم السنة وبقية الطوائف والمذاهب في العراق.

□ يا شيخ حسن لي وقفتان. وأتصور هنا ، واسمح لي، في حديثك الذي ذكرت بعض المغالطة. فشيعة العراق وقفت غالبيتهم، باستثناء مجموعة مقتدى الصدر، مع المحتل الأمريكي بل تجاوز الأمر إلى التواطؤ معه. أقول ذلك باللفظ المستفز حتى..

■ لن أستجيب للاستفزاز، ولكني أقول: إن الشعب العراقي مجاور لنا وجزء من أمتنا بشيعته وسنته، وأخشى أن يكون التجريح في وطنيتهم ومواقفهم مضراً بالقضية العراقية وبعلاقتنا المستقبلية معهم.

فالشعب العراقي كله غيور على وطنه، ولا يقبل أحد منهم بالاحتلال، وإن كانوا سعداء لسقوط صدام، لكن أحداً لم يكن قادراً على تحدي الهياج الأمريكي الذي مهّد له صدام بحماقاته، وحتى الإرادة الدولية الرسمية والشعبية لم تستطع ذلك.

أما حصر المقاومة للاحتلال الأمريكي في هذه المرحلة بالعمل العسكري فهو محل نقاش في وسط الشعب العراقي، والذي يبدو لي أن أغلب القوى الدينية والسياسية في العراق من مختلف الأعراق والطوائف ليست مع خيار التسرع في المقاومة العسكرية.

وهناك فئة اتجهت للعمل العسكري من السنة والشيعة.

وأرجوك أخي الكريم أن لا تمذهب المواقف السياسية، وإلا فالأكثرية السنية في العراق أيضاً لم تقاوم الاحتلال، ولا استخدم تعبيرك وقفت مع الاحتلال، فالأكراد

اضطرتهم ظروفهم للتعاطي مع الاحتلال فهل هم من الشيعة؟ والشعب الأفغاني بأكثريته تعاطى مع الاحتلال الأمريكي فهل أكثريته من الشيعة؟

علينا أن نتحلى بالموضوعية والإنصاف، وخاصة في هذا الظرف الحساس الذي تمر به الأمة، ولا نكون عوناً للشيطان على إخوتنا اقتباساً من الحديث النبوي: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم».

□ واسمح لي ثانية في الاستدراك عليك يا شيخ حسن في النقطة الثانية. زعمت أن الأكثرية للأخوة الشيعة في العراق، ولكن هذه الأكثرية يختلف البعض عليها إذا ما جمعنا أهل السنة والأكراد مقابلهم..

■ لا يزعجني أن يكون أهل السنة هم الأكثرية في العراق، ولا يهمني إثبات أن الشيعة هم الأكثرية، وسيظهر سجل الناخبين وصناديق الاقتراع واقع الأمر. لكني أرصد في كلامك يا أستاذ عبدالعزيز شيئاً من التناقض عند الحديث عن التعامل مع الأمريكيين، لا تحسب الأكراد على السنة وهم أول من تعاطى معهم وحظي بالحماية الجوية الأمريكية لأكثر من عشر سنوات، وعند الحديث عن التصنيف العددي للطوائف تحسب الأكراد في عداد أهل السنة، أليست تلك إذاً قسمة ضيزى؟

ويبدو لي أن الشعب العراقي أثبت نضجاً وحدوياً ووعياً وطنياً يتجاوز ما كان متوقعاً، لأن الحكم السابق قد حفر أخاديد من الفتن والمشاكل، كنا قلقين من تفجر براكينها بعد سقوطه، لكن ما أظهره الشعب العراقي من تلاحم وتماسك مع حدوث مؤامرات ضخمة على وحدته أمر يبشر بالخير إن شاء الله.

كان يمكن أن تتفجر انفعالات شيعية طائفية بعد تفجيرات العاشر من المحرم في كربلاء والكاظمية، أو بعد الانفجار الذي أودى بحياة الزعيم السيد محمد باقر الحكيم في النجف، لكن وعي المرجعية الدينية في النجف ووعي سائر القيادات من الطرفين قد فوّت الفرصة على الأعداء.

وحينما تسرع بعض الشيعة لأخذ بعض مساجد أهل السنة التي بناها النظام السابق في مناطق شيعية، بادر المرجع الأعلى السيد السيستاني لإصدار فتوى بإعادة تلك

المساجد لأهل السنة، وإرجاع أئمتها إليها مكرمين معززين، وتحمل السيد السيستاني نفقات ترميم وإصلاح تلك المساجد كما نقلت ذلك بعض وسائل الإعلام.

إن هذه الحالة من النضج عند الشعب العراقي تستحق الإشادة وأن ندعمها، لا أن نعكرّ أجواءها بإثارة الإشكاليات الطائفية من وحي ما نعيشه في مناطقنا.

□ والله هذه (صيدة) بما في عامياتنا يا شيخ حسن، ولعل دروس المنطق أيام الطلب في النجف لم تذهب سدى وتجلت في إجابتك هنا. ولكن دعني أثبت هنا في المقابل دور إخوتنا السنّة الرائد في العراق، وبثهم للأدبيات التصالحية وتمتين هذا التكاتف الاجتماعي.. وقد رأينا على شاشات الفضائيات مساعدات أهل الفلوجة السنية تتسارع إلى النجف.

■ وقبل ذلك مساعدات أهالي النجف للفلوجة لأنها أسبق زمنياً.

□ يا شيخ حسن، القضية هنا ليست قضية مزايدات، بل دعوة شفيقة ووطنية عالية الصوت كي تسود مثل هذه الأجواء الودية..

■ المزايدات مرفوضة والإنصاف مطلوب.

□ أنتقل إلى نموذجين آخرين، وهما نموذجا البحرين والكويت، لكأن لدى الطائفتين في الكويت تماسات وأجواء غير إيجابية عكسها في البحرين، حيث التعاون والتنسيق، ما سبب هذا التشنج في الكويت؟ وسبب الانسجام والتلاحم في البحرين؟

■ حسب إطلاعي لا توجد مشكلة في الانسجام بين السنة والشيعة في الكويت و ليس هناك تشنج بين السنة والشيعة. وأسمح لي بهذه المناسبة أن أقول إن وجود كلام

من هذا العالم السني ضد الشيعة، أو من هذا الخطيب الشيعي ضد السنة، لا يهم الناس كثيراً مادامت أمور حياتهم لا تتأثر بذلك الكلام، ويتعاملون مع القضية ضمن حد معين من التفاعل. ولكن المشكلة هي في تحوّل ذلك الكلام المضادّ إلى ممارسات إجرائية تنال من حقوق الناس.

التوتر الطائفي في الكويت

□ عفوا..ذكرت بعدم وجود تشنج ولا أدري يا شيخ حسن، ولكني أشعر ببعض التوتر الطائفي هناك. هل أذكّرك بشريط الكاسيت للمدعو ياسر الحبيب وما صرح به من سبّ كريه بغيض لصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورضي الله عنهم أجمعين؟

■ سمعت عن هذا الشريط وهو عمل فردي سيىء أصدر تجمع علماء الشيعة في الكويت بياناً يتبرأ منه ويستنكره، وصاحب الشريط ليس عالماً ولا خطيباً وليس ذا موقعية دينية أو اجتماعية وقبل الجميع بتحويل الأمر إلى القضاء ليأخذ مجراه وهذا ما حصل.

وكما تحصل من بعض أفراد الشيعة مثل هذه الممارسات الخاطئة فإنه يحصل مثلها من قبل بعض أفراد السنة، حيث حصل إطلاق نار قبل سنتين على حسينية للشيعة في الكويت، وصدرت أشرطة وكتابات تحريضية ضد الشيعة، لكن الحكومة الكويتية والشعب الكويتي سنة وشيعة يدركون خطورة الإثارات الطائفية فيحاصرونها ويقضون عليها في مهدها من هذا الطرف أو ذاك.

□ ما دام الأمر كذلك فالحمد لله، وأنا والله سعيد بسماع ذلك، لنذهب للبحرين ونستشرف رؤيتك حيال الطائفتين هناك؟

■ في البحرين أيضاً الوضع جيد، فليس هناك مشكلة في العلاقة بين السنة

والشيعة، بل هناك تداخل اجتماعي عبر التزاوج والتزاور والشراكة المصلحية في الأعمال والتجارات، وقبل أسابيع قليلة شاهدت حواراً على شاشة العربية ضمن برنامج (إضاءات) مع أبرز العلماء السلفيين في البحرين الشيخ عادل المعاودة والذي أثنى على العلاقة الطيبة بين الشيعة والسنة في البحرين.

ولعلكم تعلمون أن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في البحرين نصفه من علماء السنة ونصفه من علماء الشيعة، برئاسة وزير الشؤون الإسلامية نائب رئيس الوزراء الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة.

□ ألست معي يا شيخ حسن بأن هذه النماذج التي سردنا ورصدنا معا ملامح التعاون بين الطائفتين فيها عبر استقراء جغرافي قريب، كانت المصلحة المشتركة هي الأرضية التي التقوا عليها، والأرضية السياسية بالخصوص، كل ذلك دفعهم إلى أن يلتقوا ويتحدوا. إذا سحبنا ذلك إلى مشهدنا المحلي، أليس الأجدر والأولى للتيار الديني في كلا الطائفتين تنسيق مواقفهما، والمشترك بينهما كبير ، عبر الحفاظ على روح التدين في البلد مقابل دعاة العلمنة والتغريب وإقصاء الدين وتلك الأصوات النشاز المتحررة.

■ بلى كان يجب أن تكون الأجواء عندنا أقرب وأسبق إلى حالة الوئام والانسجام، لما لبلادنا من موقع ديني متميز، فحالة التقارب بين المذاهب في المملكة ستترك تأثيرها الإيجابي على العالم الإسلامي كله، بينما يكون لحالة التنافر المذهبي في المملكة انعكاس سلبي على الأمة كلها، كما حصل بالفعل.

لكن هناك أمرين فارقين لوضعنا في المملكة عن البلدان المذكورة:

الأول: أن الحكومة ملتزمة بنهج إسلامي معين هو المنهج السلفي.

الثاني: أن المدرسة السلفية لها موقف حاد صارم تجاه الرأي الآخر. ومن

نماذجه ما نشرتموه في ملحق (الرسالة) بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ضمن مقال لأحد كبار العلماء رداً على الدكتور عبدالعزيز التويجري، يخرج فيه الشيعة من حظيرة الدين الإسلامي، ويرفض اعتبارهم إخوة في الدين، ونص كلامه: «وأما قولك: أن الشيعة إخوة لنا في الدين والوطن، فنقول: هم إخوان لمن ارتضاهم إخواناً له، أما من عرف حقيقة ما هم عليه في الاعتقاد الموجود في كتبهم ومراجعهم والذي يتكلمون به في دعائهم ومحاضراتهم فإنه لا يعتبرهم إخواناً له، والمواطنة غير الأخوة في الدين»، وهذا الكلام مفهومه تكفير الشيعة كما هو واضح.

□ أنا متفاجئ يا شيخ حسن من حديثك..ولماذا لم تعتبره رأيا فرديا.. بنفس الطريقة التي حاججتني بها حيال شريط ياسر الحبيب. أتساءل هنا بصوت عال.. لماذا تحسب هذا على الشيخ صالح فقط؟

■ سامحني الله وإياك يا أستاذ عبدالعزيز.. إن ياسر الحبيب مجرد شاب متحمس لا يمثل موقعية ولا مرجعية، ورأيه لا يتعبد به أحد، بينما هذا الشيخ جزء من مرجعية رسمية ولرأيه تأثير على قطاع واسع يثق به.

□ وليكن.. لماذا تسحب رأيه فقط على تيار عريض في أرجاء الوطن كله، وقد جلست أنت تحديدا في الحوار الوطني الذي رعاه سيدي سمو ولي العهد مع جملة من الدعاة والعلماء.

■ أتمنى أن يصدر من ذلك التيار العريض ما يخالف هذا الكلام وينكر عليه، وأشير هنا إلى نقاط:

أولاً: إننا في دولة لا تمنح جنسيتها إلا للمسلم، فكيف نصمت على من يكفر شريحة من مواطني هذه الدولة وحملة جنسيتها؟

ثانياً: يأتي هذا الكلام في وقت تتعالى فيه الأصوات ضد التكفير والتكفيريين، حيث صدر أكثر من بيان من هيئة كبار العلماء، وصرح ولاة الأمر بذلك. فكيف سُكِت على هذا الأمر المخالف لسياسة الدولة والمواقف المعلنة للمؤسسة الدينية ضد التكفير؟

ثالثاً: والبلاد تعاني من خطر الفئات الإرهابية، ألا يخشى أن تستفيد هذه الفئات من مثل هذه الآراء في توجهاتها الإرهابية.

وإليك هذه الفتوى لعالم آخر من كبار العلماء منشورة في كتاب أصدرته هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية من قبل مكتبها في الأحساء، ونصف أهلها من الشيعة، جاء في الكتاب المطبوع تحت عنوان (١٠٠ سؤال وجواب في العمل الخيري) سنة ١٤٢٣هـ ص ١١-١٢: «يجب على المسلمين من أهل السنة بغض أهل البدع ومقتهم وتحقيرهم كالرافضة والمعطلة والقبوريين والإباضيين، كما يجب على المسلم عند كثرتهم وتمكنهم في البلاد البعد عنهم للتخلص من شرهم، فإن لم يقدر أو لم يكن له حيلة في الهجرة جاز له تأليفهم ودفع شرهم بما يندفعون به ولو بجزء من الزكاة، واعتبروا من المؤلفة قلوبهم.

لا يجوز مساعدتهم لما فيه تقوية لمعنوياتهم وإظهار لبدعتهم، فإن تمكنهم يكون فيه إذلال وإهانة لأهل السنة، فعلى المسلم من أهل السنة أن يسعى في كل ما فيه إهانة للمبتدعة، فلا يتخذهم عمالاً وخداما، كذا لا يخدمهم ولا يتعامل معهم بما يقوي معنوياتهم أو يروج منتجاتهم، ولا يشتري من بضائعهم، لكن إذا لم يستطع التخلص من شرهم جاز له دفعهم بقدر ما يخلصه من أذاهم».

مثل هذه الآراء والمواقف الصادرة من علماء لهم مكانتهم، وباسم مؤسسات لها موقعيتها، من الطبيعي أن تعرقل مسيرة التقارب والوئام في المجتمع السعودي وعلى مستوى الأمة.

ويشهد الله أني لا أذكر ذلك هنا للتشهير بأحد منهم فهي آراء منشورة ومعلنة، ولكني آمل أن تكون هناك مراجعة لها من قبلهم، وتفكير في مدى مناسبة طرحها في هذا الظرف الحساس.

بين التفاؤل والتشاؤم

□ يا شيخ حسن، وأنا أستمع إليك، والكلمات تخرج بحرقة وحدّة منك، دعني أباغتك بهذا السؤال: هل أنت متفائل بعد كل ما ذكرت بالتقارب؟

■ نعم إني أشعر بتفاؤل كبير رغم كل ذلك.

□ **جميل، ولكن من قرأ لك ما سبق، أو أوقعه حظه العاثر مثلي كي يستمع منك إلى حديث يغلي بالصدق والمعاناة والشكوى ليجزم بغير ما أجبت، هلا أبنت لنا أسباب تفاؤلك؟**

■ من أسباب تفاؤلي توجه القيادة السياسية في البلاد لتكريس منهج الحوار والانفتاح بين شرائح المجتمع السعودي، عبر مؤتمر الحوار الوطني الذي دعا إليه ورعاه سمو ولي العهد.

وإتاحة الفرصة نسبياً لمختلف الأطراف أن يعبروا عن آرائهم، بعد أن كان المجال محتكراً لطرف واحد، مما يعني تعرف الأطراف على بعضها، واستنهاض الرأي العام الوطني لصالح الاعتدال والوحدة والتقارب.

وأعتقد أن ارتفاع مستوى الوعي العام عند الناس، وتطور وسائل الإعلام والاتصالات، أوجدت مصادر أخرى لمعلومات وآراء الجمهور في الطائفتين، عن بعضهما، يتجاوز ما كانوا يسمعونه من تعبئة من جهاتهم الدينية.

كما أني أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي، بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة وانفتاحهم على الرأي الآخر، يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين، وأفضل تقويماً لهم، متجاوزين بذلك الآراء المعلبة والمواقف النمطية.

وقد التقيت بعدد من الفضلاء منهم فوجدت لديهم أرضية واستعداداً طيبا.

□ **مضطر لأقاطعك لأنني أتوسم منك طرح بعض أسماء هؤلاء العلماء الواعين بتعبيرك والذين تراهن عليهم يا شيخ حسن..**

■ بعيداً عن التصنيف والمراهنة أقول إني التقيت بعدد من العلماء والدعاة، وسمعت منهم كلاماً طيباً يدعو إلى التفاؤل. وعلى رأسهم سماحة المفتي الراحل الشيخ عبدالعزيز بن باز، ورئيس مجلس القضاء الأعلى الشيخ صالح اللحيدان،

ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السابق الدكتور عبدالله التركي، والوزير الحالي الشيخ صالح آل الشيخ ووزير العدل الدكتور عبدالله آل الشيخ، وفضيلة الشيخ سلمان العودة، والدكتور الشيخ عوض القرني، والدكتور الشيخ عائض القرني، والشيخ إبراهيم أبوعباة، والدكتور حمد الصليفيح، والشيخ محمد الدحيم، والدكتور حمزة بن حسين الفعر الشريف، وغيرهم وبعض هذه اللقاءات تمت في إطار مؤتمر الحوار الوطني، وكان لي لقاء جميل مع الدكتور مانع الجهني الأمين العام السابق للندوة العالمية للشباب الإسلامي رحمه الله في مقر الندوة بالرياض، كما تكررت زياراتي للشيخ محمد بن زيد عضو هيئة كبار العلماء ورئيس المحاكم الشرعية في المنطقة الشرقية في منزله ورئاسة المحاكم بالدمام، وكان لي لقاء طيب مع الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي اثناء مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في البحرين، كما التقي عادة قضاة المحكمة الشرعية الكبرى في القطيف.

☐ وأنا أرصد بدقة ما تذكر من أسماء ولعلني انتبهت إلى إغفالك اسمين علمين مهمين أثناء حديثك عن دعاة الصحوة وهما سفر الحوالي وناصر العمر. بصراحة شديدة هل ثمة مشكل معهما ؟

■ لحد الآن لم تتح لي فرصة اللقاء معهما، وأتمنى ذلك وليس هناك مشكل ولا عائق يمنعني من اللقاء بهما، فاختلاف الرأي، أو تباين الموقف لا يصح أن يكون مانعاً عن التلاقي. ولكني أستأذنك في إكمال عوامل تفاؤلي، وقد قاطعتني غفر الله لي ولك.

العامل الثالث ارتفاع مستوى الوعي العام عند الناس، ما عاد الجمهور الشيعي والجمهور السني يتلقى كل مواقفه وكل معارفه من مصادر تقليدية، سابقاً كان الشيعي يتلقى مواقفه ومعارفه من الحسينية ومن الشيخ ومن الخطيب الشيعي، والسني أيضاً يتلقى مواقفه ومعارفه من خطبة الجمعة والشيخ السني، الآن انفتحت مصادر أخرى للمعرفة والمعلومات. هذه الفضائيات والانترنت، والكتب، فبدأ الناس هم يرون وهم

يكتشفون وهم يلاحظون، يتعرفون على بعضهم البعض بشكل مباشر. السني الذي كان يسمع في الماضي أن الشيعة يعملون كذا ويفعلون كذا، أصبح الإعلام والفضائيات تحديدا تنقل لهم بثاً مباشراً لما يفعله الشيعة.. وبالتالي لن يكذب عقله ونظره ويصدق شيخاً في زاويته، وكذلك يسمعون حديث علماء الشيعة ويرون مواقفهم.

□ هنا يا شيخ ستأخذني الطائفية والتخصص قليلا لأعلق عليك وأقول بنفس القدر الذي نرى فيه شباب وعوام الشيعة في خط متواز تماما مع ما ذكرت، وهم يتابعون ويقرأون لعلماء السنة بلا أي تلقينيات مسبقة أو أن يأخذوا معلوماتهم تجاه السنة من مشايخ الحسينيات..

■ نعم هناك انفتاح شيعي على العلماء والمثقفين من أهل السنة، كثيرون كانوا يتابعون محاضرات الشيخ الشعراوي في تفسير القرآن، ويقرأون للشيخ محمد الغزالي، ويسمعون الآن ويقرأون للشيخ يوسف القرضاوي، وأمثالهم من العلماء الذين يتحدثون بلغة واعية معاصرة.

اللقاء التأريخي الأهمّ

□ عوداً إلى موضوع لقاءاتك مع العلماء. أتصور أن لقاءك مع الشيخ ابن باز رحمه الله تبعه كثير من اللغط واللبس والاتهامات التي تصاحب عادة هذه الأخبار، ولأهمية الرجل وكارزميته أود منك الحديث بالتفصيل عن هذا اللقاء. فمتى كان اللقاء؟

■ كان اللقاء في شهر ذي القعدة سنة ١٤١٦هـ.

□ هل كان بمبادرة منك أم بطلب من الشيخ رحمه الله؟

■ كان برغبة ومبادرة مني.

□ هل يمكن لك أن تسرد لي ولقارئي دوافعك وبواعثك لذلك؟

■ لديّ قناعة بأن اللقاء مع أي شخصية يتيح تعرفاً أفضل عليها، وحصل أني قرأت لبعض الشخصيات وعنهم، لكن اللقاء بهم أضاف لمعرفتي بهم بعداً جديداً، من هنا أحرص على لقاء أي شخصية تثير اهتمامي. لذلك كنت راغباً في لقاء سماحة الشيخ ابن باز.

من ناحية أخرى فإني أعتقد أن صورة المواطنين الشيعة ليست واضحة لدى المؤسسة الدينية في بلادنا، وأن الكتابات والتقارير المغرضة أوجدت تشويهاً كبيراً لتلك الصورة، وساعد على ذلك انغلاق الشيعة وانطواؤهم على أنفسهم بسبب الظروف التي أحاطت بهم، فصممت على المبادرة لكسر هذا الحاجز، والانفتاح مباشرة على القيادات الدينية السلفية المؤثرة. من أجل أن تسهم اللقاءات في توضيح الصورة، وتدشن مرحلة الحوار والتفاهم.

□ هل يمكن لك أن تحدثنا عن ماهية الموضوعات التي تطرقتم إليها مع الشيخ؟

■ التقيت بسماحته في مجلسه بدار الإفتاء وبحضور جمع من المشايخ والأفراد لعلهم مراجعون أو من العاملين في الدار، ومعي ثلاثة من الاخوة[1]، فرحب بنا أجمل ترحيب، وبعد الحديث المتعارف عن أخبار وأوضاع البلاد، أشار سماحته إلى ما يبلغه عن وجود بدع ومخالفات للعقيدة في مناطقنا، فأصغينا لقوله، ثم استأذنته بالحديث لأشكره على استقباله لنا، وعقبت على ما ذكر سماحته بأن قسماً مما يبلغكم ليس صحيحاً ولا دقيقاً، وهناك قسم يعود إلى اختلاف الرأي والاجتهاد بين المذاهب، وذكرت له أن علماء الشيعة في المنطقة ألفوا كتباً أبانوا فيها حقيقة آرائهم ومعتقداتهم، فسأل عن تلك الكتب فذكرت له منها كتابين: أحدهما كتاب للشيخ علي أبي الحسن الخنيزي الذي كان مرجعاً وقاضياً في القطيف (١٢٩١-١٣٦٣هـ) بعنوان: (الدعوة

---

* الدكتور توفيق السيف والمحامي صادق الجبران والشيخ حسين رمضان القريش.

الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية) ويقع في مجلدين كبيرين يبلغان ٩٥٠ صفحة.

والثاني: كتاب (الدعوة في كلمة التوحيد) للشيخ محمد صالح المبارك (١٣١٨-١٣٩٤هـ) والذي كان هو الآخر قاضياً للشيعة في القطيف. فأبدى رغبته في الاطلاع عليهما.

وهكذا استمر الحديث وانتهى بشكل ودّي طيب، ودعانا للبقاء للغداء عنده فاعتذرنا لارتباطنا بموعد الطائرة، وسألنا هل لديكم سيارة تنقلكم للمطار؟ فلما أجبناه أننا سنأخذ سيارة تقلنا، أمر بتوفير سيارة من دار الإفتاء لإيصالنا للمطار.

وزرته بعدها بشهور مرة أخرى بصحبة أخوة من الإحساء والقطيف ومنهم المحامي الأديب السيد حسن باقر العوامي، فاقتصر الحديث على الترحيب، ولم يطرح سماحته شيئاً آخر، وألح كثيراً على دعوتنا للغداء لكن كان لدينا ارتباط آخر، وأتذكر أن السيد حسن العوامي كان متحمساً لإلغاء ذلك الارتباط والاستجابة لدعوة الشيخ، ولازال يعاتبني إلى الآن لماذا فوّت علينا ضيافة سماحة الشيخ ابن باز.

وعند وفاته رحمه الله بادرت مع بعض طلبة العلم من القطيف والأحساء للذهاب إلى منزله في الرياض، وقدمنا العزاء لأولاده وأسرته الكريمة.

□ ما ذكرته شيء يسرّ كل فرد منتم لهذا الوطن، ولكن السؤال الذي يطرح في هذا الصدد، وأين أنتم من لقاء سماحة الوالد مفتي عام المملكة الآن الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وهو كما نعرف صاحب الصدر الواسع والرؤية الوطنية المتسامحة.

■ قبل ثلاث سنوات طرح عليّ أحد المسؤولين الكرام هذا السؤال، فأبديت له رغبتي في لقاء سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، فوعدني بسعيه لترتيب اللقاء، وبادر إلى تكليف مدير مكتبه بمتابعة الموضوع، وتابعت مع هذا المدير، لكن اللقاء لم يحصل بعد، ولا أدري هل التأخير لضعف المتابعة أو لظروف سماحة المفتي.

العودة للقطيف

☐ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ويتيسر اللقاء مع الوالد، اسمح لي بالعودة إليك يا شيخ في الكويت.. كم من الزمن مكثت في الكويت؟*

■ بقيت في مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكويت ثلاث سنوات وكنت خلالها أسافر لبرامج المواسم الدينية كشهر رمضان وأيام عاشوراء للبلاد أو إلى مسقط في سلطنة عمان، وبعد ذلك عدت للاستقرار في بلدي القطيف. وكانت عودتي في سنة ١٣٩٧هـ.

☐ جيد ، عدت بعد هذا الترحال إلى القطيف. ولا شك ياشيخ بأن قد أتيت بفكر غير الذي ذهبت به، وقصدت أنه أكثر شمولية. والسؤال: ما هي الأنشطة التي باشرت ممارستها لدى عودتك؟*

■ عدت إلى القطيف باندفاع كبير، واهتمام جاد للقيام بدور تربوي توجيهي في أوساط الشباب، ونشاط ثقافي عام في الوسط الاجتماعي.

كانت الحالة الدينية في القطيف تقليدية راكدة، والخطاب الديني كان وعظياً يقتصر على تبيين الأحكام الشرعية وسرد السير التاريخية، عدا بعض النماذج القليلة من العلماء والخطباء لكنهم كانوا يراعون الأجواء العامة التقليدية أيضاً.

وفي بعض المواسم الدينية كان يأتي للمنطقة بعض العلماء من العراق كالسيد حسن القبانجي، والسيد حسين الشامي، والسيد مرتضى القزويني، والشيخ محمد علي التسخيري، فيحصل عليهم إقبال جماهيري كبير، لما يرونه في خطاباتهم من تطوير وتجديد.

---

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

وكانت العوائق الرسمية تمنع من دخول الكتب الشيعية التثقيفية ومن قيام الأنشطة الثقافية العامة. وهناك شعور عام بالغبن.

فجيل الشباب كان يعاني من الضياع، أكثريتهم يعيشون اللامبالاة، والجهل الثقافي، وقسم تأثر بالتيارات غير الإسلامية، والفئة المتدينة كانت تقليدية تشعر بالعجز واليأس تجاه المشاكل والتحديات.

هنا وفقني الله تعالى وبعض الإخوة من طلبة العلوم الدينية لوضع برامج للاهتمام بجيل الشباب، ولنشر الثقافة والوعي الديني في المجتمع، وكان من أبرز الأنشطة التي توجهنا إليها ما يلي:

١. تشجيع عدد من الشباب من كل مدينة للتوجه لدراسة العلوم الدينية. وبحمد الله فإن أغلب المناطق الآن تحصد ثمار تلك الحقبة بوجود علماء وخطباء فيها من أولئك الذين وفقنا الله لتشجيعهم.

٢. نشر الكتب والتسجيلات الدينية بقدر المستطاع.

٣. تشكيل حلقات لدراسة القرآن الكريم والتدبر في آياته، كنا نطلق عليها هيئات في مختلف المناطق، بالاجتماع مرة في الأسبوع في بيت أحد الشباب من كل منطقة، وهو يدعو أصدقاءه وزملاءه، ونشرح لهم في كل جلسة بعض الآيات وندعوهم للتدبر فيها.

٤. إقامة الندوات والمحاضرات والاحتفالات في المناسبات الدينية وتشجيع الشباب على إدارتها وكتابة وإلقاء المواضيع فيها. إضافة إلى إلقاء الخطابات الدينية والتثقيفية التوعوية في المناسبات الدينية كشهر رمضان وأيام عاشوراء بلغة تتجاوز الطرح التقليدي.

بالطبع كنت واحداً من طلبة العلم الذين يتحركون على هذا المستوى، وكان هناك آخرون لهم دور مشكور ونشاط مؤثر، وأذكر منهم هنا المشايخ من آل السيف الشيخ توفيق وأخويه الشيخ فوزي والشيخ محمود آل سيف، فقد شجعهم والدهم الحاج محمد تقي السيف رحمه الله على طلب العلم الديني، وكان من رجال الأعمال المهتمين بالشأن الديني والاجتماعي، وله صلة بالكثير من المراجع والعلماء والخطباء

الشيعة في مختلف البلدان. وأخذهم إلى الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لكنهم لم يرتاحوا للأجواء التقليدية السائدة هناك، فلما اطلعوا على برامج مدرسة الرسول الأعظم في الكويت رأوا فيها البديل الأفضل، فكانوا معي من خير الزملاء، وكانوا يتواصلون مع المنطقة، وقاموا بدور كبير في تربية الشباب وتوجيه الناشئة ونشر الثقافة والوعي.

وأذكر كذلك الشيخ يوسف سلمان المهدي، والشيخ حسن مكي الخويلدي من مدينة صفوى، وكذلك الشيخ موسى أبو خمسين، وأخاه الشيخ حسين أبو خمسين من الأحساء، وغيرهم ممن كان لهم دور في بعث الحالة الدينية وتنشيطها في المنطقة. جزاهم الله جميعاً خيرا.

□ **لأقف معك هنا. قلت في بداية إجابتك أن بعض الشباب لديكم تأثر بتيارات أخرى غير إسلامية في المنطقة. هلا حددتها وأسميتها لنا ؟***

■ هي امتداد للتيارات الفكرية والسياسية التي نشأت أو وفدت إلى مناطق مختلفة من العالم العربي، وتسللت إلى مجتمعنا السعودي، كالشيوعية والبعثية والناصرية والقومية.

تماس الصحوتين.. السنية والشيعية

□ **سؤالي التالي يا شيخ، هذه المناشط الدعوية لديكم أو الروح الصحوية التي أسلفت القول عنها، هل تأثرت بأجواء الصحوة الإسلامية والانبعاث الديني السني.. بمعنى آخر، هل كانت من وحيها ومتوازية معها أم كان العكس وخرجت بسببها وفي اتجاه مضاد لها؟***

■ لم يكن لدينا تواصل مع أجواء الصحوة داخل المملكة بسبب الحواجز

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

الطائفية القائمة، لكن قراءاتنا في أدبيات الحركات الإسلامية السنية ومتابعاتنا لأخبارها شكل جزءاً من أرضية ثقافتنا ونشاطنا الديني، كالجماعة الإسلامية في باكستان، ودار الندوة في الهند، وحركة الإخوان المسلمين بامتداداتها المختلفة، وحزب التحرير.

وبالتالي لم تكن ثقافتنا في اتجاه مضاد بل في مسار مواز، وإن كان الواقع الذي نعيشه يفرض علينا نوعاً من المشاعر المذهبية والاهتمامات الطائفية كرد فعل للضغوط والمضايقات.

لكن التركيز كان على صنع الشخصية الإسلامية، وتحصين الناشئة والشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية، وتشجيع المجتمع على النهوض والتطوير في واقعه الديني والثقافي والاجتماعي.

□ ما تطرحونه وقتذاك، وبصراحة شديدة..هل كان طرحا إسلاميا عاما يا شيخ حسن، ودون الدخول في السجال الطائفي. أم من نظرة طائفية ضيقة؟*

■ في الأصل كنا مهتمين بتحفيز الشباب نحو الثقافة والوعي، وتوجيههم نحو التدين لأن أكثر الشباب آنذاك ما كانوا يهتمون بحضور صلاة الجماعة في المساجد، ولا تعلم المسائل الشرعية، وكانت تنتشر في أجواء بعضهم الانحرافات الفكرية والسلوكية، فكان تركيزنا بهذا الاتجاه لاستقطاب الشباب نحو الحالة الدينية. ولم يكن لدينا تركيز على مسائل الخلاف المذهبي، إلا بمقدار التفاعل مع بعض الأحداث والإثارات.

والأدبيات التي كنا نتداولها وننشرها في صفوف الشباب كانت ضمن مسار الصحوة الإسلامية العامة، ومن أبرزها كتب المرجع السيد محمد الشيرازي، والتي تركز على إعادة الثقة بالإسلام كمنهج ونظام، وتستنهض المسلمين لاستعادة مجدهم وحضارتهم، وتردّ على التيارات المناوئة والمخالفة للإسلام، وأذكر منها كتاب

---

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

(عبادات الإسلام) و(في ظل الإسلام) و(كيف انتشر الإسلام) و(الفضيلة الإسلامية) و(أنفقوا لكي تتقدموا) وأمثالها.

وكذلك كتابات الأستاذ السيد محمد تقي المدرسي، ومما كنا ننشره منها: (بحوث في القرآن الحكيم) و(الفكر الإسلامي مواجهة حضارية) و(الإسلام ثورة اقتصادية).

وكتب أخيه الأستاذ السيد هادي المدرسي والتي كانت تجتذب الشباب بلغتها العصرية وأسلوبها الجميل وأذكر منها (حوار ساخن مع الطرف الآخر) و(لا للرأسمالية لا للماركسية نعم للإسلام) و(كيف كنا ولماذا) و(ألف باء الإسلام) هذه الكتب وأمثالها كما هو واضح من عناوينها كانت بالاتجاه الإسلامي العام. إضافة إلى الكتابات التي تطرح سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام من الزاوية الحضارية والقيمية.

□ هذه الكتب التي ذكرت. هل كانت تدخل مجتمعنا بشكل نظامي وتوزع؟*

■ هذه الكتب كان أغلبها ممنوعا من الدخول باعتبارها كتباً شيعية ولمؤلفين شيعة، وكنا نشتريها بأغلى الأسعار من السماسرة والباعة في السوق السوداء الذين يجلبونها بمختلف الطرق، فالكتاب الذي نشتريه من مكتبات البحرين بعشرة ريالات، حينما يصل إلى البلاد نشتريه بثلاثين ريالاً أو أكثر. وكنا نسعى إلى نشر كتب إسلامية سنية أيضاً.. مثل كتب الندوي وكتب سيد قطب وكتب محمد الغزالي وكتب يوسف القرضاوي..

ولكن كيف هو موقف الطائفة؟

□ جميل منك هذه الروح الانفتاحية يا شيخ حسن وقد ظننت أنها تلبستك بعد أن اخترمتك السنون وعلمتك

* لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

التجارب، فإذا بي أكتشف الآن بأنها موجودة لديك منذ عقدين أو أكثر. ولكن الاستفهام الذي يتبادر إلى ذهن صحافي مثلي وهو يرصد الحالة الشيعية ويتساءل عن مدى قبول إخوتك في الطائفة لمثل هذه الأطروحات التوفيقية أو التقاربية... بشكل صريح يا شيخ حسن، أتصور أن المراجع التقليدية لديكم ضد هذا النفس الوسطي تماما، ولا بدّ لهم أن اعترضوا عليك وقاموا بشيء من الاحتكاك أو المعارضة الداخلية في الوسط الشيعي السعودي لك؟

■ بشكل عام مراجع الشيعة وعلماؤهم يدعون إلى الوحدة والتقارب، وحالة الحدّية والتطرف تجاه الإخوة السنة محدودة، نعم هناك قلق عند بعض الأوساط الشيعية المحافظة، من أن يكون التقارب مع أهل السنة على حساب المبادئ والقناعات المذهبية، لأن أهل السنة هم في موقع القوة والسلطة، فقد يفرضون أو يطلبون ممن يتقرب إليهم من الشيعة التخلي عن بعض قناعاته المذهبية.

وهنا نواجه مشكلة أعتقد أنها موجودة عند أهل السنة أيضاً، هي تضخيم وتعظيم بعض المسائل الجزئية واعتبارها من ثوابت المذهب وأساسياته وأركانه، وبالتالي فإن مناقشتها أو إبداء رأي آخر تجاهها هو مؤشر للتنازل العقدي والتخلي عن الثوابت، وفي بعض الأحيان قد يقاوم الاتجاه التقليدي الشيعي أو السني التغيير والتطوير حتى في بعض العادات والممارسات الشكلية بدعوى أنها قد تكون مدخلاً لتنازلات أخرى، ضمن عنوان سد الذرائع.

وللإنصاف فإني لم أواجه معارضة في الوسط الشيعي السعودي لانفتاحي على أهل السنة، بالعكس هناك ارتياح عام لذلك، بيد أن هناك تشكيكاً في قبول الطرف الآخر للانفتاح، وكثيراً ما يأتيني بعض الشيعة بكتابات وفتاوى ضد الشيعة أو يتحدثون عن ممارسات عدائية جرت لهم من بعض السنة ليقولوا لي: أين هو تأثير انفتاحك على هؤلاء؟ وما فائدة دعوتك للتقارب والوحدة معهم وهم مصرّون على تكفيرنا

والتشكيك في ديننا وممارسة التمييز الطائفي ضدنا؟ وأذكر قبل مدة تحدث أحد الدعاة السلفيين البارزين الذين يعرف الناس عن لقاء حصل لي معه، إلى إحدى الفضائيات المشهورة. وكان حديثه قاسياً على الشيعة، فانهالت عليّ المكالمات والعتابات أهذا من تقول عنه إنه منفتح وواع؟ أمع مثل هذا يجدي التقارب والانفتاح؟

□ لا أبرر لشيخنا الجليل الذي ذكرت، ولكني أعلم يقينا وأتلمس برؤاه الانفتاحية ومعضلته مع مريديه.. وأستأذنك في العودة لأصل السؤال ولن تهرب مني يا شيخ حسن، وسؤالي، طالما ذكرت لنا بأنك لم تجابه في الوسط الشيعي المحلي بمعارضة، فهلا فسرت لنا تلك الفتوى التي قرأناها في الإنترنت والتي وضعها خصومك، وهي من مرجعية رفيعة لديكم وهو السيد الخوئي والذي قال نصا (وأما حسن الصفار فسبق أن أجبنا على سؤال وردنا.... وتكرر الجواب لبعض القطيفيين بأن أمره لمريب ولا يوثق به ولا بتصرفاته وما ذكرتموه يؤكد انعدام الثقة منه).. هلا فسرت لنا حقيقة هذه الفتوى القاسية بحقك؟

■ هذه الفتوى ترتبط بخلاف وصراع بين تيارين ومرجعيتين، لأن السيد الخوئي رحمه الله كان له رأي مخالف لتصدي السيد محمد الشيرازي للمرجعية، ولأني كنت منتمياً لمرجعية السيد الشيرازي، وداعماً لها جاءت هذه الفتوى كما هو واضح وصريح من سياق السؤال والجواب.

وأودّ أن أؤكد هنا بأني احترم شخصية السيد الخوئي ومقامه، فهو كان المرجع الأعلى وزعيم الحوزة العلمية، وهو في مقام الأب، فحتى لو واجه الولد موقفاً سلبياً من أبيه، فإن ذلك لا يصح أن يسقط احترامه. وهي حدث قديم تجاوزه الزمن، لكن بعض مواقع الإنترنت تروج له في سياق التشهير والتهريج.

□ صحيح..تاريخها أمامي، وهي في ٢٥ شوال ١٣٩٩هـ.. عموما، سأسايرك وأترك الماضي.. وأتجه للحاضر..يبدو لي يا شيخ حسن بأنك واجهت وتواجه معارضة شديدة من التقليديين في الوسط الشيعي السعودي.. ما مدى صحة هذا الظن ؟

■ الصراع بين الخط التقليدي المحافظ، والخط الذي يتطلع إلى التجديد والتطوير، قائم في كل المجتمعات الشيعية والسنية، وقد يكون ذلك مظهراً لصراع الأجيال، وحرص التقليديين على الاحتفاظ بمواقعهم، أو لاختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية لكلا الطرفين.

وإذا كنت واجهت معارضة شديدة في الماضي، فأعتقد أنها الآن تراجعت كثيراً، لارتفاع مستوى الوعي عند الناس، ولأن الحالة التي أمثلها أصبحت تياراً له ثقله وموقعيته، يضم عدداً كبيراً من العلماء والخطباء والمثقفين والناشطين اجتماعياً.

أشير هنا إلى أن المرجع الأعلى للشيعة الآن وهو السيد السيستاني يمارس نهجاً استيعابياً، لمختلف التوجهات في الطائفة، ويشجعها على التقارب والتعاون، والقبول بالتعددية والاختلاف في الرأي، مما يساعد على تخفيف الصراعات الداخلية، كما هو ملاحظ من دوره في الساحة العراقية.

□ سأكون صريحا معك هنا يا شيخ حسن، وسأسوق ما يرميك به معارضوك الحاليون في الوسط الشيعي من أن نشاطك وأفكارك المطروحة هو سعي شخصي منك لأخذ الخُمس وما إلى ذلك. بل أكثر من ذلك، رؤاك السياسية هي نوع من التزلف للحكومة السعودية كيما تقتعد لك مقعدا رسميا. وقائمة تهم سمعتها وتتردد في دهاليز الوسط الشرعي والملالي. كيف تعلق على ذلك؟

■ كل من يعمل في الشأن العام عليه أن يتوقع وجود معارضين له، يخالفونه في

الرأي، أو يثيرهم بروز دوره وتصديه، وعلى الإنسان أن لا يطمع في رضا كل الناس عن شخصه ودوره، أو موافقتهم جميعاً على كل آرائه وتوجهاته، فكما لديه رأي، للآخرين آراؤهم ومن حقهم التعبير عنها، وليس هناك صاحب رأي وموقف محقاً كان أو مبطلاً لم تواجهه معارضة في مجتمعه. إن ما نتمناه في مجتمعاتنا ترشيد أسلوب الخلاف، بأن يتجه إلى مناقشة الرأي والموقف، بدل التجريح والتسقيط الشخصي، وأن يطرح كل طرف مشروعه ورؤيته البديلة، بدل أن ينشغل بنقد الآخرين فقط والعمل ضدهم.

ومن وحي تجربتي الشخصية فإني استفدت من وجود المعارضين لاكتشاف الثغرات ومواضع الخلل في طروحاتي ومشاريعي، فالإنسان ليس معصوماً، وقد يفيده مخالفه في تشخيص نقطة ضعفه، فعليه عدم المكابرة، والمبادرة إلى الإصلاح والتصحيح.

كما أن وجود المعارضين يستثير همة الإنسان وتحديه على الصعيد الشخصي، وعلى مستوى التيار الذي معه، فيذكي حالة التنافس في سياقها الإيجابي.

أسأل الله لي ولمن عارضني الهداية والصلاح والعفو والمغفرة.

مكاشفات.. الحلقة الخامسة

- حديث سمو ولي العهد شكّل لنا إيذاناً بمرحلة جديدة وزادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم.
- الوحدة الوطنية على أساس الإسلام هي أمانة في أعناقنا جميعاً وعلينا مسؤولية تأكيدها وإزالة أي غبار يلحق بوجهها الناصع
- أنصح إخواني بأن لا ينطلقوا في مواقفهم من الحماس وحده بل يُعملوا عقولهم ويأخذوا خصائص بلدانهم بعين الاعتبار
- نقدّر للدكتور غازي القصيبي تعاطفه ومساعيه الوطنية وقد نشأ مع الشيعة في منطقة الأحساء والبحرين
- لست مع بعض الممارسات التي تحدث في عاشوراء التي فيها إيذاء للنفس وتشويه للصورة أمام الآخرين
- بندر بن سلطان وناصر المنقور وأحمد الكحيمي كان لهم دور في إنجاح الحوار بيننا وبين الحكومة السعودية
- ليس صحيحا بأن المرجع الديني هو الذي يقرر للشيعة في بلدانهم مواقفهم السياسية الوطنية
- قد يقوم المرجع الديني بدور سياسي في موطن مرجعيته إذا اقتضت المصلحة الدينية ذلك وكانت الظروف مناسبة.
- دور المرجعية في المجتمع الشيعي يشبه دور المفتي في المجتمع السني
- انفتاح الشيعة على الثقافة السنية أكثر من انفتاح السنة على الثقافة الشيعية لأنهم لا يعيشون التعبئة الطائفية

بين يدي مكاشفات*

توالت عليّ احتجاجات عديدة، وعتب كثير من الأخوة ممن تفاعلوا مع مسألة التقريب والتفاهم بين طائفتي الأمة، بسبب نشر (الرسالة) لمداخلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي الأسبوع الماضي، وكم فرحت بأصواتهم التي جدّدت الأمل عندي بأن ثمة من يشترك معي في رؤيتي التي أروم بعد أن كانت جلّ الاتصالات السابقة والمعاتبات قصرا على تيار معارض تماما.

تمثّل رأي هؤلاء الأخوة في أننا ونحن إزاء معضلة تاريخية نحاول تخفيف احتقانها وجمع الأمة على كلمة سواء وعلى أرضية من القواسم المشتركة العريضة، لا يصح أبدا أن نسمح للأصوات التي تهدم بأن تواصل نهج الشرذمة، وهي التي قد تكون غير مقتنعة من الأصل بمشروع التفاهم والقبول وتحديد أطر للتعاون والتعايش. فأمثال هؤلاء سيحاولون تقويض كل أساسات الفكرة عبر التوسل بالصراعات الجانبية والعقدية واستدعاء ركام السجالات التاريخية على مدى ألف وأربعمائة عام مضت، والتي لن نضيف لها سوى رصيد سيء جديد. وإذ تقبّلت منهم ابتداء وجهة النظر

* المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، ٨/ ٩/ ١٤٢٥هـ ـ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

هذه، إلا أنني خالفتهم تماما في محاولة الإقصاء التي عبّروا لأسباب عدة في مقدمتها أننا دعاة حوار ولا يصح ابتداء حجب أي صوت مخالف، وليس من نهج مكاشفات أبدا منذ انطلاقتها إقصاء أي رد مهما كان مخالفا لمنهجنا. أيضا ليس من الموضوعية بمكان السماح للشيخ حسن أن يبدي كل رؤيته على مدى أربعة أسابيع دون أن نعطي الطرف الآخر وصاحب الحضور الذي لا ينكر حقه في إبداء رأيه وتحليل وحتى تفنيد ما طرحه الشيخ، طالما كانت المداخلة متلفعة بأدب الحوار العلمي دون التجاوز إلى الشخصي أو الطائفي.

أما ثالث هذه الأسباب فهي التي استخلصناها من تجربة مكاشفات على مدى ست سنوات، حيث رأينا أن مثل هذه السجالات عادة ما تبدأ متشنجة ويعتورها كثير من الاحتقان وسوء الظن، لكن العقلاء والوسطيين ما يلبثوا أن يتبيّنوا خلالها ايجابيات غُمّيَ عليها أثناء السجال، ويتلمّسون بعض الحق في رؤى الضيف بعد انجلاء غبار المعركة، ما يترتب عليه تفاهم عاقل ورصين بعيد عن الصحافة وإثارتها. ونزعم بأننا أفلحنا كثيرا في ما سبق من السنوات في دفع من يوصفون بالصقور في تياراتهم الفكرية أو طوائفهم إلى الجلوس مع بعضهم البعض، وتبديد كثير من الهوة النفسية شديدة التعقيد بينهم وجملة من المسائل التي اختلفوا عليها، ما يجعلني في هذا الصدد متفائلا حيال هذه المسألة أكثر من ذي قبل لأن الطروحات التي أوردها الشيخ الصفار خلال المكاشفات الماضية تميزت بنَفس تصالحي بعيد النظر يروم التقارب والتفاهم بين أبناء الأمة، فضلا عن عقلانيتها وُبعدها عن المثالية وتجاهل معطيات الواقع بكل مرارته والتاريخ بكل ركامه. وقد ذكّر الرجل وهو يسوّق لمشروعه بالمستجدات السياسية وضغوط الغربي التي قلبت الوضع السابق رأسا على عقب، ما يجعلني أجزم بأن كل ذلك سيحتم على عقلاء الطائفتين النظر مليا في هذه الطروحات التي أخشى إن لم يقبلها ويهتبلها عقلاء الوطن وقادته الآن أن تفرضها الوقائع السياسية والحراك المجتمعي، أو تحددها الأصوات المتشنجة من كلا الطرفين.

وبالمناسبة فإن الطروحات التقاربية التي قدمها الشيخ حسن قد أثارت جدلا عريضا في الوسط الشيعي، ومن تسنى له أن يقرأ ردود الأفعال لديهم عبر المواقع الإنترنتية فسيرى أن الأخوة الشيعة منقسمون بشدة حيالها..

بقي أن أشير وأنا أتلقى المداخلات التي سنباشر نشرها من الأسبوع القادم إلى استغراق المتداخلين في الجزئيات الفقهية والخلافات العقدية، وهي على أهميتها، ستكون عائقا أمام نقاش حقيقي لمشروع الشيخ حسن الصفار الذي طرحه عبر هذه المكاشفات ما سيبقينا داخل هذه الدائرة نلوب في ذات التيه الطائفي. وعليه أتمنى على الأخوة الدعاة ممن رفعوا لافتة الوسطية أو تدثروا بدثارها أو حتى أولئك الذين يتفرجون على هذا الحراك الطائفي والوطني المهم وهم صامتون، خشية مريديهم وحساباتهم الشخصية، أن يدلوا بدلوهم ويعلنوا مواقفهم الحقيقية وقناعاتهم بشفافية بمثل ما فعل الشيخ عوض القرني، وألا يتركوا الساحة فقط للأصوات المعارضة. والله تعالى أعلم وإلى نهاية هذه المكاشفات الطويلة مع الشيخ الصفار.

عبد العزيز قاسم

□ سأنتقل يا شيخ حسن إلى محور آخر وأتركك مع طائفتك كي يختار الله الطريق الأصلح لنا جميعا. ذكرت للتو بأن مرجعيتكم هو السيد السيستاني، وبين يدي قصاصة للدكتور (فؤاد الإبراهيم) مؤلف كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي) يحدّث بأن المرجعيات لدى طائفة الشيعة في القطيف، بالإضافة إلى السيستاني في النجف، هم خامنئي ومحمد صادق الروحاني والشيرازي في إيران، ولبعضكم محمد حسين فضل الله في لبنان. هلا فككت لنا هذه الفسيفساء المرجعية؟

■ لأن اختيار المرجع الديني عند الشيعة يتم على المستوى الأهلي، وليست هناك جهة تفرض أو تقرر مرجعية معينة، وإنما يختار كل مكلف المرجع الذي يطمئن إلى توفر الشروط الشرعية فيه، وأبرزها الاجتهاد والعدالة، وهناك شرط الأعلمية على المشهور بين الفقهاء، لذلك يعتمد الناس على رأي العلماء المحليين الموجودين في القطيف والأحساء والمدينة المنورة، وكل واحد من

هؤلاء العلماء حسب معرفته وتشخيصه يختار المرجع الذي يطمئن إليه ويرشد أتباعه إليه.

من هنا يحصل التعدد في المرجعيات، وغالباً ما يكون هناك مرجع تختاره الأكثرية، وهو حالياً السيد السيستاني. وليست هناك فوارق هامة بينهم إلا في بعض المسائل الفقهية القليلة، وقد تحصل بعض الفوارق بين المرجعيات في المواقف السياسية أو الثقافية، أو أساليب إدارة المرجعية، لكن انعكاس هذه الفوارق على الواقع المحلي محدود، لأن العلماء المحليين هم المؤثرون بالدرجة الأولى في واقع المجتمع الشيعي.

□ اسمح بسؤال صريح هنا يا شيخ حسن، وقد استفزك سؤال سابق عن الولاءات، لكنني لا بدّ أن أسألك من وحي تخصصي في الرياضيات والمنطق والذي يقول: ألا ينبني على هذه التبعية الفكرية الشديدة الالتزام والولاء تبعيات أخرى كالتبعية السياسية مثلا؟

■ إن كنت تقصد بالتبعية السياسية، بأن المرجع الديني هو الذي يقرر للشيعة في بلدانهم مواقفهم السياسية الوطنية وشكل علاقتهم مع حكومتهم ومجتمعهم فهذا غير صحيح إطلاقاً لأمرين:

الأول: عزوف أغلب مراجع الشيعة عن التدخل في الشؤون السياسية وتصديهم لدور الإفتاء في المسائل الشرعية، بحيث أصبح الارتباط بين الجمهور الشيعي والمرجع ضمن هذه الدائرة.

الثاني: قد يتصدى المرجع الديني للشأن السياسي في وطنه، لأنه صاحب رأي في الموضوع أو لاستدعاء الظروف ذلك، لكنه لا يتدخل أبداً في الشؤون السياسية للبلدان الأخرى، وإنما يترك ذلك للقوى الشيعية الموجودة في تلك البلدان، لأنهم أعرف بظروف بلادهم. ولم يحصل أن تدخل المراجع في شؤون بلدان المنطقة،

وكمثال قريب حاضر ما حصل في البحرين قبل الانفتاح الذي قاده ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى، وبعده، فإن المراجع لم يتدخلوا مثلاً في شأن الانتخابات البرلمانية، وانقسمت ساحة الشيعة في البحرين حيث قاطع البعض وشارك البعض، لكن المشاركة والمقاطعة تمت بقرارات من القوى المحلية ودون تدخل من المراجع.

إن المجتمعات الإسلامية سنة وشيعة تأخذ العلم الشرعي، والأحكام الدينية من العلماء الثقاة أينما كانوا، فالحدود السياسية لا تمنع الاستفادة من علمهم ورأيهم، فشيخ الجامع الأزهر يأخذ برأيه مسلمون خارج مصر، وكبار العلماء في المملكة كالمفتي الراحل ابن باز، يأخذ برأيه مسلمون في بلدان مختلفة، والشيخ يوسف القرضاوي أصبحت له مكانة مرجعية في بلدان إسلامية كثيرة، ولا أحد يعتبر أن أخذ العلم الشرعي من فقيه معتمد خارج البلاد يشكل تبعية سياسية.

إنني أرى أفضلية أن تكون المرجعية الدينية من نفس المجتمع وضمن الوطن، لكن ذلك مشروط بتحقق مواصفات المرجعية والإفتاء، وكانت مرجعية الشيعة في القطيف والأحساء محلية إلى ما قبل خمسين سنة تقريباً. وأرجو أن تتاح الفرصة للحوزات العلمية الشيعية داخل البلاد لتساعد على الوصول إلى هذا المستوى إن شاء الله.

دور المرجعية الشيعية

□ أما وقد نفيت أي ولاءات سياسية تتبع المرجعية الفكرية، بودي هنا سؤالك يا شيخ حسن عن الدور الحقيقي للمرجع الشيعي. ليتك توضح لنا، ونحن نسمع بهذه المراجع ولا نعرف أدوارها الحقيقية وعملها وما تقوم به والمساحات التي تتحرك فيها ؟

■ يقوم المرجع الديني عادة بالأدوار التالية:

١. استنباط الأحكام الشرعية والإجابة على الاستفتاءات.

٢. رعاية الحوزة العلمية بتصديه لتدريس الأبحاث العالية في الفقه وأصوله، وتوفير

المكافآت للأساتذة والطلاب، ومعالجة المشاكل التي قد تواجه الحوزة من سياسية واجتماعية ومالية.

٣.إعطاء الإجازات والوكالات للعلماء المحليين في مختلف المجتمعات لينقلوا فتاواه وليستلموا الحقوق الشرعية نيابة عنه. وليتصدوا للمهام الدينية التي تحتاج إلى إذن المجتهد كالقضاء.

٤.ممارسة دور الأبوة والرعاية للمجتمع بتشجيع ودعم المؤسسات الدينية، وتوزيع الخمس على الفقراء والمحتاجين.

٥.وقد يقوم المرجع الديني بدور سياسي في موطن مرجعيته إذا اقتضت المصلحة الدينية ذلك وكانت الظروف مناسبة.

□ أستأذنك في أن أطلب توضيحا أكثر..وأن تقرب لنا بأمثلة في واقعنا السني ؟

يمكن التمثيل لدور المرجعية في المجتمع الشيعي بدور المفتي في المجتمع السني، مع بعض الفوارق كما في جهة التعيين حيث يتم تعيين المفتي رسمياً، بينما يختار المرجع أهلياً.

□ بالمناسبة يا شيخ حسن، أسماء شيعية عميقة. مثل أحمد الكاتب وأحمد الكسروي الذي اغتاله بعض الشيعة في الكويت والبرقعي وموسى الموسوي وغيرهم ممن نقدوا أصول وقواعد الشيعة، ونقدوا بعض الانحرافات التي خرجت عن منهج آل البيت عليهم السلام. كيف تنظرون إليهم؟

■ من كان لديه رأي ينكر به ضرورة من ضرورات المذهب المجمع عليها، يُنظر إليه باعتباره خارج المذهب، ولكن ضمن دائرة الإسلام، مادام يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر والثوابت التي اتفق عليها المسلمون.

وهناك فرق بين صنفين من هؤلاء الأشخاص، صنف يحصل له رأي مخالف

للمذهب دون ملابسات أخرى، وهذا تجري مناقشته والحوار معه ليعود إلى دائرة المذهب، وإن لم يقتنع وكان ينشر رأيه ويبشر به، فإن العلماء يتصدون للردّ عليه وتبيين مواقع الخلل في رأيه حتى لا يتأثر بقية أبناء المذهب.

وصنف من هؤلاء الأشخاص يتعدى دائرة إبداء الرأي للقيام بدور عدائي ضد المذهب والطائفة، بالتحالف مع الخصوم، أو الارتباط بجهات مشبوهة، وهنا يتم اتخاذ موقف رادع ضده على المستوى الاجتماعي والثقافي.

وقد تختلط الأوراق، وتنشأ اتهامات وظنون سيئة، وتحصل مواقف انفعالية غير منضبطة نتيجة للحساسية الشديدة الدينية عند الشرقيين بشكل عام بمختلف أديانهم ومذاهبهم، والتي قد تكون في بعض الأحيان على حساب حقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأي.

□ سأتجاوز قضية التصنيف وإسقاط الأسماء التي سقتها لك، وأعود إلى المحور الأصل وأعكس السؤال عملا بمبدأ العدل والإنصاف وأستفهم منك، وقد عشت يا شيخ حسن تلك الأحداث والفترة التي نرصد الآن تاريخها، إن كان وجد في المقابل قيادات إسلامية سنية تأثرت بفكر وأطروحات بعض أئمتكم الشيعة بنفس القدر الذي تأثرتم أنتم بالكتّاب والمفكرين من أهل السنّة ؟

■ من المعروف أن عدداً من العلماء المفكرين السنة قد تأثروا كثيراً بأفكار السيد جمال الدين الأفغاني، وفي طليعتهم الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، وكانت مجلته التي أصدرها في باريس (العروة الوثقى) منبعاً لأفكار النهضة الإسلامية الحديثة.

وأعرف أن كتب العالم المجدد السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا) و(اقتصادنا) و(البنك اللاربوي في الإسلام) كانت مصادر معتمدة في مجالها للكثير من العلماء والمفكرين السنة.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران حصل انفتاح كبير على الثقافة الشيعية من قبل العلماء والمثقفين السنة، واستلهموا من التجربة الإيرانية سياسياً وفكرياً.

ولكن يمكن القول إن انفتاح الشيعة على الثقافة السنية أكثر من انفتاح السنة على الثقافة الشيعية، ولعل من أسباب ذلك أن الشيعة لا يعيشون تعبئة تمنعهم من الانفتاح على الرأي الآخر، ولا كانوا يخشون من التأثر بالرأي الآخر، بينما نجد شيئاً من هذا القبيل في بعض الأوساط السنية.

إن في الثقافة الشيعية ثراءً معرفياً هاماً في مختلف المجالات لا ينبغي لعالم أو مثقف سني أن يحرم نفسه من الاطلاع عليه، والاستفادة منه، وخاصة فيما يرتبط بعطاء أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم العطرة.

إن الإسلام يشجعنا على الانفتاح على الرأي الآخر لنعرفه على حقيقته ولعل فيه شيئاً نستفيده منه، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ وورد في الحديث كما في الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها».

وإذا كنا مطالبين بأن نطلع على ما يمكننا من نتاج الفكر الإنساني بشكل عام، فكيف نتردد في الاطلاع على نتاج بعضنا بعضاً داخل الإطار الإسلامي.

المذهب الجعفري هل هو المذهب الخامس؟

□ عفوا يا شيخ حسن أنت هنا في هذه الجزئية تطرح الفكر الشيعي في مقابل الفكر السني. ولكأنك تمرّر أو توحي من خلال حديثك الآنف بأن المذهب الجعفري يدخل في نطاق المذاهب الإسلامية كمذهب خامس، وأنه مذهب يأخذ منه أهل السنّة وأئمة السلف السابقين. هل ما شعرت به صحيح؟

■ لا شك أن مذهب أهل البيت عليهم السلام عريق في تأريخه وأصالته، وقد

أخذ كبار أئمة أهل السنة وعلمائهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأستحضر هنا كلمة للعالم المصري المعروف الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (الإمام الصادق) قال: «ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمر، كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا، أخذ عنه مالك رضي الله عنه، وأخذ عنه طبقة مالك، كسفيان ابن عيينة وسفيان الثوري، وغيرهم كثير، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن، واعتبره أعلم الناس، لأنه أعلم الناس باختلاف الناس، وقد تلقى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التابعين، منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني وأبان بن تغلب وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم من أئمة التابعين في الفقه والحديث، وذلك فوق الذين رووا عنه من تابعي التابعين ومن جاء بعدهم والأئمة المجتهدين الذين أشرنا إلى بعضهم».

وإذا كان الأئمة الأربعة لهم مذاهب فهل يستكثر على الإمام جعفر وأئمة أهل البيت أن يكون لهم مذهب؟

إن البعض يشكك في صحة ما يرويه الشيعة من مذهب أهل البيت، ثم لا يقدم بالطرق التي يعتبرها صحيحة ما يمثل مذهباً لأهل البيت موازياً للمذاهب الأربعة، فتكون النتيجة أن لا مذهب لأهل البيت، إن كل إمام من أئمة المذاهب جاء مذهبه عن طريق تلامذته القريبين منه، وكذلك مذهب أهل البيت نجده عن طريق تلامذتهم القريبين منهم، إننا إذا شككنا مثلاً في مرويات أبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر بن هذيل عن شيخهم أبي حنيفة فمن أين نجد مذهبه إذاً؟

وإذا لم نقبل مرويات صالح بن الإمام أحمد وأخيه عبدالله بن أحمد، وأحمد بن محمد الأشرم وعبدالملك الميموني وأحمد المروزي وإبراهيم ابن إسحاق الحربي وأمثالهم، وما جمعه بعد ذلك أبو بكر الخلال عن الإمام أحمد بن حنبل فكيف لنا بالوصول إلى مذهبه وآرائه الفقهية؟

وكذلك الحال لن نجد مذهب أهل البيت وفقههم إلا عبر تلامذتهم القريبين منهم.

ولا يعني ذلك القبول بكل ما روي عن أهل البيت، كما لا يمكن القبول بكل ما

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعن بقية الصحابة، وأئمة المذاهب، بل لابد من التحقيق والتمحيص مع أخذ تلك الحقيقة بعين الاعتبار.

وبعد فإن المذهب الجعفري واقع قائم، وأتباعه ليسوا أقل من أتباع كل مذهب من المذاهب الأربعة، ونتاجهم المعرفي ليس أقل من غيرهم، ولا تصح المزايدة على الشرعية، فكل مذهب يرى أتباعه توفرها فيه، فلا بد من أن نعترف ببعضنا ونتبادل الاحترام ونتعاون على البر والتقوى كما أمرنا الله تعالى.

□ سأقف وقفات عدة أمام حديثك هذا يا شيخ حسن، أولاها أن أئمة أهل البيت لهم منزلة واحترام وما نقل عنهم بسند صحيح معتبر وفق أدوات الترجيح وليس وفق الاستحقاق الوراثي كما هي عقيدتكم أنتم الشيعة ، وليس هناك كبير إشكال في فقههم وإنما في المنسوب إليهم من الأغاليط والخرافات التي ينزه أهل السنة علماء أهل البيت عن الوقوع فيها، وقد تساءلت عن رأي أهل البيت عليهم السلام في القضايا الفقهية ؟ أتصور أن المشكلة ليست في الفقه بل في القضايا الاعتقادية المنسوبة إليهم بمغالطات من وجهة نظر السنة.. أي التباين الاعتقادي والتناقض الأصولي..

■ أعيذك بالله يا أستاذ عبدالعزيز من الطرح الاستعلائي، ومن أسلوب المصادرة للرأي، فالشيعة لا يقولون بالاستحقاق الوراثي، وإنما يقولون بالنص في الإمامة، وإذا كان النص قد ثبت عندهم في سلسلة العترة الطاهرة فهذا ليس معيباً ولا قادحاً، فقد أخبر القرآن الكريم عن استمرار النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

وأما الأغاليط والخرافات فالشيعة أيضاً ينزهون النبي (صلى الله عليه وآله

وسلم) وأهل البيت عنها، لكن اعتبار كل ما خالف رأيكم أغاليط وخرافات هذا مصادرة وتسرع، ومن حق الآخر أن ينظر إلى ما لديكم كذلك.

والمفروض أن ندخل ساحة الحوار بأدب الأسلوب النبوي الكريم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وإذا كان من الطبيعي أن يعتقد كل طرف أنه على الحق ومع الصواب، فإن من غير الطبيعي أن لا يعترف بوجود الطرف الآخر، وأن لا يقبل الانفتاح على ما لديه والتحاور معه.

ثم إن التنكر لمذهب أهل البيت عليهم السلام لم يقتصر على الجانب العقدي كما ذكرت، وإنما حتى الجانب الفقهي من مذهبهم مغيّب.

□ أسأل الله أن يعيذنا جميعا من آفة الاستعلاء، وأرجوك يا شيخ حسن أن تتفهم طبيعة أسئلة مكاشفات، وسأمضي في محاججتك ولن أتوقف. ففي مقابل حديثك الأول، أنت تتحدث وتقول الشيعة، ونحن الشيعة والشيعة قالوا والشيعة فعلوا.. وأتصور أن المسألة تحتاج من كلينا إلى تحرير، لأنه كما يعرف عامي مثلي من أهل السنة أن الشيعة مصطلح فضفاض يدخل أو ينضوي تحته عشرات الجماعات والفرق، غير الإثني عشرية أو الجعفرية. لا أدري أين ميزانك ولماذا اختزلت الفكر الشيعي في مذهب واحد؟ وأنت تطلق مصطلح الشيعة.. إلى من تصرفه يا شيخ؟

■ وهل السنة كلهم رأي واحد وقالب واحد، ألا يوجد فيهم أشاعرة ومعتزلة، وأصحاب رأي وأصحاب حديث، ومذاهب أربعة ومع المذهب الظاهري وغيره يكونون أكثر، وفيهم سلفية وصوفية، لكنني أعرف أنك حينما تتحدث عن أهل السنة أنك تنتمي إلى المدرسة السلفية المنتمية إلى المذهب الحنبلي، وهي جزء لا يبدو أنه الأكبر من ساحة أهل السنة، وأنت تعلم أني أنتمي إلى مذهب الإمامية الاثني عشرية

وأتحدث عن مذهبهم، وإن عنوان الشيعة حين يطلق ينصرف إليهم، فهم الأكبر مساحة ضمنه فإذا أُريد غيرهم احتاج الأمر إلى قرينة صارفة، فأين الفضفاضية والاختزال أيها الأخ الكريم؟

الصفار والثورة الإيرانية

□ تركناك وأنت في السعودية تقوم بأدوارك الدعوية بين طائفتك، وبثّ الروح الإسلامية بينهم. كم بقيت هنا في القطيف؟ وإلى أين كانت محطتك التالية؟

■ بقيت في القطيف إلى ما بعد عاشوراء مطلع سنة ١٤٠٠هـ، حيث انتقلت إلى طهران في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك في أعقاب الأحداث التي حصلت في القطيف أيام عاشوراء، فقد تفجر غضب أهالي المنطقة ضد الأمريكيين الذين كانت تهديداتهم تتوالى على الجمهورية الإسلامية أثناء احتلال السفارة الأمريكية في طهران، وكانت أيام عاشوراء فرصة للشباب المتعاطفين مع الثورة الإسلامية في إيران والغاضبين من الهيمنة الأمريكية، ليظهروا مشاعرهم من خلال مواكب العزاء التي تعارف عليها الشيعة في مختلف أنحاء العالم، وكان العزاء ممنوعاً خارج الحسينيات، وهي القاعات التي يجري فيها إحياء مناسبة عاشوراء، لكن الأجواء الحماسية والاندفاع الشبابي وما يختزنه الناس من شعور بالغبن، دفعنا للجرأة بالخروج بمواكب العزاء إلى الشوارع، في أكثر من منطقة وقد تخلل بعضها بعض الشعارات السياسية إلى حدّ رفع بعض صور الإمام الخميني، والدولة اعتبرت أن هذا عمل سياسي، وإنه نوع من المظاهرات، وتوافق ذلك مع ما كان يحصل في الحرم من حادثة جهيمان العتيبي، فاتخذت الجهات الأمنية موقفاً صارماً، وصل إلى حد إطلاق النار وسقط عدد من الضحايا، كما تم توقيف عدد كبير من المشاركين أو المتهمين بالمشاركة في هذه المسيرات التي حصلت في أكثر من منطقة.. في القطيف وفي صفوى وفي سيهات وفي مناطق مختلفة.. فكان ذلك سبباً لتشنج الأوضاع ولخروجي من البلد.

□ اسمح لي يا شيخ حسن. لكأنك تبسّط الأمور إلى

حدود لا يتقبلها عقل. لو انتقلت أنت حسن الصفار إلى موقع الرسمي ونظرت إلى هذا الأمر مستصحبا الظرف السياسي الحسّاس، سواء من قبل حركة جهيمان السلفية المتشددة أو من أجواء الشحن الثوري الإيراني ودعوة الخميني إلى تصدير الثورة وخصوصا في الخليج. لا أبرّ هنا للسياسي بقدر ما أضع الأمور في نصابها. ثمة شحن شديد، وكان لا بدّ للرسمي أن يحزم ويكون صارما وإلا ستفلت الأمور، فالقضية كانت ستأخذ منحى سياسيا يهدد وحدة الوطن. وليست كما قلت مجرد رفع الجرأة في ممارسة العبادات؟

■ حديثي عن ما حصل كان استرسالاً ضمن الإجابة على سؤال آخر، وما ذكرته هو صورة توصيفية مختصرة، ولست بصدد التحليل والمناقشة للحدث، فليس في الأمر تبسيط كما لا داعي للتضخيم والتهويل الذي أشرت أنت إليه.

وإذا كانت الأمور يحكم عليها بنتائجها فقد أدى ذلك الحزم والصرامة إلى تصعيد في الحالة، تبلورت على شكل عمل معارض في الخارج، استمر حوالي أربعة عشر عاماً، حتى تم التفاهم مع الحكومة وعاد الإخوة إلى البلاد عام ١٩٩٤م.

المعارضة في المنطقة

□ عفوا يا شيخ حسن، ما هذا.. أتريد أن تفوّت عليّ ضربتي الصحافية ببضعة أسطر وتختزل أكثر من أربع عشرة سنة مهمّة في تاريخ شيعة السعودية السياسي بسطور قلائل. حنانيك يغفر الله لي ولك. سأقف مع سنوات معارضتكم بالتفصيل، وأسأل: هل كانت للحكومة الإيرانية آنذاك يدٌ طولى في دعمكم

و توجيهكم إلى هذه المعارضة للحكومة السعودية أم أنها فقط مجرد مستضيف كما فعل الملك فيصل رحمه الله بالإخوان المسلمين؟

■ من حقك كصحفي أن تحرص على ما يخدم دورك المهني الإعلامي، ولكني حريص على الإخلاص لهذه القضية الوطنية ضمن الظروف الحساسة المعاشة.

أما سؤالك عن الدور الإيراني، فأجواء الثورة آنذاك كانت ملتهبة ضد الأمريكيين، وتفاعلات احتلال السفارة الأمريكية وأزمة الرهائن الأمريكيين، ومحاولات التدخل العسكري الأمريكي، جعلت لغة التعبئة والحماس والثورة هي الحاكمة على الإعلام الإيراني، والذي كان يجد أصداءه في المنطقة ومختلف بلدان العالم الإسلامي، كما هو واضح لمن عايش تلك المرحلة أو قرأ عنها.

لكن الإيرانيين كانوا مشغولين بأنفسهم، ولم يتمكنوا بعد من إنجاز بناء دولتهم الجديدة، ثم حصلت عندهم مشاكل داخلية عاصفة، وفاجأتهم الحرب العراقية، لكل هذه الأمور لم يكن هناك توجه إيراني لتبني دعم معارضة للمملكة، كنا نستفيد من فرصة البقاء في إيران، ونستغل فرصة عدم إحكام أجهزة السلطة الجديدة سيطرتها على الأمور لممارسة نشاطنا الإعلامي والسياسي، وإذا كان الملك فيصل قد وفر للإخوان المسلمين الذين استضافتهم المملكة بعض الوظائف، وعيّن لهم مخصصات مالية كما فهمت من كلامك، فإننا لم نحصل على مثل ذلك في إيران، فكنا نتحمل نفقات حياتنا وعملنا بأنفسنا، ولم ينخرط أحد منا في أي وظيفة رسمية أو أهلية، بل واجهنا صعوبات كبيرة على المستوى القانوني لتحصيل الإقامات، حين بدأت تترتب أوضاع الأجهزة الأمنية هناك.

نعم كانت لنا صداقات وعلاقات مع بعض العلماء والقيادات الثورية كما أشرت سابقاً وكنا نستفيد منها لتمشية بعض أمورنا.

ولم يبد الإيرانيون اهتماماً بالوضع في المملكة إلا بعد ما حصل في مكة للإيرانيين في حج عام ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م. ونحن قررنا الخروج من إيران حتى لا

نكون أداة في الصراع الذي سيدور، وحتى لا نكون ضمن معركة الطرف الإيراني ضد الحالة في المملكة. خرجنا من إيران وانتقلنا إلى سوريا وإلى لبنان، وبعض إخوتنا انتقل إلى أوروبا، حتى نحافظ على استقلاليتنا، وحتى لا نكون أداة في صراع لم نكن نحب أن نكون فيه.

□ **كم كان عدد الذين ذهبوا معك إلى إيران؟**

■ من الصعوبة بمكان الحديث عن عدد معين.

□ **بالتقريب؟**

■ الذين انخرطوا في عملنا السياسي والإعلامي، كان عددهم محدوداً، ويقدرون بالعشرات، لكن هناك مجاميع التحقت بنا وتوجهت لدراسة العلوم الدينية، وبعضهم جاء هرباً من الملاحقة في البلاد، وبعضهم بقي مدة يسيرة وعاد للبلاد، والمجموع يمكن تقديره بالمئات.

□ **كيف هي أشكال المعارضة التي مارستموها، وهذا للتأريخ يا شيخ حسن، هل بما يفعله سعد الفقيه مثلا..مجرد إذاعة وبيانات ؟**

■ كان عملنا في الخارج يقتصر على المجالات التالية:

١.تربية الكوادر الفكرية والسياسية والإدارية.

٢.النشاط الإعلامي والثقافي عبر الكتب والمجلات وتسجيل الأحاديث والمحاضرات.

٣.التحرك السياسي بشرح قضيتنا لمختلف الأطراف والأوساط.

وكنا نرفض العنف كنهج للمعارضة، لذلك لم نقترب منه ولم ندع إليه ولم نؤيده، والمرجعية التي كنا ننتمي إليها وهو السيد الشيرازي كان يرفع شعار اللاعنف ويحذر منه، وقد كتب وحاضر كثيراً ضد أسلوب العنف والعمل العسكري، لأن ممارسته داخل المجتمع مخالف لتعاليم الدين، وسبب لانتهاك الحرمات، وفقدان الأمن، ويسبب ردة فعل عند الناس ضد مرتكبيه، وغالباً لا يوصل إلى نتيجة صالحة.

الوعي السياسي هل كان غائبا؟

□ لتوك قلت بأنه عندما تأزمت الأمور السياسية بين السعودية وإيران نأيتم بأنفسكم أن تدخلوا في الصراع. اسمح لي بإبداء اعتراض أو استفسار جاش بصدري ولا بدّ أن أصارحك به. لا أدري يا شيخ حسن ألم تستشعروا قبل هذا التأزم بأنكم كنتم ورقة سياسية في يد طهران ضد السعودية..بكل صراحة أنا لم أستطع أن أستوعب ما قلت..هل كنتم بهذا الفكر السياسي الذي لا يميز ذلك؟

■ لم يكن هناك صراع آنذاك بين إيران والمملكة، ولم نكن نشعر أننا ورقة بيد أحد، ولا نقبل بذلك، لكن هناك حقيقة أودّ الإشارة إليها، وهي أن الأوضاع في أي بلد إذا لم تستوعب أبناءه فإن ذلك قد يدفعهم للارتماء في أحضان الآخرين، كما أن العلاقة مع الآخرين قد تكون علاقة التقاء مصالح يستفيد منها كلا الطرفين، وعلى المواطن الصادق أن يحرص على الإخلاص لوطنه، وأن لا يكون منفذاً لأي إرادة أجنبية ضد مصلحة الوطن.

□ عفوا..عفوا..ولكن ثمة تأزم ملموس وواقع بسبب دعم المملكة للعراق وكان ذلك معلنا ؟

■ صحيح وذلك هو ما أعطانا فرصة للبقاء في إيران والعمل السياسي والإعلامي، لكن الإيرانيين كانوا حذرين في فتح جبهات واسعة، فما كانوا يريدون التصعيد مع دول المنطقة، وكانت الحرب ترهقهم، والضغوط الأمريكية والغربية شديدة عليهم، لذلك لم يتجهوا للتصعيد مع المملكة قبل أحداث مكة. وعندها انتقلنا إلى سوريا ولبنان وانتقل بعض الأخوة إلى بريطانيا.

□ سامحني ياشيخ حسن. والله مع مكاشفاتك وفي هذه الحلقة بالذات توّهت بي السياسة. فما زلت متحيرا

ولم أستوعب ذهابكم إلى سوريا بالتحديد وهي التي لها علاقات قوية واستراتيجية مع السعودية.. ألم تخشوا مثلا على أنفسكم في حال طلب الحكومة السعودية تسليمكم إليها ؟

اخترنا سوريا لأنها البلد العربي الوحيد المتعاطف مع إيران في الحرب العراقية الإيرانية، وكان يقصدها الزوار والسيّاح السعوديون مما يعطينا فرصة التواصل مع المجتمع، كما أن المعيشة فيها مريحة وسهلة، إضافة إلى وجود حوزات علمية شيعية في منطقة السيدة زينب قرب دمشق.

اخترناها لتكون مكاناً لمعيشتنا، لا لكي نمارس فيها عملاً سياسياً، فذلك ما لا يسمح به السوريون، لكن قرب لبنان كان يوفر لنا المجال المفقود في سوريا.

وكانت سياسة السوريين احترام اللاجئين والمقيمين مادام وضعهم قانونياً، ولا يمارسون نشاطاً ضد بلدانهم، وكمثال على ذلك فإنه ومع شدة التحالف السوري الإيراني كان هناك في سوريا بعض الإيرانيين المخالفين للجمهورية الإسلامية.

بالطبع كان في بقائنا في سوريا نسبة من المغامرة ولكن ثقتنا بموقفنا وإخلاصنا لقضيتنا كان يساعدنا على تحمل تلك الدرجة من الاحتمالات.

□ سأتطوع بتقديم رؤية عن تفسير قبول سوريا بكم، ولك يا شيخ حسن إن تصحح لي أو تخطّي.. أشعر كأنه نوع من الرد غير المباشر لاحتضان المملكة لمجموعة الإخوان المسلمين السوريين في أوائل الثمانينيات.. فكانت رداً من السوريين في احتضانكم؟

■ لا أدري ماذا كان يدور في أذهان المسؤولين السوريين، ولكنهم كانوا يتعاطون مع وجودنا كجزء من الحوزات العلمية في منطقة السيدة زينب، حيث كنا نمارس الدراسة والتدريس والنشاط الثقافي الاجتماعي لا غير.

□ كم مكثتم في سوريا؟

■ مكثت في سوريا حوالي ست سنوات (١٤٠٩-١٤١٥هـ).

□ هل كانت لك علاقات هناك مع المرجعيات الشيعية وهل كانت لحزب الله فروع هناك؟

■ لا توجد في سوريا مرجعيات شيعية وإنما هناك حوزات علمية، أبرزها الحوزة التي أسسها السيد حسن الشيرازي عام ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م وهو شقيق المرجع السيد محمد الشيرازي، وقد أسسنا حوزة خاصة بشبابنا باسم (حوزة الإمام الصادق) في منطقة السيدة زينب.

ويوجد هناك مكاتب لممثلي المرجعيات الشيعية وكنت على صلة وثيقة بهذه المكاتب وبمعظم ممثلي المراجع الكرام.

أما حزب الله فلا أعلم عن وجود فرع له في سوريا.

سلافة التجارب وعصارة السنين

□ هذه الفترة التي نتحدث،لا شك أنها شهدت كثيرا من الطرح العاطفي المندفع في تأييد الثورة الإيرانية وأدبياتها وفكرة تصدير الثورة واجتاحت الساحتين العربية والإسلامية بطوفان من تأجيج كاسح انتهى فورته الآن بما ترى. أنا الآن أمام الشيخ حسن الصفار بعد كل تلك التجربة الطويلة والعميقة.. كيف تنظر إلى تلك الفترة وخطاباتك وشعاراتك. هل مازالت متقدة لديك أم أن الأيام والتجارب علمتك أن تتراجع عن بعضها وأن تغيّر طرائق دعوتك، و في ذات الإطار ما هي نصيحتك التي ستقدمها للأجيال الجديدة من طائفتك وللشباب الإسلامي عموماً، كي لا يقعوا

في أخطائك وكيما يستفيدوا من نواحي تجربتك الايجابية؟

■ أعتقد أن ما كنا نمارسه في تلك المرحلة كان من وحي قناعاتنا وكان يمثل الاستفادة المناسبة من تلك الظروف التي استجدت على الساحة الإقليمية والإسلامية، ولست نادماً على التفاعل مع الثورة الإسلامية الإيرانية، فأنا أنظر إليها كإنجاز متقدم للصحوة الإسلامية، وأنها جاءت في سياق تمسك الأمة بدينها وأصالتها، ورفض التوجهات الغربية والهيمنة الأمريكية، وكثيرون في العالم الإسلامي من السنة والشيعة نظروا إليها بمثل هذه النظرة. يبقى الكلام عن أخطاء وقعت فيها الثورة والنظام الإيراني، وهذا أمر وارد، وخاصة في المرحلة الأولى، ومع الظروف الحرجة التي واجهتهم، وكان يجب مساعدتهم لتجاوز تلك الأخطاء، لكن المؤسف أن النظرة الطائفية من جهة، والتأثر بالإعلام الأجنبي من جهة أخرى هو الذي جعل التفاعل مع الحالة الإسلامية الإيرانية محل تساؤل ومثار استفهام.

لقد اتضح أن الذين قادوا المواجهة لإيران هم الذين قادوا فيما بعد المواجهة مع المملكة العربية السعودية، كالنظام العراقي الزائل، والإدارة الأمريكية مما يدل على استهداف الإسلام وخيرات المنطقة.

هذا فيما يرتبط بنظرتي إلى تلك المرحلة.

أما عن مدى التزامي بخطاب ونهج تلك المرحلة، فإن الإنسان يتكامل ويتطور من خلال التجربة والمعرفة، كما أن المراجعة والنقد الذاتي أمر ضروري لسد الثغرات وتجاوز الأخطاء، ثم إن تغيّر الظروف والأوضاع يستدعي تغيراً في الخطاب والنهج، وكلنا نعلم أن نهج النبوة في العهد المدني يختلف عنه في العهد المكي، في بعض الخصائص والجوانب.

إني أنصح نفسي وإخواني من أبناء الأمة بأن لا ينطلقوا في مواقفهم من الاندفاع والحماس وحده، بل يُعملوا عقولهم ويأخذوا خصائص بلدانهم ومجتمعاتهم بعين الاعتبار، فالأسلوب الناجح في بلد ما قد لا يكون صالحاً لبلد آخر.

الصفار هل هو خميني القطيف؟

□ **دعني هنا أحشرك في الزاوية، كما نقول في أدبياتنا الصحافية، وأتساءل يا شيخ حسن بأنه من يقرأ تأييدك الصارخ للخميني والثورية التي كانت عليه ربما يقول الآن بأن الشيخ حسن الصفار سيمتثله هنا في القطيف وسيقوم بنفس الدور الذي قام به الخميني.. كيف تعلق على هذا؟**

في هذا الطرح كثير من التسطيح والتبسيط، فلا وجه للمقارنة والمقاربة إطلاقاً، لا في الصفات الشخصية، ولا في نوعية البيئة الاجتماعية، ولا من حيث طبيعة الظرف السياسي.

فالإمام الخميني فقيه ومرجع وأنا مجرد طالب علم صغير، وهو انطلق من قاعدة شعبية كبيرة حيث الأكثرية الشيعية في إيران، بينما أعمل ضمن مجتمع شيعي محدود، وكان يواجه نظاماً شاهنشاهياً أراد فرض التغريب على الشعب المسلم، وارتبط مع الكيان الصهيوني، بينما نعيش في ظل نظام يواجه ضغوطاً من الغرب، ويرفض الكيان والعدوان الصهيوني. إلى جوانب كثيرة من الاختلاف والتفاوت.

وإذا كان مراجع الشيعة في العراق الآن لا يتبنون استنساخ التجربة الإيرانية للفوارق الموضوعية بين البلدين، فكيف بالبلدان الأخرى.

□ **وإذن يا شيخ حسن، هل لي أن أتساءل عن النهج الذي تنتهجونه هنا في السعودية، وأتساءل عنك تحديدا ؟**

■ برامج عملنا بعد العودة إلى الوطن تحددت في أربعة اتجاهات:

الأول: الإصلاح داخل المجتمع، بنشر الوعي والثقافة السليمة، عبر الوسائل المتاحة، ودعم المؤسسات الخيرية الاجتماعية، وتشجيع كل ما من شأنه نفع المجتمع وخدمة تقدمه.

الثاني: الانفتاح على المحيط الوطني، بإقامة جسور العلاقة مع بقية المواطنين،

لتجاوز حالة القطيعة المذهبية، والانغلاق الطائفي، وإنتاج الخطاب والثقافة المؤصلة والداعمة لهذا الاتجاه.

الثالث: التواصل مع المسؤولين وقيادات الدولة، لمعالجة القضايا العالقة، والمشاكل القائمة، بما يخدم التلاحم بين القيادة وشرائح المواطنين.

الرابع: الإسهام في الشأن الوطني العام على مختلف الأصعدة.

□ نأتي على الجانب الثاني والذي حقيقة ربما يهمّ متابعا مثلي. لكم بعض الفتاوى الخاصة في قضية الاندماج في المجتمع وان كان في الجانب الأول لكم رؤى تجديدية كفتواكم في عاشوراء والتبرع بالدم وغير ذلك هلا أوضحتم لنا هذه الفكرة؟

■ الاندماج الوطني قضية ملحة، يجب أن يبذل كل الواعين أقصى جهودهم من أجل خدمتها وتحقيقها، فهذا الوطن الواسع الكبير، الذي تحققت وحدته وقام كيانه على يد المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله، يضم مناطق عديدة، ومجتمعات مختلفة في بعض خصائصها الجانبية، وإن كانت تنتمي لأصول عربية واحدة، ولدين واحد، هو الإسلام والحمد لله.

لكن الحرص الطبيعي والمشروع لكل مجتمع على خصوصياته يقتضي احترام هذه الخصوصيات، واتساع بوتقة الوطن للجميع، بالتأكيد على القاسم المشترك، والهوّية الوطنية الواحدة التي تحترم الخصوصيات ولا تقمعها. وحين تضعف هذه الحالة لصالح خصوصية معينة، يزداد تمسك الآخرين بخصوصياتهم، فيصبح الوطن ساحة صراع بين الخصوصيات أو الهوّيات الفرعية، على حساب الهوّية الوطنية، كما أن وجود ثقافة تنال من الآخر الوطني، وتعبئ ضده لاختلاف مذهبي أو فكري، يعوّق تحقق الاندماج الوطني، ويحول بعض فئات الشعب إلى كانتونات تنكفئ على نفسها، وتنعزل عن محيطها.

إن الوحدة الوطنية على أساس الإسلام هي أمانة في أعناقنا جميعاً، وعلينا مسؤولية تأكيدها وتجديدها وإزالة أي غبار يلحق بوجهها الناصع.

من هذا المنطلق شغلني هذا الهم الإسلامي الوطني، فألقيت حوله الكثير من المحاضرات، داعياً أبناء مجتمعي إلى الانفتاح أكثر على محيطهم، وإلى إبراز ولائهم الوطني، وتعزيز مشاركتهم في الشأن العام، ومطالباً المناخ الوطني الرسمي والديني بالاهتمام أكثر بهذه القضية الخطيرة، ومعالجتها بعناية خاصة، لتجاوز آثار الحقبة الماضية، ومواجهة تحديات الظرف الحاضر.

وكتبت عدداً من الكتب والأبحاث تتناول الموضوع من زواياه المختلفة مثل (التعددية والحرية في الإسلام) و(التسامح وثقافة الاختلاف) و(التنوع والتعايش) و(السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته) و(كيف نقرأ الآخر) و(الحوار والانفتاح على الآخر) و(التطلع للوحدة) وغيرها.

وبحمد الله فإن دعوة سمو ولي العهد للحوار الوطني، ومشاركة بعض الدعاة والمثقفين في طرح هذه المفاهيم والأفكار، عبر الصحافة والكتابات، هيأ الساحة الوطنية أكثر من السابق لتحقيق حالة الاندماج وتعزيزها.

أما مبادرتنا بالدعوة إلى التبرع بالدم في عاشوراء كل عام، فقد لقيت استجابة هائلة من قبل المواطنين الشيعة، يفوق استعدادات بنك الدم الإقليمي. بدأناها في القطيف من سنة ١٤١٦هـ، وامتدت إلى الأحساء سنة ١٤٢٤هـ، وإلى البحرين قبل ثلاث سنوات، وكذلك إلى منطقة السيدة زينب في سوريا، وأرجو أن يصبح يوم عاشوراء يوماً عالمياً للتبرع بالدم، في أي مكان وبلد يوجد فيه من يهتم بهذه المناسبة، يبادر إلى التبرع بدمه لصالح المرضى من بني البشر.

وهي ليست فتوى لأني لست في مقام المرجعية والإفتاء وإنما هي دعوة لاستثمار مشاعر التفاعل مع ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بما ينفع الناس.

مظاهر عاشوراء والصورة السلبية

□ لكأنك ضد ما تفعله طائفتكم، وتتناقله وسائل الإعلام في عاشوراء، من إسالة الدماء وخدش رؤوسهم بالخناجر ومظاهر تعطي صورة سلبية عنكم.

■ هذه المظاهر التي تحصل في بعض المجتمعات الشيعية في عاشوراء، هي مورد خلاف داخل الطائفة فقد كتب ضدها أحد أبرز علماء الشيعة السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤-١٣٧١هـ) من لبنان كتاباً بعنوان (التنزيه)، كما أصدر الإمام الخميني أمراً بمنعها، وكذلك السيد الخامنئي القائد الحالي للجمهورية الإسلامية، وكذلك السيد فضل الله المرجع البارز في الساحة اللبنانية، من منطلق أن هذه الممارسات إيذاء للنفس، وتشويه للصورة أمام الآخرين. لكن مراجع وعلماء آخرين في الطائفة يؤيدونها ويرونها وسيلة صارخة لإحياء المناسبة، وجذب الأنظار لها، وتدخل ضمن عناوين إبراز المودة لأهل البيت والتعاطف مع ظلامتهم، ويردون على المعترضين بأنه ليس مطلق الإيذاء للنفس حرام، وإنما هو الإيذاء الذي يصل إلى تلف النفس أو تلف أحد الأعضاء، أو حصول مرض، وأننا لا يصح أن نتنازل عن شعائرنا إرضاء للآخرين عنا.

بالنسبة لي شخصياً أنتمي إلى المدرسة الأولى، وأرى أنه مادام ليس هناك نص ثابت لأحد أئمة أهل البيت يدعو إلى هذه الممارسة وإنما هي مجرد مظهر وأسلوب تكوّن في بيئة اجتماعية معينة للتعبير عن عنوان الولاء والمودة لأهل البيت، فإن المظاهر والأساليب قابلة للتغيير والتطور، كما أني أرى أهمية تقديم الصورة الحسنة المشرقة للمذهب والطائفة كما يقول الإمام جعفر الصادقعليه السلام فيما روي عنه «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا علينا شيناً» مادام ليس على حساب الثوابت والقضايا الأساسية ولا أعتقد أن هذه منها.

لكنها تبقى وجهة نظر وكما قلت سابقاً لست في مقام المرجعية والإفتاء.

□ وطالما نحن في مسألة التوافقية، لدي سؤال صريح حيال عدم صلاة الشيعة مع السنة، رغم أن هناك فتوى شهيرة للخميني أزالت عنكم هذا الحرج بجواز الصلاة خلف أئمة الحرم المكي والنبوي؟

■ بلى، الشيعة يصلون خلف أئمة الحرم المكي والنبوي عندما تقام الصلاة. وكذلك في سائر الأماكن، فالنصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام

وفتاوى مراجع الشيعة تدعو الشيعة للمشاركة في صلاة الجماعة مع إخوانهم السنة حينما يحضرون مكاناً تقام فيه الصلاة.

أما في أماكن استقرارهم فمن الطبيعي أن تكون صلاة جماعتهم بإمامة علمائهم، كما هو الحال بالنسبة لأهل السنة، فإن لهم في المناطق الشيعية كالقطيف وقراها مساجد خاصة بهم ولا يصلون مع أئمة الشيعة.

أشير هنا إلى أن الشيعة أحياناً يواجهون بعض المشاكل حينما يصلون في المسجد النبوي مثلاً، حيث إن رأي المذهب الشيعي عدم صحة السجود إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض غير المأكول والملبوس، ولأن أغلب مساحة المسجد النبوي مفروشة بالسجّاد، فإنهم يضطرون إلى وضع حجر أو خشب أو ورقة يسجدون عليها، وهذا ما لا يتحمله البعض منهم، ويضيق ذرعاً حتى بالاختلاف في هذه المسألة الجزئية، وأن يتعبد الناس لربهم وفق رأي مذهبهم.

ومن المشاكل التي يواجهها الشيعة في الصلاة جماعة مع إخوانهم السنة أن بعض الأئمة في خطبهم ينالون من الشيعة ويعبئون ضدهم ويصفونهم بالشرك والضلال والابتداع، وهل يقبل إنسان بالصلاة خلف من يكيل له هذه الاتهامات؟

لقد حدث أن انسحب وفد شيعي رسمي من خارج البلاد من صلاة الجماعة حينما استغرق الخطيب في مثل هذه الإساءات البغيضة.

نرجو أن تتضافر الجهود لمعالجة هذه الإشكاليات لتكون صلاة الجماعة مظهراً لوحدة الأمة واجتماع شملها إن شاء الله.

□ عوداً إلى سوريا، كيف كانت عودتكم. وهلا حدثتنا بالتفصيل في أسباب وكيفية رجوعكم للمملكة؟

■ بعد احتلال العراق للكويت واستعانة المملكة بقوات التحالف لحماية المملكة وتحرير الكويت، دخلت المنطقة وضعاً جديداً، ورأينا الخطر محدقاً ببلادنا، خاصة مع موقعية المنطقة الشرقية الحساسة، وقد بذل النظام العراقي الزائل جهوداً مكثفة لاستمالتنا نحو موقفه، بأن نعارض مجيء قوات التحالف، ونصعّد معارضتنا

للنظام في المملكة، واتصلت بنا حركات إسلامية سنية كثيرة تشجعنا على ذلك، لأن الموقف العام عندهم كان بهذا الاتجاه، ولكننا درسنا الأمر بموضوعية وبروح وطنية، فقررنا أن ننحاز لوطننا، وأن نقف معه في وقت المحنة والشدة، فأعلنت في تصريح بثته وكالة رويتر للأنباء في وقته، بأننا وإن كنا نعاني كطائفة من بعض المشاكل، إلا أن ذلك لا يعني أن نقف مع العدوان العراقي أو نبرر له، ورفضنا كل الإغراءات، وطالبنا مجتمعنا في المنطقة الشرقية بالتطوع للدفاع عن الوطن، وبحفظ الأمن والاستقرار في ذلك الظرف الحساس، هذا الموقف قابلته حكومة خادم الحرمين الشريفين بالتقدير، وكان هناك بعض الوسطاء مثل سفير المملكة في سوريا الأستاذ أحمد الكحيمي الذي كان له دور طيب والدكتور ناصر المنقور سفير المملكة في لندن قبل الدكتور غازي القصيبي وبعض الأخوة في أمريكا التقوا أيضاً مع السفير السعودي الأمير بندر بن سلطان فتكثفت اللقاءات وتكثف التواصل بيننا وبين الدولة تقديراً منا للظرف الذي يمر به البلد وتقديرا من الدولة للموقف الوطني الذي اتخذناه، ثم تفضّل خادم الحرمين الشريفين حفظه الله وبعث مندوباً من جهته إلى لندن، داعياً الإخوة للقاء الملك مباشرة للاطمئنان إلى موقف الحكومة واهتمامها بالأمر، وسافر بالفعل أربعة من الإخوة إلى جدة حيث حظوا بلقاء خادم الحرمين الشريفين في سبتمبر عام ١٩٩٣م وسمو وزير الداخلية، وسمو أمير المنطقة الشرقية.

□ لا أدري..يا شيخ حسن، وأنا اعدّ لهذه المكاشفات، لكأن بعض المصادر ذكرت دورا للدكتور غازي القصيبي وهو المتعاطف دوما مع طائفتكم. هلا أجليت لنا الأمر؟

■ لا لم يكن ضمن الوسطاء. ونحن نقدر جدا تعاطفه مع ما يخدم الوحدة الوطنية، فقد نشأ في منطقة الأحساء وعاش مع الشيعة هناك وكذلك في البحرين.

□ عودا للأخوة الأربعة الذين بعثتموهم. أستأذنك في سرد أسمائهم بسبب التوثيق التاريخي الذي اتفقنا عليه؟

هم الدكتور الشيخ توفيق السيف، والمهندس جعفر الشايب والأستاذ عيسى المزعل والشيخ صادق الجبران. وعادوا بانطباعات إيجابية، وأصدر خادم الحرمين الشريفين أمراً بإطلاق سراح المعتقلين من الشيعة ضمن الأحداث السابقة، وعفواً عن الموجودين في الخارج ليعودوا بكل أمان، ورفع حظر السفر عمن كان ممنوعاً. إضافة إلى الوعود بمعالجة المشاكل التي يعاني منها المواطنون الشيعة. وهكذا أنهينا نشاطنا في الخارج وعدنا بحمد الله إلى الوطن لنتفيأ ظلاله.

□ على الرغم أنك في الحلقة الثانية من المكاشفات كنت تقول بأننا في الفترة التي نعيش فيها لا توجد مجموعة شيعية معارضة وإنما هي مجرد أصوات متبعثرة هنا وهناك لا تمثل الشيعة؟

■ تأخير المعالجة والحل للمشاكل أصاب بعض الأخوة بالإحباط، وربما حصل عند بعض الأفراد شك في الجديّة، وأن الأمر لا يعدو استيعاب الدولة لتلك الحالة، وحتى على مستوى الجمهور الشيعي، نواجه إحراجاً وتساؤلات من قبل الناس الذين انتعشت آمالهم بمعالجة ما يعانون من المشاكل فصدمتهم حالة التأخير والتباطؤ، في مثل هذه الأجواء قد تنبعث بعض الأصوات المعارضة، وقد تلقى بعض التجاوب والقبول، لكننا نأمل بقطع الطريق على هذه التوجهات بالاهتمام الجادّ بمعالجة ما يشكو منه هؤلاء الناس، فهم مواطنون من حقهم أن يتمتعوا بالكرامة والخير في وطنهم.

بيان (شركاء في الوطن)

□ ولا يصح، ونحن إزاء هذه المكاشفات المطولة إلا أن نتعرض لموضة البيانات التي اجتاحت مجتمعنا مذ ثلاث سنوات ونيف. أصدرتم بياناً العام الماضي أسميتموه (شركاء في الوطن) تحدثتم فيه عن مطالبكم كشيعة.. بودي معرفة أسباب إصداركم هذا

البيان.. وهل للأمر علاقة بالأجواء السياسية التي تمر بها المملكة ولربما قال بعض الأخوة أنها نوع من الانتهازية للظرف السياسي والمجتمعي الذي تمر به الدولة. فما هو تعليقكم؟

■ وثيقة (شركاء في الوطن) لم تكن بياناً، وإنما هي رسالة سلمت إلى سمو ولي العهد عبر وفد يتكون من ١٨ شخصية شيعية، من القطيف والأحساء والمدينة المنورة، وقد انطلقت الرسالة التي وقعها ٤٥٠ شخصية من منطلق إعلان الولاء للوطن، والوقوف مع الدولة في مواجهة التحديات الخارجية، كما ركزت الرسالة على ضرورة تدعيم الوحدة الوطنية، والتلاحم بين الشعب والقيادة، وأن الشيعة هم جزء لا يتجزأ من هذا الشعب والوطن، ويجب أن تفسح لهم مجالات الخدمة على جميع الأصعدة كبقية مواطنيهم دون تمييز أو تهميش، وأن تحترم خصوصيتهم الدينية المذهبية.

وكان استقبال سمو ولي العهد حفظه الله رائعاً جميلاً حيث طمأن الجميع بأنه مهتم شخصياً بالأمر، وأشاد بوطنية الشيعة ورفض المزايدات عليهم دينياً ووطنياً. وأخبرنا عن عزمه على الدعوة إلى لقاء للحوار الوطني.

أما وصف هذه الرسالة ومطالبها بأنها نوع من الانتهازية فهي (شنشنة أعرفها من أخزم) فكل الجهات والأطراف تصدر بيانات، وتقدم رسائل وعرائض، فإذا ما عرض الشيعة قضاياهم أمام ولاة الأمر يوصف بالانتهازية واستغلال الظروف فإلى الله المشتكى.

□ عفوا.. وبعيدا عن الحساسية الطائفية والمناطقية حتى.. التهمة أطلقت على الكل يا شيخ حسن.. في هذا تساويتم مع الآخرين؟

■ إذا كان كذلك فيحق لي أن أدافع عن الكل، حيث لا يصح اتهام النوايا، ولا أن يضيق الوطن ذرعاً بأصوات أبنائه، فإن المسؤولين في البلاد يفخرون بسياسة الباب المفتوح، فلنشجع المواطنين على التخاطب مع قياداتهم وولاة أمورهم، ففي ذلك تحقيق لمبدأ النصيحة، وتفويت الفرص على الأعداء.

□ هل من كلمة أخيرة في نهاية هذه المكاشفات؟

■ أشكركم على إتاحة الفرصة من خلال مكاشفاتكم لمناقشة هذه القضايا التي تهمنا كمسلمين نواجه التحديات العاصفة، وكمواطنين نحرص على أمن وطننا واستقراره، وأرجو أن تساعد مثل هذه المكاشفات على فهم متبادل أفضل، وأن تبلور لدينا جميعاً إرادة الحوار والتعاون على البر والتقوى، ولم أقصد بشيء من إجاباتي تجديد السجال المذهبي والجدل الطائفي المزمن، وإنما أردت توضيح الصورة لكي يعرف الطرف الآخر بأن للآخرين وجهة نظرهم وبراهينهم وأدلتهم، وأدعو إخواني الدعاة والمثقفين للاهتمام بمساحات الاتفاق والوفاق الواسعة بين مذاهب الأمة وأبنائها، بدل التركيز على نقاط الاختلاف المحدودة، سيبقى هناك متطرفون من شتى المذاهب، لكنّ العقلاء والمعتدلين من كل الأطراف عليهم أن لا يتركوا الساحة ملعباً لقوى التطرف والتشدد. وأن يرفعوا أصواتهم ويكثفوا جهودهم لإنقاذ الأمة من هذا الواقع الصعب الذي تعيشه.

والحمد لله رب العالمين.

مداخلات وأصداء

- د. عزيزة المانع
- الأستاذ حمود أبوطالب
- الدكتور محمد علي الهرفي
- د.سهيل بن حسن قاضي
- الأستاذ فهد إبراهيم أبو العصاري
- الشيخ محمد علي التسخيري
- السيد محمد حسين فضل الله

مداخلات وأصداء

أثار نشر هذه المكاشفات حراكاً ثقافياً وطنياً واسعاً على صفحات الجرائد، ومنتديات شبكة الإنترنت، وفي مختلف اللقاءات الاجتماعية، وقد توالت المداخلات على جريدة الرسالة متواكبة مع نشر حلقات المكاشفات، واستمر نشرها لعدة أسابيع بعدها، كما نشر بعض الكتاب مداخلاتهم في جرائد أخرى كجريدة الوطن وعكاظ.

ولم تنحصر أصداء هذه المكاشفات في المجتمع السعودي؛ بل تفاعل معها المهتمون بقضايا الوحدة الإسلامية والحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية في مختلف الساحات.

وقد جمع الأستاذ الصحفي عبد العزيز قاسم أكثر تلك المداخلات لينشرها مع المكاشفات في كتاب يوّثق لهذه المرحلة من تاريخ الوطن.

وكنماذج لتلك الأصداء والمداخلات اخترنا منها عدداً محدوداً ضمن هذا الكتاب، مرتبة حسب تاريخ نشرها. في انتظار صدور كتاب الأستاذ عبد العزيز قاسم التوثيقي.

والله ولي التوفيق.

د. عزيزة المانع*:

مكاشفات حسن الصفار*

على مدى أسابيع أربعة وصحفينا الشاب المتألق عبد العزيز قاسم يواصل حواره الساخن مع الشيخ حسن الصفار على صفحات صحيفة (المدينة) في بابه الشهير (مكاشفات). وعلى مدى أسابيع أربعة والناس مقبلة على قراءة تلك المكشفات بحماس اشتركوا فيه وإن اختلفت دوافعهم إليه وكنت واحدة من أولئك المتحمسين لمتابعة الحوار.

ولعلها هذه هي المرة الأولى التي يُتاح فيها لشيخ من شيوخ إخواننا الشيعة أن يتحدث بهذا التوسع والوضوح فيشرح لهم وجهة النظر الشيعية ويصحح كثيراً من المفاهيم الخاطئة لدى البعض عن الشيعة وينفي بعض ما نسب إليهم من أقوال أو أفعال شوهت صورتهم لدى أهل السنة. وأشهد أن الشيخ حسن الصفار بدا لي من خلال حديثه شخصاً مميزاً يتسم بسمات فكرية وخلقية لا تتوفر لكل أحد. فقد لفت

---

* أكاديمية وكاتبة سعودية.

* عكاظ: جريدة يومية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، العدد ١٣٩٣٩، الاثنين ١٤٢٥/٩/١١هـ - ٢٠٠٤/١٠/٢٥م.

نظري في حديثه عمق الوعي وبعد النظر والتعامل مع الواقع بعقلانية مطلقة مع رقي في أسلوب الحديث وأدب جم عند ذكر من يختلف معهم وقد لمستُ في حديثه دفاعاً منطقياً مقنعاً حول كثير مما يتداوله الناس عن الشيعة وقد ساعده على ذلك ما يتمتع به من ذكاء ولباقة وحصافة بارزة جعلته يحتفظ بهدوئه واتزانه على مدى الأسابيع الأربعة رغم مداخلات محاوره المستفزة في كثير من الأحيان.

إن ما جاء في حديث الشيخ الصفار عبر المكاشفات هو كلام في غاية الأهمية ومن المصلحة الإصغاء إليه بعناية وتحكيم العقل في التعامل معه لاستيعاب أبعاده العميقة. وتجاهل ما قد يثور في النفس من الانفعالات التي لا ينتج من الانسياق وراءها سوى بناء الأحقاد وبث روح الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد.

لقد أفلح صاحب المكاشفات في أن يضمن مكاشفاته حواراً غنياً وعميقاً من خلال ما يطرحه من تساؤلات تتردد في أذهان الناس واستوقفني منه تلك السعة في الإطلاع على التاريخ الشيعي والسني وما خاضته الفئتان من معارك الخلاف المادي والمعنوي. وغوصه في طرح قضايا حساسة وهو بلا شك يحمد له خوضه هذه التجربة الشائكة ودخوله هذه المغامرة التي تهرب منها كثيرون.

شيء واحد أتمنى أن يحرص عليه صاحب المكاشفات وهو أن يصر على تنقية ما يصل إليه من مداخلات مما يعلق بها من شوائب اللفظ المخل بالذوق والأدب وما قد تتلبس به من تجريح وأذى وذلك كي لا تتحول المكاشفات إلى منبر للإساءة ودعم الشقاق وذلك عكس ما يرجى منها.

الأستاذ حمود أبوطالب*:

حسن الصفار مواطنا*

أجزم أن العمل الصحفي الذي أنجزه مؤخراً الأستاذ عبدالعزيز قاسم في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة، عمل متميز بكل المقاييس والاعتبارات، سواء من جانب التوقيت واختيار الشخصية واختيار المحاور والتسلح بخلفية كبيرة من المعلومات، وكذلك التمكن من أساليب الحوار وبراعة الطرح. لقد كانت حلقات مكاشفات مع الشيخ حسن الصفار على قدر كبير من الأهمية يعود إلى كونه ـ أي الشيخ حسن ـ شخصية بارزة لا يمكن إغفالها أو تجاوزها حين يأتي ذكر الشيعة والمجتمع الشيعي في المملكة، إضافة إلى ما يتوفر فيه من فكر عميق وثقافة عالية، كما أن التوقيت الذي جاءت فيه المكاشفات كان توقيتاً هاماً وحساساً، فعلى الصعيد الداخلي هناك حراك على مستويات وأصعدة عديدة، رسمية وغير رسمية، لترسيخ الوحدة الوطنية وإذابة السجالات والاتهامات والاحتقانات المزمنة التي تكرس العزلة والفرقة، وعلى

---

* كاتب وباحث / السعودية.

* الوطن: جريدة يومية تصدر عن مؤسسة عسير للصحافة والنشر، العدد ١٤٩٣، بتاريخ ١٧ رمضان ١٤٢٥هـ ـ ٣١ أكتوبر ٢٠٠٤م.

الصعيد الخارجي قد تأكد لنا بجلاء التربص اللئيم الذي تمارسه قوى إدارة اللعبة العالمية الجديدة حين بدأت تعزف على أوتار الطائفية والمذهبية والأقلية وما شابهها من مصطلحات، إضافة إلى الأوتار التي سبق أن عزفت عليها ببراعة بعد أن هيأناها لهم حين لم نقدر جيداً خطورة بعض الأمور.

لقد سنحت لي فرصة التعرف على الشيخ الصفار خلال اللقاء الفكري الثاني للحوار الوطني بمكة المكرمة العام الماضي، وتلك المعرفة، سواء بما كان يطرحه في جلسات الحوار أو خارجها، هي التي جعلتني أقول ما سبق عن فكره وثقافته، وكذلك حسه الوطني، وهي العناصر التي دفعتني للكتابة عن مكاشفاته، أما التفاصيل الدقيقة ـ المتعلقة بالشأن المذهبي، والاختلافات المثارة مع السنة وغيرها من الأمور في هذا الجانب فإنها ليست من شأني لأنني لست متخصصاً فيها ولا متعمقاً في فهمها، ويحسن بمن هو مثلي أن يدعها لأهلها.

لقد أثيرت أمور في غاية الأهمية خلال حلقات المكاشفات لا نستطيع طرحها هنا أو الإشارة إليها بإيجاز لكثرتها. وأنا سوف أتجاوز كل ما قرأته لأقف عند مقطع واحد قاله الشيخ الصفار في آخر مكاشفة يوم الجمعة الماضي (١٥ رمضان)، يقول:

«الاندماج الوطني قضية ملحة، يجب أن يبذل كل الداعين أقصى جهودهم من أجل خدمتها وتحقيقها، فهذا الوطن الواسع الكبير الذي تحققت وحدته وقام كيانه على يد المؤسس الملك عبدالعزيز رضي الله عنه، يضم مناطق عديدة، ومجتمعات مختلفة في بعض خصائصها الجانبية، وإن كانت تنتمي لأصول عربية واحدة ولدين واحد، هو الإسلام والحمد لله. لكن الحرص الطبيعي والمشروع لكل مجتمع على خصوصياته يقتضي احترام هذه الخصوصيات واتساع بوتقة الوطن للجميع بالتأكيد على القاسم المشترك والهوية الوطنية الواحدة، وحين تضعف هذه الحالة لصالح خصوصية معينة يزداد تمسك الآخرين بخصوصياتهم فيصبح الوطن ساحة صراع بين الخصوصيات أو الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية». كمواطن حريص على وحدة وتماسك وطنه فإن ما سبق قد يكون الأهم بالنسبة لي في كل المكاشفات، لأننا بالفعل نبحث عن هوية وطنية واحدة صلبة لا تجيَّر لصالح هويات أخرى مهما كانت، غير قابلة للمقايضة أو المصادرة أو الإلغاء لأي سبب لا علاقة له بالوطن. وما قاله

الشيخ حسن الصفار هو ما يجب أن يقال منذ زمن بعيد، وما يجب أن يستوعبه كل عاقل محب لوطنه.

وإذا كنا نريد الخير لوطننا يجب أن تتوقف القنوات التي تثير الشحناء دون وجود أسباب مفهومة، ويجب أن نقطع أنابيب الوقود التي تغذيها، ويجب ألا نتساهل مع المقامرين بالوطن من أجل قناعاتهم الخاصة.

ألسنا ندعو إلى التسامح والحوار وعدم الإقصاء والتسفيه وتصنيف المواطنة؟، أليس ذلك ما ندعو إليه أم نحن نقول مالا نفعل؟..

الدكتور محمد علي الهرفي*:

مع حسن الصفار في مكاشفاته*

أحسب أن عبدالعزيز قاسم من الكفاءات الصحفية المتميزة، هذه الكفاءة جعلت (الرسالة) التي تولى عبء الإشراف عليها ذات طابع متميز وأحسب أن (المدنية) لا يمكن لها أن تكون شيئاً بدون (الرسالة) التي حملتها.. السيد عبدالعزيز يتحفنا بين الحين والآخر ببعض المكاشفات الجيدة وآخر ما قرأت من مكاشفاته تلك المكاشفة التي أجراها مع الشيخ حسن الصفّار، وفي هذه المكاشفات نقاط تستحق الوقوف عندها، ولأن هذه النقاط كثيرة فإني سأختار بعضها بحسب أهميتها من وجهة نظري.. وفق عبدالعزيز في اختيار الشيخ حسن الصفار فهو شخصية اجتماعية معروفة ومتميزة وله طروحات ينبغي الوقوف عندها وكثير منها يتجه لتقوية الوحدة الوطنية وإزالة ما يمكن إزالته من الفوارق بين الطائفتين، السنية والشيعية وله كتابات كثيرة في هذه الموضوعات أحسب أننا بحاجة ماسة لمثلها في هذه الأيام.. من النقاط التي تحدث فيها الشيخ قضية

---

* أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

* صحيفة الوطن، العدد ١٥٢٣ السنة الخامسة، الثلاثاء ١٨ شوال ١٤٢٥هـ - ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤م.

الولاءات والانتماءات وما يثار من حديث حولها وأن الشيعة في بلادنا يتجه ولاؤهم للخارج بسبب الحالة التي يعانونها.. الشيخ أوضح أن هذه المسألة تدخل في نطاق الإساءة للطائفة الشيعية وذكر أن بعض الأفراد قد يوالون غير بلادهم من الطائفتين وهنا يجب عدم التعميم والاكتفاء بذكر الأشخاص فقط. لعلي هنا أتفق مع الشيخ وأؤكد أن أعداء بلادنا يستغلون كل ثغرة تتاح لهم لاختراق حصوننا والدخول معها للوصول إلى أهدافهم السيئة، وهنا لا يفرق هؤلاء الأعداء بين طائفة وأخرى فالمهم حصولهم على مآربهم ثم يضربون الجميع فالذي يخون وطنه لا يستحق الاحترام حتى من الذين خان وطنه من أجلهم. وأمامنا ظاهرة أفغانستان والعراق فالذين تعاونوا مع الاحتلال الأمريكي في كلا البلدين كانوا من جميع الطوائف وعندما تمكن العدو من بلادهم ضربهم جميعاً وأبقى على من يتماشى مع رغباته ويحقق له أهدافه. إن كل فرد ينبغي أن يدرك وبوضوح شديد أن التعاون مع العدو لن يحقق له شيئاً غير الاحتلال والدمار وأن الإصلاح يجب أن يكون بإرادة المواطنين ومنهم وحسب عقائدهم.. ومن هنا فإني أحيي الشيخ حسن عندما أكد على هذه المسألة بصورة عملية في بيانه الذي أصدره رداً على ادعاء الأمريكان بوجود تفرقة دينية في المملكة وأحسبهم يعنون بهذا البيان الطائفة الشيعية وذكر صراحة أنهم لا يعانون أي لون من التفرقة وإذا حصل شيء من هذا فإنهم سيبحثونه مع حكومتهم وليسوا بحاجة إلى الآخرين لتحقيق أهدافهم..

وفي هذا السياق فإني أستغرب حديث السيد علي الأحمد الذي ألقاه أمام لجنة في الكونجرس الأمريكي وطالب فيه الأمريكان بالتدخل في بلاده لحل مشكلاتها حسب فهمه مركزاً على التفرقة الدينية. وأعجب من طريقة طرحه وهو يرى أكثر من سواه ما فعله الأمريكان في العراق وكيف يمارسون الإبادة الجماعية في الفلوجة فهل يتوقع من أمثال هؤلاء أن يحققوا له شيئاً وهل هذا هو الطريق للإصلاح؟ الشيخ حسن قالها صراحة: «أريد أن أقول وأعلنها بصوت واضح لكل المسلمين ولكل أبناء المنطقة بمختلف اتجاهاتهم بأن المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب» ثم ذكر الشيخ وفقه الله أن من واجب الحكومات العربية أن تبادر لكسب شعوبها وأنها لن تصل إلى ذلك بدون إصلاحات شاملة تجعلها مع شعوبها في خندق واحد وهي إن لم تفعل ذلك فستقدم خدمة جليلة للأمريكان ولكل أعداء الأمة أكثر مما يقدمه

أي شخص آخر.. نقطة أخرى تستحق الوقوف عندها وهي مسألة التحريض الذي يمارسه بعض الأشخاص من الفئتين ضد الفئة الأخرى.. الشيخ وقف عند هذه النقطة طويلاً وأحسبه محقاً في هذه الوقفة فمجتمعنا لا يتحمل هذه الأفعال وهو في ظرف أحوج ما يكون فيه إلى الالتحام والوفاق. أعرف ـ كغيري ـ أن هناك نقاط اختلاف بين السنة والشيعة وأعرف أن هذا الاختلاف سيبقى إلى قيام الساعة وأعرف أنه لم يظهر الآن ولهذا كله أحسب أن المصلحة أن يتجاوز الجميع هذه النقاط ويبحثوا عن نقاط الالتقاء وهي كثيرة جداً وإذا كان هناك أفراد من الطائفتين يرون استحالة تجاوز نقاط الاختلاف فإن هناك أعداداً لا ترى ما يرى أولئك ولديها من التفاؤل بتحقيق أكبر قدر ممكن من التلاحم الذي يخدم الوطن بكافة أفراده. نقاط الالتقاء تحدث عنها الشيخ كثيراً كما تطرق مع مكاشفه عن نقاط الاختلاف وأبدى رأيه فيها. ومرة أخرى لا أجد من المناسب في مقال كهذا أن أقف عند تلك النقاط وعليّ أن أقول إن المصلحة المشتركة أن نوقف استعداء كل طرف على الآخر ومن هنا فإني أستغرب ـ مثلا ـ من هيئة الإغاثة أن تصدر كتابا تكفر فيه الشيعة، كما أستغرب من صحيفة سعودية أن تنشر مقالاً لأحدهم يرى فيه استحالة الانتصار على الأمريكان ما دام فيهم مبتدعة وخارجون على الدين ويضرب مثلاً لذلك بالشيعة والبعثيين.. وفي الوقت نفسه يجب أن يوقف معتدلو الشيعة كل الأصوات النشاز التي تكفر السنة أو رموزهم. هذه الأصوات لا تحقق للوطن إلا الإساءة والتفرقة.. لقد أعجبت بما قاله الشيخ في قناة (الأوائل) وهو يشبه المسلمين عموماً بأنهم يعيشون في بيت واحد فيه حجرات بعضها يسكنها شيعة وأخرى يسكنها سنة. وقال: لا أرى مانعاً أن يخرج أحد ساكني هذه الحجرة ليدخل في الحجرة الأخرى.. أي إنه قال بطريقة أكثر وضوحاً: إنه لا يرى مانعاً أن يتحول الشيعي إلى سني والعكس ما دام الجميع يعيشون تحت لواء الإسلام.. تمنى الشيخ كثيراً أن يكون هناك لقاءات وحوارات بين مختلف المذاهب وأن يتولى العلماء والمثقفون هذه المسألة ليفهم كل طرف الآخر على حقيقته ومن ثم يستطيع التعايش معه بصورة صحيحة بعيداً عما يسمعه كل طرف عن الآخر إما من خلال كتب لا يتفق الجميع على صحتها أو من خلال إشاعات لا تهدف إلى مصلحة أحد. وأجد أن هذا الطرح في غاية الموضوعية وينبغي على علمائنا أن يبادروا إلى تفعيله فتكثر

لقاءاتهم مع الآخرين وليتحدثوا بكل صراحة عما يجول في خواطرهم فهم يعيشون في بلد واحد ولا ينبغي أن يحمل أبناء هذا البلد عداء لبعضهم البعض ما دام أن هناك فرصاً حقيقية للتفاهم والتعايش.. هناك نقاط كثيرة جاءت في هذه المكاشفات ولكن ضيق المساحة يمنع من تناولها.. ويكفي أن أقول إن الهدف الأسمى الذي يجب أن يسعى إليه كل فرد هو العمل على تقوية وحدتنا الوطنية تحت مظلة الإسلام وأن نبتعد عن الفرقة والاختلاف فهما أول طريق يوقعنا في ذل الضعف والعبودية للأعداء.. الخلاف سيبقى ولكنه يجب أن ينحصر في أضيق الأماكن والخلاف ليس مشكلة فهو موجود بين كل طوائف الدنيا وأفرادها وموجود بين العائلة الواحدة. المهم أن نجعل منه عامل قوة وليس عامل ضعف فالتنوع قد يكون طريقاً للقوة والتلاحم والبناء.. هل يمكن أن نفكر بهذه الطريقة؟ دعونا نجرب.

د. سهيل بن حسن قاضي*:

رسالة (المدينة) لصحيفة*

تحرص بعض الصحف المحلية على لفت انتباه القارئ من خلال بعض العناوين المثيرة، ثم سرعان ما يكتشف القارئ أن المضمون مختلف نسبياً أو كلياً. ولعل عنوان هذه المقالة أحد هذه العناوين التي أشرت إليها، حيث إن رسالة صحيفة المدينة عظيمة وجليلة يصعب الحديث عنها عبر هذه السطور، ولكني أردت أن أزجي الشكر والتقدير لصحيفة المدينة الغراء وملاحقها اليومية والأسبوعية وبالأخص (الرسالة) التي تستحق تقدير كل منصف، فصفحاتها الثماني بدءاً من منبر الرسالة على الصفحة الأولى حتى الصفحة الأخيرة المشتملة على (نص وتعليق) والزوايا الثابتة : قبل الطبع، عيون، بارقة، أفق، وملامح فضلا عن قضية الأسبوع وندوة الأسبوع. أو المكاشفات التي حملتها الرسالة على مدى أربعة أسابيع.. تدلل بحق على أن الرسالة إسلامية المنهج وعصرية الطرح بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

---

* مدير جامعة أم القرى سابقاً.

*المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، العدد ١٥٢٠٣ السنة السبعون، الثلاثاء ٢٥/ ١٠/ ١٤٢٥هـ - ٧/ ١٢/ ٢٠٠٤م.

وأريد اليوم أن أتوقف قليلاً مع ضيف جريدة المدينة فضيلة الشيخ حسن الصفار والحوار الساخن الذي أجراه معه الأستاذ الكريم عبدا لعزيز قاسم وكان من ابرز ما قاله الشيخ الصفار: «مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب والسنة»، وقال: «يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية». ومن ابرز ما قاله: «أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين».

احسب أن الشيخ الصفار قد وضع النقاط على الحروف، وأزال عن الأذهان كل ما علق في السابق بكل صدق وموضوعية، ولوحظ على الشيخ الصفار تمسكه الثابت فيما أبداه من آراء وهذا ما أكده رفاقه في الحوار الوطني الذي شارك فيه الشيخ الصفار بكل فعالية ولقي هذا الأمر ترحيب كل الأوساط، راجياً أن نقطف ثمار هذا التقارب عبر الأطروحات التي عرضها في الحوار الوطني ولقاءات جريدة المدينة ممثلة في ملحقها (الرسالة) والمؤمل أن توضع هذه الأطروحات موضوع التنفيذ.

إن ما ذكر آنفاً يقودنا إلى التساؤل: هل نملك بالفعل الإرادة للتعايش.؟

قال أحد الأئمة (صلاح شأن الناس التعايش) لدينا مجتمعات عديدة كان بعضها ولازال مضرباً للمثل في عملية التعايش والانصهار في المجتمع في مقدمة هذه الدول اكبر دولة في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى المستوى العربي كان لبنان أنموذجاً للتعايش قبل أن ينجح الشيطان في منتصف السبعينيات ليقوض كل ما بني في السابق.

وفي هذا السياق فقد كنت في زيارة لدار الساقي ببيروت في العام الماضي فجاءت سيدة تسأل عن كتاب التنوع والتعايش للشيخ حسن الصفار وهو بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، فطلبت من مسؤول المبيعات أن يزودني أيضاً بهذا الكتاب، فقال الرجل لقد جاءت هذه السيدة يوم أمس تسأل عن كتاب شخصية المرأة للشيخ الصفار. وزودناها بطلبها وأفدناها أن للمؤلف كتابا آخر في التنوع والتعايش

فقالت: لست مهتمة بهذا الأمر فإذا بها تجيء اليوم وهي ترغب في الحصول على مجموعة من النسخ بغرض الإهداء. لقد تسنى لي الإطلاع على كتاب شخصية المرأة وعلى كتاب التنوع والتعايش وسعدت بالطرح الجيد والفكر المستنير بدءاً من شرحه على التنوع كظاهرة كونية اجتماعية بأنواعه من تنوع عرقي ولغوي وديني وقومي إلى الرؤية الإسلامية التي طرحها المؤلف عن التنوع والاختلاف والتي وفق في شرحها أيما توفيق زاده الله حكماً وعلماً، إلى أن انتهى في خاتمة الكتاب عن كيفية الانتقال من زمن التعصب إلى زمن التعايش، وهو موضوع يحسن إثارته ومناقشته في المرات القادمة. ولابد أن نرجع الفضل لأهله ولكل من ساهم في تعريفنا بالشيخ حسن الصفار في مقدمة هؤلاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، وصحيفة المدينة الغراء، ثم لقاء في منزل الأستاذ محمد سعيد طيب وآخر في منزل الأستاذ عبدالمقصود خوجة وبعض من كتبه التي تسنى الإطلاع عليها والحديث موصول

الأستاذ فهد إبراهيم أبو العصاري*:

الشيخ الصفار.. الحوار الوطني والمكاشفات*

تستريح نفسك للجلوس معه ولو كنت تجالسه لأول مرة. فهو فنان في رفع التكاليف الغير ضرورية عن مُجالسه. بُشره وابتسامته وطيب حديثه يجعلك تحس أنك تعرفه منذ أعوام. يقفز فوراً إلى قلبك وسوف تتعجب من نفسك كيف أحببته بعد وقت قصير من لقائك معه.

إنه سماحة الشيخ الفاضل حسن موسى الصفار. التقيته مرتين قبل الحوار الوطني إحداهما في القطيف وتحديداً في مجلسه والثانية في المدينة لدى أحد أصدقائه. كان اللقاءان دافئين وفعلاً خرجت منهما وأنا أحس بأنني أعرف سماحته من سنوات.

في الحوار الوطني الأول والذي عقد في الرياض في الفترة من ١٥- ١٨/ ٤/ ١٤٢٤هـ التقيته في السكن المعد للمشاركين من أول ما وصلت وأذكر أنني كنت مسروراً للقائه وبادلني بدوره نفس الشعور.

---

* تربوي وباحث إسلامي / المدينة المنورة.

المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، ٢٦/ ١١/ ١٤٢٥هـ - ٧/ ١/ ٢٠٠٥م.

وفي جلسات اللقاء كان واضحاً أنه يمثل الطائفة الشيعية في المملكة مع عدد آخر من المشاركين. إلاّ أنه كان مميزاً بلباسه الديني العمامة البيضاء وعباءة المشائخ. كان فارساً في ذلك الحوار بل نجماً من نجومه. كان يتحدث بلغة عربية فصحى يرتجلها ارتجالاً. وكان حديثه دائماً مرتباً ومتسلسلاً دون أن تكون أمامه ورقة يقرأ منها. تحس وأنت تستمع إليه أنك أمام عبقرية فذة وشخصية متميزة وعالم جليل يسعى دائماً للإصلاح. نبرة حديثه أخوية بعيدة عن الفئوية والطائفية رغم تمسكه بما يعتقده حقاً. فهو لا يغمط الآخرين حقوقهم ويكن لهم كل احترام وتقدير.

أما على هامش الجلسات فيبدُو لي أنه كان الأكثر نشاطاً من جميع المشاركين. فقد زار معظم إخوانه في غرفهم. استمع إلى أحاديثهم وأسمعهم مما لديه وكان حريصاً على زيارة المخالف ـ إن صح التعبير ـ قبل المؤالف هادفاً إلى كسر تلك الحواجز الجليدية التي فصلت طويلاً بين مُثقفي المجتمع مما انعكس على أفراد المجتمع ككل دون أن تكون هناك أسباب مقنعه للجفوة الموجودة بين الناس. إن نقاط الاتفاق بين المسلمين أكثر بكثير بل وأهم بدرجة عالية من نقاط الاختلاف. ونقاط الاختلاف على قلتها تثري العملية الثقافية ومن شأنها أن تشحذ الهمم وتساعد على نتاج فكري مستنير. والشيخ الصفار ـ حسب ما اعتقده ـ يؤمن بأهمية

الاستماع إلى الآخر والاستفادة من آرائه. وعليه فهو يوظف نقاط الاختلاف ـ إن وجدت ـ للتعلم والتعليم وكشف الأخطاء وإبراز وجهات النظر حولها وتبني الصائب منها واحترام الآراء الأخرى على كل حال. فالرجل ينصف الآخرين من نفسه قبل أن يطلب منهم أن ينصفوه، ويحترمهم ولو علم أنهم لن يحترموه. وهذا لا شك يعكس استفادته من دراسته الشرعية والعقدية والأخلاقية لمذهب أهل البيت عليهم السلام. كما أنه واضح أنه استفاد من سيرتهم كثيراً. أذكر أنه في إحدى جلسات المؤتمر قال آخر متكلم في الجلسة أن الشيعة والسنة يكفرون الإسماعيليين، مما أثار حفيظة الأخوة الممثلين للمذهب الإسماعيلي في اللقاء. فلم يرضى الشيخ الصفار أن تقفل الجلسة بتكفير لأي مسلم فأوضح بجلاء وبأدب جم في نفس الوقت أن الشيعة الإمامية لا يكفرون الفرقة الإسماعيلية ولا غيرهم وطالب برد الاعتبار لمن وقع عليهم الأذى وأوضح أن مثل هذه الأفكار لا تساعد على وحدة الصف، فكان تدخله هذا

محل إعجاب الجميع. وفي ختام اللقاء التقى المشاركون بسمو ولي العهد وكان شيخنا الصفار أحد المختارين للتحدث أمام سموه فارتجل كلمة رائعة وضافية أوضح فيها أهمية اللقاء وأجواءه، وإثر ذلك لاحظت أن كثيراً من أصحاب السمو الأمراء كان يعانقه عناقاً حاراً ويشيد بدوره في المؤتمر.

أما في اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري والذي عقد في مكة المكرمة في الفترة من ٤-٨/ ١١/ ١٤٢٤ والذي ضم نخبة طيبة من أطياف المجتمع المختلفة فقد برز الصفار كعادته في كل جلسات الحوار بمداخلاته وأفكاره النيرة مما جعله محط أنظار رجال الإعلام من صحافيين ومراسلي قنوات فضائية وغيرهم وواضح أن علاقاته الشخصية توطدت مع كثير من المشاركين في اللقاء وكان يمارس دور إصلاح ذات البين بين الأعضاء في حالة اختلافهم إلى درجة غير مرضية. وحيث أن الجميع كانوا يحترمونه كانوا في الغالب يستجيبون لآرائه فتهدأ العواصف ويعود الحب والانسجام إلى جميع الأفراد والذين يهدفون ـ والحق يقال ـ إلى الإصلاح وإن أخطأ بعضهم الطريقة والوسيلة إلى ذلك والشيخ الصفار لا شك رجل حوار من الطراز الأول يحاور بوضوح وشفافية تامة مالكاً لناصية الدليل على ما يعتقد ويقول، وفي نفس الوقت فارضاً احترامه على الطرف المقابل لأنه شخصياً يحترم محاوريه ويهتم بآرائهم ويناقشها بأسلوب راقٍ وأدب جم بعيداً عن التجريح سواء في التصريح أو التلميح.

وقد استطاع بحنكته وخبرته أن يعقد الكثير من الحوارات حول كثير من القضايا سواء على هامش اللقاءات الوطنية للحوار الفكري أو بعدها. ولا شك أنه أثرى الساحة الأدبية والدينية بخطاباته ومحاضراته القيمة فأصبح له جمهوره الذي ينتظر منه كل جديد في كل وقت وفي كل مكان من أرجاء المعمورة سواء عبر الصحف أو عبر مؤلفاته ونشراته الدورية أو عبر الأشرطة المسجلة بصوته أو عن طريق الاسطوانات المدمجة أو عن طريق موقعه على الشبكة العالمية.

وقد كان لمكاشفاته عبر ملحق (الرسالة) في جريدة (المدينة المنورة) والتي حاوره فيها الصحفي البارع سعادة الأستاذ عبد العزيز قاسم ونشرت على مدى خمسة أسابيع أثر كبير على الساحة الصحفية.

وفي بعض الأماكن ربما نفذت صحيفة المدينة يوم الجمعة في زمن قياسي وذلك دلالة على أن أعداداً كبيرة من المواطنين ومن غيرهم أيضا يحرصون على متابعة تلك المكاشفات.

وفي نظري أن هذه المكاشفات لا تقل أهمية عن حوارات شيخنا الصفار بل ربما فاقتها أهمية لكون الحوار كان ضمن قاعة محدودة ومع أناس معدودين، بينما انطلقت المكاشفات إلى كل أرجاء الدنيا عبر صحيفة

(المدينة) الغراء وهي لا شك تفوق مداخلاته في الحوار من حيث الكم.

أما من حيث الكيف فيبقى (الشيخ الصفار) النموذج النادر وضوحاً وصراحة وأدباً وحرصاً على الوحدة الوطنية. كان يجيب على كل التساؤلات التي وجهت إليه بشفافية ووضوح ملتزماً خط الأدب العام الذي رسمه لنفسه. فهو يقول ما يعتقده حقاً دون تجريح للآخرين. فالإيمان بمبدأ ما لا يعني إلغاء حق الآخرين بالإيمان بمبادئ أخرى يرتضونها. واختلاف الناس لا يعني وجوب إقصاء بعضهم لبعض بل ولا استجابة.

نعم ليس من حقي أن ألزم الطرف المقابل بالأخذ بمبادئي التي اعتقدها صحيحة وفي نفس الوقت على الطرف المقابل أن يعرف أنه ليس من حقه ولا يجوز له إلزامي بما يعتقده صحيحاً. وفي هذه الحالة على الجميع الالتزام بمبدأ احترام الآخر والعيش في جو أخوي تظهر فيه روح المواطنة الصادقة.

إن الشيخ حسن الصفار اليوم يعد ضمن الصف الأول من رجالات الفكر الداعين للألفة والتماسك والمحافظة على الوحدة الوطنية فسدد الله على الخير خطاه وأكثر من أمثاله وجزاه على صنيعه لوطنه وأمته خير الجزاء وكتب ذلك في ميزان حسناته إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

الشيخ محمد علي التسخيري*:

الوعي الإسلامي يتطور*

بسم الله والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين وصحبه الميامين، وبعد،

لقد سنحت لي الفرصة أن أطالع هذا الحوار الشيق بين سماحة العلامة الشيخ الصفار والأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز قاسم؛ فوجدته حواراً نموذجياً جميلاً، برع فيه الأخ السائل أيما براعة، فجسد نموذج الصحفي النبيه الفطن بمداخل الأمور ومخارجها، اللبق الكيس الذي يتقيد بقواعد الحوار ومن أهمها: الروح العلمية، والذهن الوقاد، والاحترام والهدوء والموضوعية.

كما برع فيه العلامة المجيب تماماً إذ إتصف حديثه بالصراحة التامة، والمعلومات الموثقة، والصدر الرحب، والتقيد الجميل أيضاً بقواعد الحوار القرآنية؛ وهي قواعد لو جرت في حياتنا لأكسبتنا الخبرة المطلوبة، والمنطقية في الحجاج، والوسطية في السلوك، ولأبعدتنا عن الحالات العصبية والطائفية العمياء، وأبقتنا على سنن الحق

* أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران.

بعيداً عن جواد المضلة، فهي الجادة المطلوبة؛ عليها معالم القرآن وآثار النبوة.

وأود أن أقولها بصراحة إني مع غالب ما تفضل به الشيخ المجيب ولا أجدني أختلف معه إلا في بعض الجزئيات.

وليتنا نشهد أمثال هذا الحوار الموضوعي في مختلف أرجاء عالمنا الإسلامي مما يغنينا عن كثير من التحمل والتنطع وإضاعة الأوقات والجهود وإثارة الإحن والأحقاد، وينقلنا من حدية (الإيمان والكفر) إلى موضوعية (الحقيقة والخطأ)، ويخلصنا من إدعاء امتلاك الحقيقة وأن ما سواها الباطل الصراح.

إنني أشعر بالارتياح حينما أجد فكرة التقريب بين المذاهب تسري كالعافية في عروق هذه الأمة، وخصوصاً بين علمائها وباحثيها، لترجع العلاقة بين المذاهب إلى حالتها الطبيعية، فتعود اختلافاتنا المذهبية رحمة وثراء، ومجالاً رحباً يستقي منه ولاة الأمور الرأي الأكثر مناسبة لتحقيق مصالح المجتمع والأمة، فيطبقونه باعتباره ناتجاً عن اجتهاد إسلامي سليم.

وبهذه العودة إلى المذهبية الإيجابية ننبذ عهود الطائفية المقيتة التي أجرت أنهار الدم والدموع إرضاء للشيطان وإغضاباً للرحمن.

إنني استحضر تاريخاً طويلاً مترعاً بالآلام يوم كان أتباع المذاهب (وحتى مذاهب السنة) يكفر بعضهم بعضا، ويتبرأ بعضهم من بعض، وأنظر إلى الواقع القائم والتآلف الموجود فأشكر الله ـ تعالى ـ كل الشكر على هذه النعمة.

وهنا أذكر بأن البعض اليوم يحاول إثارة الفتنة القديمة بين الأشاعرة والمعتزلة، والشيعة والسنة، بل يحاول أن يُخرج الأشاعرة من الدائرة الإسلامية وهذا من أغرب الأمور خصوصاً إذا كان يصدر من علماء يدعون أنهم يحملون هم الأمة، ويعملون على تعبئة كل الطاقات لمواجهات التحديات الضخمة التي تحيط بهذه الأمة من قبل: العولمة والعلمانية والتخلف بأنواعه، والهجوم على ثقافة الأمة، بل والعمل على محو وجودها.

ولكن ليعلم هؤلاء أن مسيرة الصحوة الإسلامية تتقدم، وأن الوعي الإسلامي يتطور، وأنهم إنما يشكلون حجر عثرة ستتخطاه هذه الأمة المرحومة. أسأل الله تعالى

لسماحة الشيخ الصفار النجاح في مسعاه المقدس، وللأستاذ عبد العزيز التقدم في نشاطه الإعلامي الهادف، والله ولي التوفيق.

محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

١٢/٦/٢٠٠٥م

السيد محمد حسين فضل الله*:

رؤية نحو الحوار*

للحوار في التجربة الإنسانية أكثر من دور، فهناك التفاهم الذي يفهم فيه المختلفان في الآراء وجهة نظر كلٍّ منهما بشكل واضح دقيق مما يبتعد بهما عن حالة سوء التفاهم التي تؤدي إلى بعض السلبيات في النظرة والعلاقات، وهناك التعارف الذي يحقق المعرفة التفصيلية لما يتميز به الطرفان أو الأطراف من انتماء أو خطٍ فكري عندما ينفتح العقل أو القلب على ما يختزنانه من فكر أو موقع أو شعور، وهناك المحاولة الجادة في تحقيق الاقتناع في تجربة الدعوة والإبلاغ عندما يدعو صاحب الفكر أو الموقف أو الرسالة الإنسان الأخر إلى موقعه ليلتزمه في الأسلوب الحواري الذي يقدم الحجة المقنعة التي تجذب الأخر إليه.. وهكذا يمثل الحوار الانفتاح الإنساني على الإنسان الآخر في عملية تخطيط للتقارب الفكري والشعوري على مستوى التنوعات الدينية والسياسية والاجتماعية في محاولته لتفادي المشاكل المعقدة التي تنتجها الاثنينية في الانتماء أو الموقف أو الواقع.

---

* مرجع ديني ـ لبنان.

وقد كان القرآن في خطوطه الفكرية وأساليبه الفنية وانفتاحاته الروحية حركة في الحوار بالدرجة التي توحي بأنه لا مقدسات في الحوار، فهناك الحوار العقيدي في مسألة التوحيد والشرك وفي مسألة النبوة واليوم الآخر وفي أكثر من قضية تتصل بالحياة وبالإنسان، وذلك من أجل الإيحاء بأن قضية العقيدة في أصولها لابد أن تخضع للتفكير الذي ينفتح على التنوع في الفكر الموافق والمضاد لترتكز على أساس العمق الذي ينطلق على قاعدة العقل لا على أساس السطح الذي يتحرك في دائرة الشعور والإحساس. وقد تميز الحوار القرآني بالأفق الرحب في قضايا حركية الفكر، وبالتأكيد على مواقع اللقاء من خلال الوقوف على الكلمة السواء التي تمتد إلى كل اختلاف ينطلق من موقع وفاقي وقاعدة مشتركة في الأساس لينتهي ـ بعد ذلك ـ إلى موقع الخلاف في روحية التجربة الوفاقية في البداية..

ويرتفع الأسلوب القرآني الحواري ليبتعد بالحوار عن الحالة الذاتية التي يختزن فيها كل طرف من المتحاورين النظرة إلى صاحبه بأنه المخطىء وهو المصيب في نظرةٍ مسبّقة إلى المسألة قبل الدخول في الحوار بحيث يعيش حالة من العدوانية الفكرية ضد فكره، فنقرأ في قوله تعالى: ﴿**إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾، (سبأ: ٣٤)، لنستوحي منه أن الله يوصي نبيّه ـ والمؤمنين معه ـ بأن لا يحكموا على الفريق الآخر ـ الكافر أو الضال بالخطأ، ولكنه يساوي بينه وبينه في الحيرة بين الهدى والضلال المحتملة في كلا الفكرتين، ليكون الحوار رحلة مشتركة متفاوتة في البحث عن الحقيقة الضائعة بينهما.. وهذا هو المنهج الحضاري الذي لم يقترب إليه أي منهج آخر في الحوار .

وفي ضوء ذلك فلابد للقائمين على شؤون الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي المتحرك في ساحة الصراع الأخذ بأسباب الحوار مع التيارات الأخرى سواء أكانت دينية أم علمانية، لأن ذلك هو السبيل للدخول إلى الموقع التاريخي والديني والسياسي للعالم المعاصر بحيث ندخل في حركته الفاعلة، ليكون الإسلام قوة منفتحة على القوى الأخرى في عملية تأثر وتأثير في التجربة الحضارية التي توحي للآخرين بالروح الإسلامية الحضارية على صعيد الفكر والواقع مما قد يقوّي اجتذاب الآخرين إليه وانتمائهم إلى فكره.

وإذا كانت الفئات المعادية للإسلام قد تحركت بالطرق السلبية العدوانية في إثارة الشبهات ضد الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية في خطته لتشويه صورة الإسلام، إذ تعمل على نسبة الإرهاب والعدوانية إلى الإسلام، فإن ذلك ينبغي أن يدفع القائمين على العمل الإسلامي إلى المزيد من الاندفاع بالحوار في توضيح الإسلام للآخرين وإسقاط كل الحواجز التي تحول بين الناس وبينه، لأن الواقع الذي نعيشه هو واقع الحرب الثقافية ضد الإسلام لإبعاد العالم عن أصوله وفروعه وأساليبه ووسائله وتحريك الجو العدواني الشعوري ضده.

ولعل من أخطر المشاكل التي واجهها الإسلام هو غياب الحوار الإسلامي - الإسلامي وامتداد الأحكام الظالمة التي يطلقها بعض المسلمين ضد البعض الآخر بلحاظ ما ينسبه هذا البعض من هذا المذهب إلى المذهب الآخر، ولاسيما ما ينسبه جماهير أهل السنة ولاسيما العلماء منهم إلى المذهب الإمامي الشيعي من عقائد ومفاهيم قد تنتهي بهم إلى الحكم عليهم بالكفر وقد لا تقتصر القضية - في أبعادها السلبية - على تكفير أهل مذهب لمذهب آخر، بل قد تتحرك في الخلافات الكلامية والفقهية في داخل المذهب الواحد مما قد نراه في المذهب الشيعي أو السني وربما تنطلق هذه المسألة إلى فقدان القراءة العلمية لكلٍّ منها، أو نسبة رأي شخص من أهل المذهب إلى المذهب كله، أو دراسة نصّ في مرحلة معينة لينسب إلى المذهب بينما تجاوزت المراحل الأخرى ذلك كله.

إننا ندعو إلى الحوار الشامل في كل العناوين المختلفة والتدقيق في مفرداتها، وقراءة كل الإثارات الفكرية التي تحركت في توضيح بعض الإشكالات ودفع بعض الشبهات، وربما كانت قيمة هذه الحوارات أنها تساهم في تصحيح بعض أخطاء هذا المذهب أو ذاك بالبراهين القوية التي يثيرها الجدل الديني المذهبي أو انحرافات بعض القواعد الفكرية العقيدية أو الفقهية في داخل المذهب الواحد في الخلافات بين مفكريه الأمر الذي يوفر على المسلمين الأحكام الظالمة في التكفير والتضليل مما يضعف مواقعهم الثقافية والسياسية على صعيد الصراع العالمي في معركة الإسلام مع الاستكبار والكفر العالميين.

وقد لاحظت الحوار الذي تضمنه هذا الكتاب فرأيت فيه تجربة جيّدة في توضيح

الكثير من العناوين التي يثيرها البعض ضد المذهب الشيعي وأهله وذلك من خلال المنهج الموضوعي الصريح في الحوار الثقافي الذي أداره صاحب الفضيلة العلامة الشيخ حسن الصفار حفظه الله بالرغم من أسلوب الإثارة الذي كان يحاوله محاوره في مداخلاته الصريحة ناقلاً للهواجس التي يختزنها بعض الناس حول خط التشيع.. وهذا هو ما يدعوا إليه المخلصون الوحدويون الإسلاميون في البعد عن التراشق بالاتهامات غير الصحيحة في التخاطب المذهبي بين المسلمين. إننا نقدر هذا الحوار راجياً أن تمتد هذه التجربة وأن تساهم في تحقيق التفاهم والتعارف، وإعادة الأخوة بين المسلمين على مستوى الوحدة على خط التنوع.

ولا يفوتني تقدير الأسلوب الذي اتبعه الأستاذ عبدالعزيز محمد قاسم في التأكيد على إثارة الفكرة الحوارية بطريقة فنية جيدة في مفرداتها وإيحاءاتها من أجل مستقبل حواري إسلامي ينفتح على العقل والعلم والمحبة الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

محمد حسين فضل الله

١٩ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

الفهرس

THE SECT AND THE HOMELAND



الشيخ حسن بن موسى الصفار

- ولد سنة ١٣٧٧هـ في القطيف المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.
- بعد إكمال المرحلة الابتدائية والمتوسطة التحق بالحوزات العلمية الدينية في النجف - العراق، وفي قم - إيران، وفي الكويت.
- إمام مسجد الفتح بالقطيف.
- ناشط في المجال الثقافي والاجتماعي.
- صدر له أكثر من ثمانين كتاباً ترجم بعضها إلى لغات مختلفة.

المذهب والوطن

لا تعارض ولا تزاحم بين الولاء للدين - المذهب والولاء للوطن، فحب الوطن من الإيمان. ومن يخون وطنه لا دين له.

والوطن كهف ومأوى لجميع أبنائه على اختلاف مذاهبهم، فهم شركاء في أرضه وخيراته، ويتحملون جميعاً مسؤولية بنائه وحمايته، ويتساوون في حقوقهم وواجباتهم تجاهه.

إن الوطن لا يضيق ذرعاً باختلاف القناعات المذهبية لأبنائه، فحرية المعتقد حق إنساني ثابت ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾.

والحب الصادق للوطن يعني حب أبنائه والمنتمين إليه، فما أحب وطنه من ملأ قلبه بالحقد والكراهية لإخوانه المواطنين.

وهذا الكتاب دعوة صادقة لبناء وطن المحبة وتعزيز الوحدة الوطنية، عبر احترام الخصوصيات المذهبية، وإذكاء روح التنافس في خدمة الوطن، والعمل من أجل تقدمه وعزته.

حوار صريح ومعالجة موضوعية لقضية دينية وطنية حسّاسة.

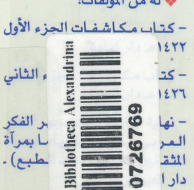


عبدالعزيز محمد أمين قاسم

ولد في مدينة الطائف ١٩٦٥م

- بكالوريوس رياضيات - جامعة الملك عبدالعزيز - كلية العلوم - عام ١٩٨٩م.
- دبلوم تربوي - جامعة أم القرى - كلية التربية - عام ١٩٩٥م.
- ماجستير في الإعلام - الجامعة الأمريكية بلندن عام ٢٠٠٥م.
- أنضم إلى صحيفة (المدينة) ٢٠٠٢م، وأصبح مدير تحرير القسم الثقافي والإسلامي ومشرفاً على ملحق (الرسالة).
- له من المؤلفات:

- كتاب مكاشفات الجزء الأول ١٤٢٢
- كتا[...] الثاني ١٤٢٦
- نها[...] الفكر العر[...] بمرآة المثق[...] طبع). دار ا[...]







ISBN 9953-36-874-0
9 789953 368740



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي،
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨